أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2018/01/21 الموافق لـ04 جمادى الأولى 1439
السنة 40 العدد 10876
Sunday 21/01/2018
40th Year, Issue 10876

العرب

alarab.co.uk

حمة الهمامي

تونسي حالم مازال حبيس المفاهيم والمصطلحات

» ص8

اليسار المغربي يجد في نبيلة منيب ضالته

» ص2

فيلم عن تشرشل يذكر بالحاجة إلى قيادات حاسمة

» ص15

«غصن الزيتون» التركية تثير غضب واشنطن وقلق موسكو

● أردوغان يعطي إشارة الهجوم على عفرين والأكراد يعدون بالمفاجآت

❑ **أنقرة** – أطلق الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الهجوم العسكري على عفرين دون أن تظهر أي مؤشرات على أن بلاده قد حصلت على ضوء أخضر من روسيا أو الولايات المتحدة التي لم تخف غضبها من هذه الخطوة، في وقت يؤكد فيه الأكراد جاهزيتهم للتصدي للقوات التركية.

وأكد الجيش التركي السبت بدء عملية جديدة برية وجوية في سوريا تحت مسمى "غصن الزيتون" ضد وحدات حماية الشعب الكردية. وقال مسؤول تركي كبير إن مقاتلات تركية قصفت أهدافا تابعة لوحدات حماية الشعب وحزب الاتحاد الديمقراطي في المنطقة، من بينها مطار مينغ العسكري.

وقال الجيش التركي إنه استهدف مخابئ ومعاقل يستخدمها مقاتلو حزب العمال الكردستاني وحزب الاتحاد الديمقراطي ووحدات حماية الشعب الكردية بعد أن قصف مسلحون مواقع داخل تركيا.

لكن المقاتلين الأكراد يقولون إن أنقرة استخدمت المزاعم عن قصف كردي ذريعة لشن هجومها. وقالت قوات سوريا الديمقراطية إنها لا تجد خيارا أمامها سوى الدفاع عن نفسها.

وسارع الأكراد في الأيام الأخيرة بنقل جزء من قواتهم إلى المدينة، فضلا عن أسلحة ومعدات حصلوا عليها من الولايات المتحدة. وأنهى 500 مقاتل السبت تدريبا عسكريا للانضمام إلى قوات الأمن الحدودية التي أعلن التحالف الدولي بقيادة واشنطن عن عزمه لتشكيلها شمال سوريا، في خطوة أثارت غضب أنقرة.

وتجمع المقاتلون الجدد وهم يرتدون زيهم العسكري مع أسلحتهم في صفوف متراصة خلال حفل تخرج أقامته قوات سوريا الديمقراطية والتحالف الدولي بحضور قادة من الجانبين في باحة "صوامع صباح الخير"، الواقعة جنوب مدينة الحسكة، بحسب مراسل فرانس برس.

وتم الجمعة تخريج الدفعة الأولى من هذه القوات التي سيبلغ عددها عند اكتمال تشكيلها، 30 ألفا نصفهم من المقاتلين في قوات سوريا الديمقراطية، وفق ما أعلن التحالف الدولي الأحد.

وفي ما يبدو فقد فشلت تركيا في الحصول على دعم روسي لهذا الهجوم بالرغم من إرسال قائد الجيش خلوصي أكار ورئيس الاستخبارات حقان فيدان إلى موسكو، وحديثها عن أن روسيا بادرت بسحب قواتها من عفرين وهو ما لم تؤكده موسكو.

وعلى العكس، فقد أعربت روسيا السبت عن قلقها حيال إعلان تركيا بدء الهجوم. وقالت وزارة الدفاع الروسية في بيان إن "موسكو قلقة حيال هذه المعلومات"، مضيفة "ندعو أطراف المواجهة إلى ضبط النفس".

وقالت الوزارة في بيان لها إن قيادة القوات الروسية بسوريا اتخذت تدابير لضمان سلامة الجنود الروس في عفرين.

وأوضح البيان أنه "ومن أجل تجنب استفزازات ممكنة، وتعريض حياة وسلامة العسكريين الروس للخطر، فقط تم سحب المجموعة العملياتية لمركز المصالحة والشرطة العسكرية الروسية".

وكشف عضو بلجنة الأمن في مجلس الاتحاد الروسي عن أن بلاده ستدعم سوريا دبلوماسيا وستطلب من الأمم المتحدة دعوة تركيا إلى وقف عملياتها في عفرين.

ونقلت وكالة الإعلام الروسية عن فرانز كلينتسيفيتش قوله "ليست سوريا فقط من ستطلب وقف هذه العملية. روسيا ستدعم هذا الطلب أيضا".

وقال متابعون للشأن السوري إن التسريبات التركية عن سحب روسيا قواتها من عفرين كان لإظهار أن ثمة توافقا تاما حول العملية، لكن بيان وزارة الدفاع الروسية يكشف عكس ذلك تماما، وهو أمر قد يعقد العلاقة بين الدولتين ويهدد مسار السلام الذي تشتركان في رعايته مع إيران.

ولا يستبعد المتابعون أن تنضم موسكو إلى جهود واشنطن في ممارسة ضغوط على أردوغان للجم الهجوم التركي والبحث عن ضمانات كردية لأنقرة عبر التفاوض وليس عبر القوة العسكرية.

وذكرت وكالة الإعلام الروسية السبت أن رئيس الأركان الروسي فاليري جيراسيموف ونظيره الأميركي جوزيف دانفورد ناقشا الأوضاع في سوريا عبر الهاتف دون أن تقدم تفاصيل أخرى عن فحوى المكالمة.

وينطوي الهجوم التركي وفق محللين على مخاطر، لأن روسيا التي كثفت تعاونها مع تركيا حول سوريا موجودة عسكريا في عفرين وتربطها علاقات جيدة مع المقاتلين الأكراد. كما أن واشنطن لن تنظر بعين الرضا إلى التحرك التركي ضد المقاتلين الأكراد الذين أثبتوا فاعلية في مواجهة تنظيم داعش.

واستدعت الخارجية الأميركية ممثلي البعثات الدبلوماسية الإيرانية والروسية لإطلاعهم على آخر التطورات في عفرين.

وكان وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف الاثنين قد دعا تركيا إلى وقف قصفها المدفعي على منطقة عفرين.

وحذر رئيس لجنة الدفاع والأمن التابعة لمجلس الاتحاد في البرلمان الروسي فيكتور بونداريف، أنقرة من إجراء عملية عسكرية شمالي سوريا، مشيرا إلى أنه لا ينبغي حل هذه المشكلة القائمة بين تركيا والأكراد باستخدام القوة.

ويرى المحللون أن أي هجوم كبير في سوريا لا يمكن أن يطلق من دون موافقة روسيا التي تقيم علاقات جيدة مع وحدات حماية الشعب الكردية.

ويقول المحلل لدى مكتب الاستشارات "فيريسك ميبلكروفت" أنتوني سكينر إن "تركيا لن تشن هجوما بريا وجويا شاملا دون مباركة روسية".

تأهب كردي

روسيا وسوريا والبناء على باطل

خيرالله خيرالله

» ص5

تحالف سني كردي لتأجيل الانتخابات العراقية

❑ **بغداد** – فشل البرلمان العراقي السبت في الاتفاق على يوم 12 مايو موعدا لإجراء الانتخابات بموجب اقتراح الحكومة حيث تحالف النواب السنة والأكراد في الدعوة إلى التأجيل للسماح لمئات الآلاف من النازحين بسبب الحرب بالعودة إلى ديارهم، وتوفير الشروط الضرورية لانتخابات نزيهة.

وعارض نواب من السنة والأكراد صيغة وسطى عرضت للتصويت تقوم على تأجيل الانتخابات المحلية والإبقاء على البرلمانية في موعدها، وهي الصيغة التي يدافع عنها رئيس الحكومة حيدر العبادي والتحالف الشيعي.

ويصر العبادي والنواب الشيعة على إجراء الانتخابات كما هو مخطط لها في 12 مايو القادم قائلين إن تأجيلها يخالف الدستور.

وقال التلفزيون الرسمي إن رئيس البرلمان سليم الجبوري، وهو سني، عبر عن أمله بعد جلسة السبت في بغداد في أن يتمكن البرلمان من التصويت على موعد للانتخابات، الاثنين.

وتقدمت الكتلة السنية بطلب إلى رئاسة مجلس النواب لتأجيل الانتخابات عاما واحدا على الأقل، في البلاد عموما أو في المحافظات التي احتلها تنظيم داعش فقط، في حال كان التأجيل العام غير ممكن.

وتريد الكتلة السنية المزيد من الوقت لترتيب أوراقها الانتخابية، قبل خوض اقتراع حاسم يتعلق برسم خارطة النفوذ ومراكز القوى على مستوى البلاد.

وتقول الكتلة السنية وفق وثيقة كانت "العرب" حصلت عليها إنه "نظرا لعدم توفر الشروط اللازمة التي حددها مجلس الوزراء لإجراء الانتخابات، وفي مقدمتها إعادة الاستقرار إلى المناطق المحررة وإعادة جميع النازحين وتهيئة المناخ الانتخابي والأمن للمناطق المحررة وحصر السلاح بيد الدولة"، فإنها تقترح "تأجيل الانتخابات النيابية ومجالس المحافظات لمدة لا تقل عن سنة لفسح المجال أمام الحكومة والقوى السياسية والشعبية لإكمال الشروط اللازمة التي حددها مجلس الوزراء مع تمديد عمل مجلس النواب".

ويسعى العبادي لإعادة انتخابه استنادا إلى زيادة شعبيته بين الأغلبية الشيعية بعدما قاد حربا استمرت ثلاثة أعوام على تنظيم داعش دعمها التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة.

وقالت السفارة الأميركية في بغداد في بيان الخميس "تأجيل الانتخابات سيشكل سابقة خطيرة ويقوض الدستور ويضر بالتطور الديمقراطي في العراق في الأمد البعيد".

استفتاء روسي يؤكد مشروعية مطالب دول المقاطعة وعزلة قطر

● 98.5 بالمئة من المستجوبين العرب يتهمون الدوحة بتأجيج الحرب الإعلامية في الأزمة الخليجية

❑ **موسكو** – عكس استفتاء تجريه إحدى الفضائيات الروسية بشأن التصعيد الإعلامي الذي يرافق الأزمة الخليجية حقيقة صادمة لقطر، لكنها حقيقة ماثلة للعيان ليس فقط لمسؤولي دول المقاطعة الأربع ومواطنيها، بل للجمهور العربي ككل، وهي أن وسائل الإعلام القطرية هي دون غيرها التي تصب الزيت على نار الفتنة.

وكشف استفتاء تجريه قناة روسيا اليوم أن 98.5 بالمئة من المستجوبين يرون أن قطر هي من تتولى تأجيج الحرب الإعلامية في الأزمة الخليجية، وهو ما يتناقض مع مزاعمها بالسعي إلى التهدئة والحوار، وإيهام الرأي العام الغربي بالمظلومية.

ويقول خبراء في الاتصال إن وسائل الإعلام القطرية تخصص وقتا مطولا يوميا للهجوم على دول المقاطعة، وتعمد دائما إلى الفبركات واختلاق القصص لتجعل المشاهد القطري في حالة استنفار سواء عبر الصحف المحلية أو قناة الجزيرة، أو عبر المواقع والصحف التي اشترتها في السنوات الأخيرة، أو عبر تقديم إغراءات لمحللين وسياسيين غربيين لهم نفوذ فيها.

وأشار الخبراء إلى سلسلة الفبركات وأسلوب التهويل الذي رافق موضوع الشيخ عبدالله آل ثاني بغاية التهجم على الإمارات بشكل مستمر لأنها تدعو دائما إلى إهمال قضية المقاطعة وعدم إثارتها في وسائل الإعلام طالما أن المسؤولين القطريين لا يريدون التوصل إلى حل.

وكثفت الدوحة في الفترة الأخيرة من تصريحاتها التي تستهدف استفزاز الإمارات في مسعى لإثارة غبار أزمة معها تعيد قضية المقاطعة إلى الواجهة على أمل أن تنجح في كسب تعاطف دولي فشلت في الحصول عليه بالرغم من حملاتها الإعلامية والدبلوماسية لأكثر من ستة أشهر.

وكانت آخر خطوة أقدمت عليها الدوحة لجوءها إلى افتعال تعرض مجالها الجوي لاختراق من الإمارات، وحين فشل الافتعال في خلق الضجة إقليميا ودوليا تولت طائراتها العسكرية اعتراض طائرتين إماراتيتين.

ويقول متابعون للشأن الخليجي إن موجة الافتعال المتكررة تعود إلى رغبة القيادة القطرية في أن تبقى دائما تحت دائرة الضوء حتى لو كان ذلك بسبب الشكوى التي تقدمت بها الإمارات ضدها في مجلس الأمن.

وفيما يهمل الإعلام السعودي الموضوع القطري بشكل تام، لا تكاد قناة الجزيرة القطرية تتوقف عن النبش في ما يثار حول المملكة من تسريبات وإشاعات بعضها بإخراج قطري سيء، وخاصة ما تعلق بولي العهد الأمير محمد بن سلمان الذي تتهمه قطر بأنه من يتزعم حملة التشدد ضدها، ويشترط التزامها باتفاق الرياض بنسختيه 2013 و2014 قبل أي وساطة.

ويعتقد المتابعون أن تركيز الإعلام القطري، وعلى رأسه قناة الجزيرة، على التعرض لحياة الأشخاص ونقل الإشاعات التي تثار حولهم حقق نتائج عكسية تماما لما تريده وهو ما كشفت عنه نتائج الاستفتاء، مشيرين إلى أن الذي يبالغ في الخصام والتهجم على الآخرين، يفضي عادة إلى نفور الناس من حوله، وأن صراخ مذيعي قناة الجزيرة ومنشطيها زاد من كراهية الناس لها بدل أن يكسبها جمهورا إضافيا.

ويضيف هؤلاء أن نتائج الاستفتاء تعكس خارطة واسعة من الدعم للسعودية والإمارات والبحرين ومصر بين الجمهور العربي سواء في المنطقة أو في دول أوروبا أو روسيا أو الولايات المتحدة، لافتين إلى أنه يمكن اعتماد هذه النتائج كعينة جدية على مشروعية المطالب التي رفعها الرباعي المقاطع من جهة، وكدليل على غضب واسع من سياسات قطر المختلفة من جهة ثانية.

وتؤكد مراجع خليجية أن ارتفاع نسبة داعمي الحزم السعودي ضد قطر، بالرغم من غياب التضخيم الإعلامي، هو استفتاء بالدرجة الأولى على عزلة قطر في محيطها الإقليمي، فضلا عن فشل الصفقات التي تجريها شرقا وغربا لخلق رأي عام داعم لها، خاصة أن صورتها ارتبطت في أذهان الجمهور العربي بمحاولات ركوب ثورات الربيع العربي وفرض الإخوان لحكم دول مثل تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

ائتلاف حزبي بتونس ضد النداء والنهضة في الانتخابات

الاتحاد المدني يسعى للمراهنة على تراجع قواعد حزبي الحكم

بعد أن هدأت الأمور نسبيا في تونس عقب موجة من الاحتجاجات الرافضة لإجراءات قانون المالية للعام 2018، وجهت جل الأحزاب تقريبا بوصلتها نحو شهر مايو المقبل الذي سيشهد إجراء أول انتخابات بلدية في البلاد منذ سقوط النظام السابق في العام 2011.

وسام حمدي

❏ **تونس** – بدأت الأحزاب التونسية عمليا استعداداتها للتنافس في الانتخابات البلدية المقررة في مايو القادم، حيث تجمع 11 حزبا تقدميا وحداثيا ضمن ائتلاف أطلقت عليه تسمية "الاتحاد المدني" بهدف خوض هذه الانتخابات البلدية. ويطرح الائتلاف الحزبي الجديد نفسه بديلا عن حركتي نداء تونس والنهضة الحاكمين.

ومن بين مكونات "الاتحاد المدني" أحزاب شريكة في الحكم، ومن بينها حزبا المسار الديمقراطي والمبادرة، وأحزاب أخرى كانت إلى وقت غير بعيد شريكة في حكومة الوحدة الوطنية وهي حركة مشروع تونس برئاسة محسن مرزوق وحزب آفاق تونس الذي يقوده ياسين إبراهيم.

كما يضم هذا الائتلاف أحزاب؛ البديل والحركة الديمقراطية وتونس أولا، بالإضافة إلى حركة المستقبل وحزب العمل الوطني الديمقراطي وحزب اللقاء الدستوري.

واتفقت هذه الأحزاب على خوض غمار الانتخابات البلدية بقائمات موحدة في أكثر من 45 دائرة انتخابية.

ويرى مراقبون أن الاتحاد المدني تم تشكيله بالأساس ليكون منافسا قادرا على إزاحة حركتي نداء تونس والنهضة من صدارة النتائج الانتخابية، وهما الحزبان اللذان يتمتعان بقواعد انتخابية كبيرة رغم كل الانتقادات الموجهة لهما.

وقال الطاهر بن حسين رئيس حزب المستقبل، لـ"العرب"، إن "فكرة التوحد في اتحاد مدني انتخابي ليست نابعة أبدا من هوس بضرورة بعث ضدّ لحركة النهضة أو نداء تونس اللذين فشلا في إدارة الشأن العام".

وأضاف "حزبا الحكم اللذان تحالفا بعد انتخابات 2014 أصبحا يهددان فعلا المسار الديمقراطي في تونس، ولذلك وجب تأسيس ائتلاف مدني يضم أحزابا تقدمية وحداثية لإنقاذ البلاد من تغولهما".

> محللون يرجحون فشل تجربة الاتحاد المدني قياسا بتجارب سابقة مماثلة ومنها تجربة جبهة الإنقاذ، التي باءت بالفشل في وقت وجيز

المشهد الحزبي متحرك باستمرار في تونس

وحول الآليات التي ستمكن هذه الأحزاب مجتمعة من منافسة أحزاب السلطة، قال بن حسين "الصفعة القوية التي تلقاها كل من نداء تونس والنهضة في الانتخابات الجزئية التشريعية بألمانيا أثبتت أن كل ما يشاع عن خزانهما الانتخابي مجانب للصواب وأن الأرضية مازالت ملائمة للأحزاب التقدمية لتجميع عدد أكبر من الأنصار والقواعد بعد لم شتاتها لأن في الوحدة قوة".

وذكّر بن حسين بأن حزبي الائتلاف الحاكم تنكرا لكل الوعود التي قدمت في انتخابات 2014، وهو ما جعلها تفقد كثيرا من مصداقيتها لدى الرأي العام. وشدد على أن الاتحاد المدني قد يكون أيضا متحدا ومتجانسا، لا فقط في الانتخابات البلدية القادمة بل أيضا خلال الانتخابات التشريعية والرئاسية المتوقع إجراؤها في 2019. وفسر قائلا "إن حققنا تقدما ونتائج جيدة بالتأكيد سنتفق على شخصية بارزة للمنافسة على الانتخابات الرئاسية القادمة".

ويرى مراقبون أن الاتحاد المدني يراهن على تقديم برنامج انتخابي قائم على انتقاد تجربة الحكم ومحاولة النهل أولا من قواعد حزب نداء تونس، خصوصا أن أغلب قيادات الأحزاب المشكلة له منحدرة من حركة نداء تونس وخاضوا معها أهم المعارك الانتخابية السابقة. ومن بين هؤلاء رضا بلحاج ومحسن مرزوق والطاهر بن حسين.

ويذهب البعض من المتابعين إلى التأكيد بأن الاتحاد المدني قد يستغل ضبابية قواعد حركة النهضة، التي انضم جزء كبير منها إلى حزب حراك تونس الإرادة الذي أسسه الرئيس السابق المنصف المرزوقي.

وقال النائب بالبرلمان عن حركة نداء تونس المنجي الحرباوي لـ"العرب"، إن "النداء تعود في السنوات الأخيرة على ميلاد تجمعات لا هدف لها سوى التشويش أو التشكيك والتشويه ومحاولة بناء مشاريع حزبية على أنقاض حزب نداء تونس".

وأضاف "يبدو أن الاتحاد المدني لا يمتلك أي برنامج لخوض الانتخابات البلدية باستثناء محاولات إرباك النداء"، مشددا على أن "كل المراهنين على قواعد نداء تونس سيفشلون في ذلك لأن كل أبنائه ملتفون حول قيادته وتصوراته المدنية".

لكن البعض من المحللين رجحوا فشل تجربة الاتحاد المدني قياسا بتجارب سابقة مماثلة ومنها تجربة "جبهة الإنقاذ"، التي باءت بالفشل في وقت وجيز بعد أن قامت على تمش مناهض أولا لاقتراب نداء تونس من النهضة وثانيا على رفض النمط المجتمعي للحركة الإسلامية التي كانت مشاركة في أغلب حكومات ما بعد الثورة.

ولم يخف رضا بلحاج المنسق العام لحزب حركة "تونس أولا" هذه المخاوف في حديثه لـ"العرب"، إذ قال "نحن واعون لدى تشكيلنا الاتحاد المدني بضرورة عدم تكرار تجربة جبهة الإنقاذ وبالتالي حصرنا البرامج حاليا على الدخول في قائمات مشتركة للانتخابات البلدية".

وأكد بالحاج، الذي شغل سابقا خطة المدير التنفيذي لحركة نداء تونس وأيضا كان مستشارا لدى رئيس الجمهورية، أن حزبي النهضة والنداء لم يقدرا على تلبية تطلعات الشعب. وأشار إلى أن حزبه الأم (نداء تونس) منته تقريبا "ولن يكون قادرا على حشد كل الجموع التي أوصلته إلى سدة الحكم في أصعب فترة مرت بها البلاد في عهد الترويكا".

وأضاف "الاتحاد المدني سيخوض معركة الانتخابات البلدية مرتكزا على برامجه أولا ولا على أنقاض أحزاب أخرى منيت بفشل ذريع".

وأكّد أن الاتحاد المدني واع أيضا بأن لكل من حزبي الحكم قواعد لكنه سيعمل على لم شتات كل التقدميين والحداثيين مراهنا على أسماء تاريخية وبارزة في الساحة السياسية التونسية.

وتابع "الأحزاب المشكلة للاتحاد المدني متفقة على أنه بات من الضروري تخليص البلاد من النتائج الكارثية التي حققتها النهضة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية وحتى مسؤوليتها السياسية والأخلاقية في تغلغل الأصوات المتطرفة".

وقال مراقبون إن الشعارات التي تم إطلاقها في الجلسة الافتتاحية للحزب قد تؤثر على وجود الحزب ضمن عائلته اليسارية ومن شأنها أن عرقل اندماجه في مبادرة يسارية كبيرة. واعتبر هؤلاء أن شروط الاندماج بين مكونات فيدرالية اليسار ليست كاملة، في ظل عدم وصول مشروع الحزب المجتمعي والسياسي إلى عمق المجتمع المغربي.

والحزب الاشتراكي الموحد هو أحد الأحزاب اليسارية الثلاثة المشكلة للتحالف السياسي، "فيدرالية اليسار الديمقراطي"، إلى جانب حزب الطليعة الديمقراطي الاشتراكي وحزب المؤتمر الوطني الاتحادي، التي تأسست مطلع 2014.

ويقول مراقبون كيف تستقيم الدعوة إلى اندماج كلي بين أحزاب الفيدرالية في ظل اختلافات كبيرة في وجهات النظر حول مجموعة من القضايا الجوهرية، منها كيفية انتخاب الأمين العام والحوار مع الإسلاميين والاندماج.

وطالبت منيب بقراءة نقدية لتجربة اليسار واستخلاص الدروس. كما دعت إلى ضرورة اندماج مكونات فيدرالية اليسار تمهيدا لتوحيده في أفق تجاوز التناقضات.

وعادت الأمينة العامة إلى مطالبها القديمة بملكية برلمانية. وأوضحت منيب أن حزبها يمتلك مشروعا سياسيا، إلى جانب رفاقها في فيدرالية اليسار، بإمكانه المساهمة في تحقيق التغيير الديمقراطي الذي طال انتظاره.

واعتبر عبدالعالي بوطولة، الكاتب الوطني لحزب الطليعة، أن الحكومة مسؤولة عن تأجيج الأوضاع عبر نهج سياسة القمع والاعتقال والتضييق على الجمعيات الحقوقية. ودعا إلى توحيد جهود اليسار من أجل تحقيق مشروع الملكية البرلمانية، وربط المسؤولية بالمحاسبة.

وخلال الانتخابات التشريعية، التي جرت في أكتوبر 2016، حصلت فيدرالية اليسار الديمقراطي على مقعدين بالبرلمان من أصل 395. وأكد لزعر أن الحزب الاشتراكي الموحد مازال يبحث عن المخاض الانتخابي الذي يمكنه من فرض نفسه كقوة انتخابية وازنة. وأوضح "بحسب نتائج استحقاق أكتوبر 2016 احتل الحزب الصف التاسع من حيث الأصوات بنسبة 2.83 بالمئة، لذلك فأول رهان على هذا المؤتمر هو تغذية وإعادة إسناد الاستراتيجيات المؤمنة للعبور نحو فضاء المشهد الانتخابي".

وتقدم الفيدرالية على أنها البديل اليساري المقبل داخل المشهد السياسي المغربي، وراهنت على مواجهة التيار الإسلامي ممثلا في حزب العدالة والتنمية.

> هناك تياران داخل الحزب: الأول يسعى لتجديد ولاية نبيلة منيب والثاني يريد التغيير، لكن مراكز الثقل تميل نحو استمرار الأمينة العامة الحالية في منصبها لتفادي تشتيت الحزب

ويقول متابعون إن قيادات الحزب الاشتراكي الموحد وأنصاره لم يخرجوا بعد من إطار سياسي يبتعد عن الواقع ولم يقدموا بدائل سياسية واجتماعية واقعية. وتقول مصادر من داخل الحزب إن هناك نسبة كبيرة من القيادات تود بقاء نبيلة منيب على رأس الحزب الاشتراكي الموحد، لأنه لا يوجد بديل متوفر ولأنها تمثل نموذج المرأة المغربية القيادية.

ويرى لزعر أن هناك تيارين: الأول يدعم مطلب التجديد والثاني يدعم مطلب القطيعة. واستدرك "لكن مراكز الثقل داخل الحزب، مدعومة بالنائبين في البرلمان، اعتقد بأنها تميل نحو التجديد للقيادية الحالية لتفادي تشتيت الحزب".

محمد بن امحمد العلوي

❏ **الرباط** – افتتح الحزب الاشتراكي الموحد مؤتمره الرابع الجمعة في الرباط ليتواصل على ثلاثة أيام بمشاركة 900 عضو من الحزب. ومن المنتظر أن يحسم المؤتمر في عدة قضايا وعلى رأسها منصب الأمين العام للحزب الذي تشغله حاليا نبيلة منيب.

وقالت منيب، في كلمتها الافتتاحية، إن "اليسار المغربي مطالب اليوم برصّ صفوفه للاستجابة للمطالب التي تنادي بها التحركات الاحتجاجية". كما انتقدت منيب حكومة سعدالدين العثماني، واصفة إياها بـ"حكومة تصريف أعمال التي تفتقر إلى القدرة على محاربة الفساد المستشري في دواليب الدولة".

وهاجمت الأمينة العامة للحزب الاشتراكي الموحد، في كلمتها، الإسلاميين قائلة إن اليسار مطالب باستعادة دوره في المجتمع حتى لا يترك المكان أمام اليمينيين المتطرفين "لاستغلال الدين من أجل الوصول إلى السلطة"، معتبرة أنهم لا يؤمنون لا بالديمقراطية ولا بالمساواة.

وأكد عبدالمنعم لزعر، الباحث في العلوم السياسية والقانون الدستوري، لـ"العرب"، أن هناك مؤشرات تجعل للمؤتمر الرابع للحزب طبيعة خاصة: أولها الفراغ المرجعي الذي باتت تعرفه الساحة السياسية، وثانيها تراجع صورة حزب العدالة والتنمية على مستوى تفاعل الرأي العام مع دائرة السلطة. وحضر الجلسة الافتتاحية مصطفى البراهمة الكاتب الوطني لحزب النهج الديمقراطي، ونبيل بن عبدالله الأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية، بالإضافة إلى نزار بركة الأمين

لا منافسين أقوياء في مواجهة نبيلة منيب

أويحيى: لن أترشح أبدا ضد الرئيس بوتفليقة

❏ **الجزائر** – جدد رئيس الوزراء الجزائري أحمد أويحيى السبت تأكيده بأنه لن يترشح ضد رئيس البلاد عبدالعزيز بوتفليقة في انتخابات الرئاسة المقررة في ربيع 2019، نافيا وجود صراعات بين أجنحة الحكم داخل النظام.

وقال أويحيى الأمين العام لحزب التجمع الوطني الديمقراطي، في مؤتمر صحافي عقب أشغال الدورة العادية الرابعة للمجلس الوطني للحزب "قلت مرارا وتكرارا إنني لن أترشح أبدا ضد الرئيس وسأكون إلى جانبه إذا ترشح لعهدة خامسة وهذا لسببين: أولا لأنني ساندته في أربع عهدات لقناعتي بأنه قام بعمل كبير لفائدة البلاد، وثانيا لاعتبارات شخصية فزيادة على التزامي السياسي معه حظيت بمكانة رفيعة مع فريق عمله بدليل أنه عينني رئيسا للوزراء للمرة الثالثة".

وعبر أويحيى، في وقت سابق، عن طموحه للترشح في الانتخابات الرئاسية القادمة مؤكدا أنه لن يترشح في حال قدم بوتفليقة ترشحه.

وبشأن معارضة رئيس البلاد لتوجه الحكومة نحو خصخصة الشركات المملوكة للدولة، لفت أويحيى إلى أنه "يحظى بثقة الرئيس بوتفليقة الذي بوسعه إنهاء مهامه لأنه هو من تولى تعيينه".

وتقول تسريبات عديدة ظهرت في الفترة الأخيرة، إن أويحيى قدم استقالته من رئاسة الوزراء بسبب القرارات الرئاسية المتعارضة مع توجهاته. لكن رئيس الوزراء الجزائري حاول، في ظهور سابق، الإشادة بالبعض من قرارات بوتفليقة ومن بينها إقرار رأس السنة الأمازيغية عيدا وطنيا في خطوة رأى فيها مراقبون "تشبثا بعباءة الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة".

كما كذب أويحيى، السبت، وجود صراع أجنحة داخل أركان النظام أو في الجهاز التنفيذي، ملمحا إلى أن الأمر ليس نفسه ربما داخل "مطبخ سفينة الأغلبية (الموالاة)" لأن هناك آراء مختلفة رغم تأكيده أن حزب جبهة التحرير الوطني (الحزب الأول في الجزائر) هو "حليف استراتيجي" لحزبه في "دعم برنامج رئيس الجمهورية من أجل مصلحة الجزائر".

ونفى ما تم تداوله من وجود تقرير لمصالح الأمن الداخلي يشير إلى اعتماده على خطاب التخويف والترهيب، منوها إلى أنه لم يقل إلا الحقيقة للشعب الجزائري حتى يعرف الوضع الحقيقي للبلاد.

وقال "حتى وإن لم أقم بأي شيء منذ مجيئي على رأس الحكومة قبل 5 أشهر، فإنني أخرجت الجزائريين من وهم البحبوحة المالية". واعترف أويحيى بأن الجزائر لا تزال تعيش أوضاعا مالية صعبة، موضحا أنه قبل أشهر قليلة تم إحصاء 70 مليار دولار كديون مستحقة على الحكومة للشركات، فضلا عن تجميد 3000 مشروع عمومي من بينها مشاريع في قطاع التعليم.

كما كشف عن أن الخزينة العمومية لم تكن تتوفر سوى على 500 مليون دولار في شهر سبتمبر الماضي، في حين أن احتياجات البلاد تقدر بملياري دولار شهريا.

الحزب الاشتراكي الموحد في المغرب يبحث استراتيجية وقيادة جديدتين

حضور أميركي في الشرق الأوسط لترتيب أوضاع ما بعد قرار القدس

بنس يزور القاهرة لبحث ملفات الإرهاب والأقليات والتأكيد على استمرار سطوة بلاده في المنطقة

يسعى نائب الرئيس الأميركي مايك بنس، من خلال جولته في منطقة الشرق الأوسط والتي بدأها من القاهرة، إلى محاولة معالجة الاحتقان العربي جراء اعتراف الرئيس الأميركي دونالد ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل. وقال مراقبون إن زيارة بنس إلى المنطقة أفرغت من مضمونها بعد أن تم إلغاء البعض من أبرز محاورها، كرد عربي على قرار ترامب.

محمود زكي

❏ **القاهرة** – استقبل الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي نائب الرئيس الأميركي مايك بنس، السبت، ضمن جولة يقوم بها في المنطقة وتشمل كل من الأردن وإسرائيل إلى جانب مصر.

وهذه هي الزيارة الأولى لمسؤول أميركي كبير للشرق الأوسط، منذ إعلان الرئيس دونالد ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارة بلاده إليها.

وكان من المتوقع أن تتم هذه الجولة الشهر الماضي وتأجلت مرتين لرغبة نائب الرئيس الأميركي تجنب عاصفة غضب لاحت في الأفق عقب قرار ترامب، وأسقطت منها زيارة رام الله بسبب رفض الرئيس الفلسطيني محمود عباس لقاء بنس.

وبدأ نائب الرئيس الأميركي جولته من القاهرة، وهو يحمل أوراقا متشابكة بعد أن تحولت أسباب زيارته المعلنة من مناقشة حقوق الأقليات المسيحية في الشرق الأوسط إلى محاولة لمعالجة الاحتقان العربي جراء الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.

ويرى مراقبون أن الزيارة تندرج ضمن استعادة الدفء الأميركي مع كل من القاهرة وعمّان بعد أن صدرت عنهما مواقف حادة ضد قرار ترامب، الذي أحرجهما باعتبارهما أقرب العواصم إلى واشنطن في ملف التسوية السياسية ووقعتا اتفاق سلام مع إسرائيل وهما معنيتان بأمر مدينة القدس وما يصدر بشأنها من قرارات. علاوة على أن عدم ثقة القاهرة الكاملة في المواقف الأميركية دفعتها إلى استدارة كبيرة نحو روسيا، يمكن أن تشهد المزيد من التطور على ضوء تفاهمات كبيرة في قضايا حيوية في المنطقة وهو ما تحاول واشنطن فرملته سياسيا. ولم تتوقف الإدارة الأميركية عند اتخاذ قرار مخالف للأعراف الدولية فقط، لكنها أطلقت تهديدات وأعلنت عن عزمها قطع المساعدات عن الدول التي اعتزمت المشاركة في مواقف ضد واشنطن في مجلس الأمن والأمم المتحدة. وكان التلويح واضحا لكل من مصر والأردن، لأنهما من أكثر الدول التي تتلقى المساعدات الأميركية بعد إسرائيل.

> إذا كان ترامب عازما بالفعل على التوصل إلى حل دائم للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، يتعين عليه أن يتعامل مباشرة مع الأزمة ومحاولة تقديم مواقف واضحة للسلطة ليستمر كوسيط في عملية السلام

واقتطعت واشنطن فعليا جانبا من المساعدات المقدمة للسلطة الفلسطينية في شكل عقوبات مالية بعد اللهجة الحادة التي حملها خطاب الرئيس الفلسطيني ضد الولايات المتحدة، حيث اعتبرها طرفا غير محايد وأعلن رفض استمرارها كوسيط في عملية السلام مع إسرائيل.

ويرى البعض من المراقبين أن هذا الأمر يمثل عقبة كبيرة أمام مهمة بنس، خاصة أن عملية التسوية تتطلب انخراط السلطة الفلسطينية وإقناعها بالتخلي عن المواقف التي تراها واشنطن متشددة مثل إعلان المجلس المركزي الفلسطيني أخيرا تعليق الاعتراف بدولة إسرائيل، ما يعيد الأمور إلى الوراء.

ويعتقد هؤلاء أن جولة مايك بنس، التي بدأت السبت من القاهرة وتشمل الأحد عمان ثم تنتهي في إسرائيل الثلاثاء، تعكس رغبة أميركية لوضع العرب أمام القبول بالأمر الواقع والتأكيد على استمرار النهج السابق في المنطقة دون تغيير وأن أمن وسلامة واستقرار إسرائيل أولوية استراتيجية في الحسابات الأميركية ولن تهتز أبدا.

وقال إيلان جولدنبرج، الكاتب بمجلة "فورين بوليسي" الأميركية، إن جولة بنس "أفرغت من مضمونها بعد أن أعلن الفلسطينيون ورجال دين رفضهم استقباله أو لقاءه". ويرى جولدنبرج أن الزيارة "قد تكون محاولة لتأجيج الغضب العربي، خاصة أنه من المتوقع أن تشهد زيارة بنس لإسرائيل موجة من الاحتفالات الضخمة والمستفزة للمشاعر الفلسطينية".

وانتظرت الإدارة الأميركية فترة لامتصاص الغضب الناجم عن قرار الاعتراف بالقدس وراقبت رد الفعل العربي الذي بدا على المستوى الرسمي ضعيفا في إجماله، لذلك تريد البناء لمرحلة ما بعد هذا القرار والمضي قدما في خطتها للتسوية التي تريدها.

وعقب قرار ترامب، أعلن شيخ الأزهر أحمد الطيب والبابا تواضروس الثاني بابا الكنيسة القبطية التي تقود أكبر طائفة مسيحية في الشرق الأوسط، رفضهما لقاء بنس وهو الموقف ذاته الذي اتخذه الرئيس الفلسطيني محمود عباس.

وكان مجلس وزراء الخارجية العرب أعلن تأجيل اجتماعه في بداية يناير الجاري في الأردن إلى نهاية الشهر حتى تنتهي جولة نائب الرئيس الأميركي في المنطقة ومناقشة ما ستؤول إليه من مباحثات وتطورات.

وتبدو الصورة فاترة لدى العرب بعد أن بدأت وتيرة الغضب تهدأ مع الوقت وتفقد حماسها، واقتصر الأمر على اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب بمقر الجامعة العربية وآخر في عمان شارك فيه ستة وزراء خارجية. كما انعقد مؤتمر في القاهرة برعاية مؤسسة الأزهر مؤخرا للتأكيد على عروبة القدس وكونها عاصمة أبدية للدولة الفلسطينية، وكلها لم تأت بتطورات ملموسة.

ولم تكن القرارات التي أصدرتها قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في إسطنبول الشهر الماضي أفضل حالا في نتائجها، حيث اقتصرت على إدانات بلاغية والتشديد على أن تكون القدس الشرقية عاصمة لفلسطين.

وقالت ماجدة شاهين، أستاذة العلوم السياسية بالجامعة الأميركية في القاهرة، إن جولة بنس في حد ذاتها "لا تمثل أهمية كبيرة في صناعة القرار الأميركي الخاص بالشرق الأوسط، لأنها محاولة غير مجدية لتحسين وجه الولايات المتحدة المشوه أصلا بسبب قرار نقل السفارة الأميركية إلى القدس".

وأضافت لـ"العرب" أنه "إذا كان ترامب عازما بالفعل على التوصل إلى حل دائم للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، يتعين عليه أن يتعامل مباشرة مع الأزمة ومحاولة تقديم مواقف واضحة للسلطة الوطنية ليستمر كوسيط في عملية السلام، ومنها قضايا الأمن واللاجئين وزيادة المستوطنات ووقف قضم أراض جديدة، وهي ملفات تستحق نقاشا جديا لا قفزا عليها". وأشارت إلى أن الجولة غرضها دبلوماسي، فلن يتخذ مايك بنس مواقف سياسية عما سبق طرحه، لأن أغلب الملفات التي يهتم بها السيسي وبنس تدور حول الإرهاب ووضع المسيحيين في مصر، وهما قضيتان لن يقدم فيهما جديدا ولن يزيدا عن تبادل المعلومات والمتابعة المعتادة.

وتراهن الولايات المتحدة على حالة التصدع السياسي والخلافات العميقة المتفشية في المنطقة واتساع نطاق الإرهاب في العديد من البلدان لتجعل من مهمة بنس أكثر سهولة، وتساهم في تقبل القرار الأميركي في المستقبل والعودة إلى دورها في الإمساك بتلابيب الكثير من ملفات المنطقة.

المهمة غير سهلة

سامي عنان ينافس السيسي في الانتخابات الرئاسية

❏ **القاهرة** – أعلن رئيس الأركان المصري السابق سامي عنان، السبت، أنه سينافس الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي في الانتخابات المقبلة بمارس.

وجاء إعلان عنان بعد ساعات فقط من تأكيد السيسي علنا نيته الترشح لولاية ثانية في الانتخابات التي ستجري بين 26 و28 مارس، في ثالث اقتراع منذ الإطاحة بالرئيس السابق حسني مبارك عام 2011.

وقال عنان، في تسجيل مصور نشر على فيسبوك، إنه سيسعى لتصحيح "سياسات خاطئة" اتبعت منذ أطاح السيسي الذي كان رئيسا للأركان آنذاك بالرئيس الإسلامي محمد مرسي عام 2013.

وأكد أن مصر واجهت عدة تحديات بعد أعوام من الاضطرابات، بما في ذلك "توطن خطر الإرهاب وتردي أوضاع الشعب المعيشية التي تزداد سوءا يوما بعد يوم". وقال "ما حدث وكل ذلك كان نتيجة سياسات خاطئة حمّلت قواتنا المسلحة وحدها مسؤولية المواجهة دون سياسات رشيدة تمكن القطاع المدني بالدولة من القيام بدوره متكاملا مع دور القوات المسلحة". وأوضح عنان أنه عين فريقا من المدنيين لدعم ترشحه بينهم هشام جنينة، الرئيس السابق للجهاز المركزي للمحاسبات الذي أقاله السيسي عام 2016 بعد نشر تقرير قدر الخسائر الناتجة عن الفساد بأكثر من مئة مليار دولار.

وكان عنان رئيسا للأركان منذ 2005 إلى أن أحاله مرسي إلى التقاعد في 2012. وأشار محللون إلى أن ترشحه قد يجذب المصريين الذين يتوقون إلى الاستقرار النسبي الذي كان سائدا في عهد مبارك. وعندما أجبر مبارك على التنحي جراء احتجاجات الربيع العربي عام 2011، تسلم السلطة المجلس الأعلى للقوات المسلحة المكون من 20 ضابطا وكان عنان الرجل الثاني فيه.

خطة سعودية شاملة لإغاثة اليمنيين واحتواء الضغوط الدولية

صالح البيضاني

❏ **صنعاء** – تستعد السعودية لإطلاق أكبر حملة إنسانية للتخفيف من معاناة اليمنيين جراء الانقلاب الحوثي وتداعياته التي قادت البلاد إلى حافة المجاعة.

وتشمل الحملة، المزمع تدشينها الاثنين القادم، إنشاء ثلاثة جسور برية وبحرية وجوية لإيصال المساعدات الإنسانية والطبيّة إلى مختلف مناطق اليمن، بما في تلك الواقعة تحت سيطرة الميليشيا الحوثية.

وتأتي الحملة المرتقبة عقب مبادرة المملكة إلى إنقاذ العملة الوطنية اليمنية من الانهيار من خلال تقديم 2 مليار دولار كوديعة للبنك المركزي اليمني، وهو ما انعكس بشكل سريع على سعر صرف الريال اليمني أمام العملات الأجنبية وحال دون انهيار كلي له كان سيلقي بظلاله على الوضع الاقتصادي المتردي لليمنيين.

وقال معمر الأرياني وزير الإعلام اليمني، لـ"العرب"، إن الحملة الإغاثية الإنسانية التي ستطلقها السعودية في اليمن تعد الأكبر منذ بداية الحرب في اليمن، وهي امتداد لسلسلة من المواقف السعودية التي تؤكد التزام الرياض العميق بدعم اليمن على كافة المستويات السياسية والعسكرية والإنسانية.

ولفت الأرياني إلى أن خطة الاستجابة الإنسانية التي ستدشن الاثنين تؤكد أن مواقف دول التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن بقيادة السعودية تتجاوز كل المعطيات السياسية والعسكرية إلى ما هو أبعد من ذلك.

> الحملة التي ستطلق في اليمن تعد الأكبر منذ بداية الحرب، وهي امتداد لالتزام الرياض بدعم اليمن سياسيا وعسكريا وإنسانيا

وتابع "الحملة تعزز أواصر العلاقات بين اليمن ومحيطه الخليجي، إضافة إلى التأكيد كذلك على التزام السعودية الأخلاقي تجاه كافة فئات الشعب اليمني بمنأى عن الموقف من الميليشيات الحوثية"، وهو ما يكشف عنه امتداد الحملة لتشمل المناطق التي لازالت خاضعة لسيطرة الميليشيات الحوثية.

وأضاف الأرياني أنه "في الوقت الذي ترسل فيه إيران أسلحة الموت والدمار لليمنيين وتعمل على تدمير النسيج الاجتماعي اليمني، نجد دول التحالف العربي وفي مقدمتها السعودية والإمارات وهي تحارب إلى جانب اليمنيين الشرفاء لتخليص بلادهم من النفوذ الإيراني وفي ذات الوقت تمد يد المساعدة المالية والاقتصادية لليمنيين الذين تجرعوا مرارات الانقلاب الحوثي وتبعاته الكارثية".

وأرجع الباحث السياسي السعودي علي عريشي، لـ"العرب"، خلفيات العبث الحوثي المتعمّد بالاقتصاد اليمني المتهالك إلى "المخططات الإيرانية الرامية للبحث عن مخارج سياسية لإنقاذ ذيولها في اليمن".

وأوضح عريشي أن الحوثيين من خلال نهب محلات الصرافة في صنعاء "هدفوا لقطع آخر الشرايين المالية التي كانت خارجة عن سلطة السوق السوداء التي أنشأوها ويتحكمون بها، من أجل العبث بالاقتصاد اليمني لتحقيق أهداف سياسية صرفه ترمي في مجملها لتجويع الشعب اليمني، واستثمار ذلك سياسيا ضد التحالف العربي".

وأضاف أن القرار السعودي بوضع خطة شاملة (برية، بحرية وجوية) يهدف إلى إغاثة الشعب اليمني وضمان وصول المساعدات التي كان يستولي عليها الحوثيون ويبيعونها للمواطنين بعلم الأمم المتحدة.

ويسعى الحوثيون لاستغلال الوضع الإنساني المتردي في اليمن الذي ساهموا في تعميقه من خلال إجراءاتهم الأحادية والضغط على المجتمع الدولي تحت عناوين إنسانية، بهدف تحقيق غايات خاصة تصب في اتجاه القبول بسياسة الأمر الواقع التي انتهجوها منذ اجتياحهم للعاصمة صنعاء.

وأشار مراقبون سياسيون إلى تعمّد الحوثيين اتخاذ العديد من القرارات التي تسببت في مفاقمة المعاناة الإنسانية وانهيار الوضع الاقتصادي، ومن ذلك شروعهم في الآونة الأخيرة في نهب شركات الصرافة في العاصمة صنعاء، وهو السبب المباشر وفقا لخبراء اقتصاديين في انهيار العملة اليمنية.

ومع تزايد الخسائر العسكرية في صفوف الجماعة الحوثية واقتراب المعارك من ميناء الحديدة، آخر شريان لإمدادهم بالسلاح القادم من إيران، تصاعدت المطالب الحوثية باستئناف المشاورات السياسية مع الحكومة الشرعية. ولقيت هذه المطالب صدى في أروقة المجتمع الدولي، بالرغم من غياب أي دلائل حقيقية عن رغبة الحوثيين في الانخراط في أي حوار سياسي جاد.

وجاءت الخطة السعودية لتنفيذ أكبر برنامج إغاثي في اليمن، والتي تهدف إلى احتواء موجة الضغوط الدولية الجديدة، بعد أيام من تقديم الحكومة الأميركية لأربع رافعات جديدة لميناء الحديدة. وترافق الموقف الأميركي مع مؤشرات تصب في ذات الاتجاه من بينها حديث الرئيس الإيراني حسن روحاني، عند استقباله رئيس مجلس الشورى العماني خالد المعمولي، عن إمكانية "تحول سلطنة عمان إلى مركز لاستقطاب المساعدات الإنسانية العالمية للشعب اليمني".

السعودية حاضرة دائما لدعم أبناء اليمن

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

توتر بين برلين وطهران: الاتفاق النووي لا يعني موافقة على كل سياسات إيران

ضغوط ترامب على القوى الأوروبية حول مخاطر التغاضي عن الملفات الخلافية تأتي أكلها

❑ **برلين** – ستهيمن إيران على الكثير من المحادثات التي سيجريها وزير الخارجية ريكس تيلرسون خلال جولته الأوروبية التي ستشمل لندن وباريس ووارسو، وخلال لقائه ببقية القادة الأوروبيين أثناء مشاركته في مؤتمر دافوس.

ونقلت وكالة رويترز عن مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأميركية أن "كيفية التصدي للنفوذ الإيراني الخبيث في منطقة الشرق الأوسط ستكون لها أولوية قصوى في مناقشاته"، فيما نقلت صحيفة فايننشال تايمز أن طهران اتفقت مع أوروبا على مناقشة برنامج الصواريخ الإيرانية ودور طهران في النزاعات الإقليمية، معتبرة أن ذلك جاء نتيجة ضغوط الرئيس الأميركي دونالد ترامب ومطالبته بإصلاح الاتفاق النووي.

ونقلت الصحيفة عن مصادر في وزارة الخارجية الألمانية، أن وزراء خارجية ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ومنسقة السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي فيديريكا موغيريني، اتفقوا على بدء "محادثات مكثفة وجدية" بشأن برنامج إيران الصاروخي وتدخلاتها في شؤون بلدان المنطقة.

> الجهود التي تبذلها إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب في توجيه انتباه الدول الأوروبية نحو مخاطر التغاضي عن الملفات الخلافية الأخرى مع إيران لتعزيز المصالح الاقتصادية بدأت تأتي ثمارها

وأبلغ وزير الخارجية الألماني زيغمار غابريل نظيره الأميركي بنتائج هذا التوافق مع إيران التي تسعى جاهدة لإقامة علاقات جيدة مع أوروبا من أجل منع تشكيل جبهة دولية كبيرة ضدها بسبب سياساتها الإقليمية ومن أجل الوقوف معها ضد توجهات الرئيس الأميركي لإلغاء الاتفاق النووي.

لكن أغلب المؤشرات تشي بأن إيران فشلت في ذلك، ففيما يؤكد المحللون أن الاتفاق النووي لن يستمر دون الولايات المتحدة، فإنهم يشيرون إلى أن التطورات الأخيرة في علاقة طهران ببرلين تشي بأن الجبهة الأوروبية التي تسعى إيران لتشكيلها أمر صعب التحقق.

وفي أحدث مؤشر على التوتر بين إيران وألمانيا رفض القضاء الألماني طلب البنك المركزي الإيراني من شركة تابعة لسوق الأوراق المالية في ألمانيا إعادة نحو 5 مليارات دولار من أصول طهران المجمدة. والتي صودرت بطلب من محكمة أميركية لسداد تعويضات لأسر ضحايا التفجير الإرهابي في مقر قوات المارينز في بيروت عام 1983.

نظام غير قابل للإصلاح

في الوقت الذي وصفت فيه وسائل إعلام ألمانية النظام الإيراني بأنه "غير قابل للإصلاح"، أعلنت السلطات الألمانية في 16 يناير الجاري، عن حملة تفتيش واسعة لمكاتب ومنازل عشرة إيرانيين في مدن ألمانية بعد مراقبتهم لفترة لاشتباهها في تورطهم بعمليات تجسس لصالح الحرس الثوري.

وقبل ذلك، كادت أزمة دبلوماسية تنشب في الـ11 من الشهر ذاته، بعد أن رفعت دعوات تطالب السلطات الألمانية بتوقيف رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام محمود هاشمي شاهرودي بسبب اتهامه بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان خلال فترة توليه رئاسة السلطة القضائية (2009–1999)، حيث كان يعالج في مستشفى بهانوفر قبل أن يقطع رحلة العلاج ويغادر ألمانيا.

واللافت أن الدعوات التي طالبت بإصدار مذكرة توقيف ضد شاهرودي لم تصدر من جانب قوى المعارضة الإيرانية فحسب، وإنما أيضا من بعض الأحزاب الألمانية، التي وجهت انتقادات لتعامل السلطات الألمانية مع مثل تلك القضايا. فقد أكد فولكر بك، النائب السابق عن حزب الخضر الألماني، على أن ألمانيا "لن تتحول إلى مستشفى لمعالجة المجرمين"، في إشارة إلى معارضته لسماح السلطات الألمانية بإصدار تأشيرة دخول لشاهرودي، بالتوازي مع إشارة بعض قوى المعارضة إلى أنه مسؤول عن التصديق على أحكام إعدام لنحو 2000 شخص خلال توليه رئاسة القضاء.

ودفع ذلك شاهرودي، وفقا لتقارير عديدة، إلى عدم التقيد بنصائح أطبائه وقرر وقف برنامجه العلاجي ومغادرة ألمانيا قبل أن تتطور الأمور وتصل إلى حد إصدار مذكرة توقيف ضده، بشكل كان سيمثل إحراجا قويا للنظام الإيراني على المستوى الدولي.

من هنا يمكن القول إن الجهود التي بذلتها إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب في توجيه انتباه الدول الأوروبية نحو مخاطر التغاضي عن الملفات الخلافية الأخرى مع إيران لتعزيز المصالح الاقتصادية، بدأت تأتي ثمارها، رغم أن الضغوط الأميركية على إيران لم تصل بعد إلى المستوى الذي يمكن أن يدفع الأخيرة إلى تغيير سياساتها في الملفات الخلافية. وكان لافتا أن العقوبات الأخيرة التي فرضتها واشنطن على طهران، في 12 يناير الجاري، شملت شخصيات متهمة بدورها بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان، على غرار صادق لاريجاني رئيس السلطة القضائية الحالي.

الصحافة الألمانية تؤكد أن إيران راعية للإرهاب الدولي

ومع أن النظام الإيراني سعى إلى استغلال تلك العقوبات لدعم ادعاءاته القائمة على ارتباط الاحتجاجات الحالية بوجود مخطط خارجي لتهديد بقائه في السلطة إلا أن ذلك لا ينفي في الوقت ذاته أن هذا الاهتمام الأميركي بملف حقوق الإنسان في إيران قوبل بردود فعل إيجابية في أوروبا.

مغامرة الاستثمار في إيران

يرجح أن يساهم ذلك في تعزيز دعوات بعض التيارات السياسية الأوروبية بضرورة عدم التعويل على المصالح الاقتصادية مع طهران، خاصة بعد أن بات واضحا أن الاستثمار في إيران يعتبر مغامرة، في ظل النفوذ الواسع للحرس الثوري وشركاته التي أدينت بدعم البرنامج النووي والإرهاب.

في هذا السياق، لا يمكن استبعاد اتجاه العلاقات بين إيران وألمانيا إلى مرحلة تصعيد غير مسبوقة، بشكل سوف يؤثر سلبيا على الموقف الإيراني من الضغوط الأميركية المتواصلة، حيث كانت طهران تعول على الدعم الأوروبي للاتفاق النووي والمساعي التي تبذلها بروكسل لدى الإدارة الأميركية من أجل إقناعها بالاستمرار في العمل به وعدم اتخاذ المزيد من الإجراءات التي يمكن أن تعرقله.

لكن تشدد إيران في المقابل في ملفات خلافية أخرى تتزايد مساحة الاهتمام الأوروبي بها، وخاصة من جانب ألمانيا التي تحظى بموقع رئيسي على الساحة الأوروبية في الفترة الحالية، سوف يدفع تلك الدول إلى تبني سياسة أكثر حزما في التعامل معها.

وقد تسعى الدول الأوروبية في المرحلة القادمة، وتحديدا في الأشهر الأربعة المقبلة، وهي مدة التمديد الأميركي لتعليق العقوبات المفروضة على إيران، إلى محاولة ممارسة ضغوط على إيران من أجل إبداء مرونة أكبر في التعامل مع القضايا التي تحظى باهتمام خاص من جانب الدول الغربية بشكل عام، وعلى رأسها الصواريخ الباليستية وانتهاكات حقوق الإنسان، في ظل الضغوط الداخلية القوية التي تتعرض لها تلك الدول من أجل تغيير سياساتها مع طهران.

لكن لا يتوقع أن تستجيب الأخيرة بسهولة لمثل هذه الجهود، باعتبار أن المحافظين المتشددين ما زالوا مصرين على عدم منح ترامب والأوروبيين ما يريدونه سواء في الاتفاق أو في تلك الملفات، ليس فقط بسبب ربطهم بين الاحتجاجات الداخلية والضغوط الخارجية، وإنما أيضا بسبب إصرارهم على إحراج الرئيس حسن روحاني وإضعاف موقعه السياسي خلال الفترة المتبقية من ولايته الرئاسية الثانية، التي يبدو أنها ستشهد صراعات سياسية محمومة نتيجة ما فرضته الاحتجاجات من معطيات جديدة على الأرض.

هل ينخفض منسوب التوتر بين القاهرة والخرطوم

❑ **الخرطوم** – نذ حديث الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بشأن علاقات بلاده مع كل من السودان وإثيوبيا، تتصاعد تساؤلات بين السودانيين بشأن إن كانت التوترات بين الخرطوم والقاهرة تتجه نحو التهدئة أم أن التصعيد لا زال قائما، وهل ينخفض منسوب التوتر بين القاهرة والخرطوم؟

تحمل الإجابة على هذه التساؤلات رؤيتين؛ تميل الإجابة في الرؤية الأولى إلى النفي متوقعة أن يتواصل التصعيد بالنظر إلى مجموعة من التطورات والأحداث الأخيرة والتي تعد أحد أبرز أسباب التوتر، منها زيارة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وما أعقبها من تصريحات وتصعيد من الجانب السوداني الذي بدا وكأنه يستقوي بعلاقته مع أنقرة وحلفائها.

في المقابل، تميل الرؤية الثانية إلى التسليم بأن التوتر الراهن في العلاقة بين الخرطوم والقاهرة سينخفض وذلك بالنظر إلى أسلوب الرئيس السوداني عمر البشير القائم على الانتهازية السياسية وتغيير الدفة وفق سير الرياح، وهو اليوم في علاقته بأنقرة والدوحة ووقوفه إلى جانبإثيوبيا في ملف سد النهضة لا يتجاوز حدودا مرسومة في الخلاف مع مصر.

في أول تعليق رسمي مصري على أنباء عن حشود عسكرية مصرية في إريتريا قبالة حدود السودان، قال الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي إن "مصر لا تحارب أشقاءها.. وأؤكد لكم يا مصريين، وأقوله للأشقاء في السودان وإثيوبيا، مصر لا تتآمر ولا تتدخل في شؤون أحد".

ووصف الأمين عبدالرازق عبدالرازق، الأمين السياسي لحزب المؤتمر الشعبي السوداني (شريك في الحكومة)، هذا الخطاب بـ"الإيجابي"، رافضا في الوقت نفسه أي "إملاءات خارجية"، لا سيما بشأن علاقة بلاده بتركيا، فيما دعا الفاضل حاج سليمان، النائب عن حزب المؤتمر الوطني (الحاكم)، البلدين إلى انتهاج "المعالجات السلمية للقضايا العالقة" بينهما. وبين الجارين السودان ومصر ملفات خلافية عديدة، أبرزها النزاع على مثلث حلايب وشلاتين وأبورماد الحدودي والموقف من سد النهضة الإثيوبي، واتهامات سودانية للقاهرة بدعم المتمردين المناهضين للرئيس السوداني وهو ما نفته القاهرة مرارا.

بالمقابل، استبعد قيادي بالحزب الاتحادي الديمقراطي السوداني (معارض)، التهدئة حاليا، طالما لا تزال مسببات التوتر قائمة، واتهم الحكومتين بافتعال مشكلات خارجية لـ"التهرب من استحقاقات داخلية". وقال محمد الفكي سليمان "بينهما (السودان ومصر) تواطؤ يتمثل في إطلاق الإعلام لمهاجمة بعضهما البعض، بينما يمسكان بالجيشين، فليس بمقدور أي طرف إطلاق طلقة واحدة.. ما يجري الآن هو تواطؤ من الحكومتين على شعبيهما"، محذرا البلدين من "حافة الهاوية"، إذا تدخلت أطراف خارجية لتصفية حسابات في المنطقة.

> بين السودان ومصر ملفات خلافية أبرزها النزاع على مثلث حلايب وشلاتين وأبورماد الحدودي والموقف من سد النهضة الإثيوبي واتهامات سودانية للقاهرة بدعم المتمردين

موقف السودان المخاتل من قضية سد النهضة يعقد الأزمة

إثيوبيا ترفض التحكيم الدولي بشأن سد النهضة

❑ **أديس أبابا** – قال رئيس الوزراء الإثيوبي، هايلي ماريام ديسالين، إن بلاده لا تقبل طلب مصر ضم البنك الدولي للتحكيم في مباحثات آثار سد النهضة الإثيوبي على جريان نهر النيل. ونقلت وكالة الأنباء الإثيوبية الرسمية، عن ديسالين قوله "إن البحث عن الدعم المتخصص (للوقوف على آثار السد) شيء، ونقل اتخاذ القرار إلى جهة أخرى شيء آخر، وقلنا لهم إن هذا غير مقبول من جانبنا".

وأكد ديسالين وجود فرص أمام الدول المعنية (إثيوبيا ومصر والسودان)، للتوصل إلى حلول لأي خلافات بينها بشأن السد؛ "إذا ما جرت المفاوضات بروح التعاون والثقة". واقترحت مصر مشاركة البنك الدولي كطرف "محايد" في اللجنة الفنية الثلاثية، لتجاوز "الجمود" في سير المفاوضات، وذلك خلال مباحثات أجراها وزير الخارجية المصري سامح شكري في أديس أبابا، مع نظيره الإثيوبي ورقينة جيبيو، في ديسمبر الماضي.

ولفت رئيس الوزراء الإثيوبي إلى أن الجانبين اتفقا على استكمال دراستين لتقييم آثار السد على دول مصب النهر، دون أن يحدد موعدا لعودة المفاوضات التي أعلنت القاهرة تجميدها في نوفمبر لرفضها تعديلات أديس أبابا والخرطوم على دراسات مكتب استشاري محايد.

وتابع أن زيارته الأخيرة للقاهرة، نجحت في توضيح عدد من المعلومات للجانب المصري حول الس، ما أتاح تعزيز التوافق وردم الهوة في العلاقات.

وتتخوّف القاهرة من تأثير سلبي محتمل لسد النهضة على تدفق حصتها السنوية من مياه نهر النيل، مصدر المياه الرئيسي للبلاد، فيما تقول أديس أبابا إنها بحاجة ماسّة للسد لتوليد الطاقة الكهربائية، وتؤكد أنه لن يمثل ضررا على دولتي مصب النيل، السودان ومصر.

روسيا وسوريا والبناء على باطل

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ لم يعد سرًا أن الولايات المتحدة قررت أن يكون لها وجود عسكري دائم في الأراضي السورية. باتت تسيطر بفضل هذا الوجود على جزء لا بأس به من ثروات سوريا الموجودة في منطقة الجزيرة وشرق الفرات. تسيطر عمليا على قسم من النفط والغاز وعلى مناطق زراعية شاسعة وعلى المياه. تلعب في الوقت ذاته الورقة الكردية التي تثير تركيا وتجعلها راغبة في شنّ حملات عسكرية يصعب التكهّن بالنتائج التي ستسفر عنها.

الثابت الوحيد أنّه كلّما هددت تركيا باللجوء إلى القوّة وكلّما حشدت قوات من أجل استعادة عفرين تجد نفسها مضطرة لزيادة تقرّبها من روسيا وإيران على حساب الولايات المتحدة، حليفها التقليدي. تلعب تركيا، التي بدأت عملية عفرين، لعبة خطرة عائدة إلى أنّها تأخرت كثيرا في التعاطي الجدّي مع الموضوع السوري وذلك منذ اليوم الأول الذي اندلعت فيه الثورة الشعبية في ذلك البلد المهمّ في آذار – مارس 2011.

> الأمر الثابت أن من يريد المحافظة على وحدة سوريا لا يسير في الخط الإيراني ولا يراهن على بشار الأسد. مثل هذا الرهان يظل الطريق الأقصر لتفتيت سوريا أكثر مما هي مفتتة

من لاعب أساسي في سوريا، تحوّلت تركيا مع مرور الوقت إلى لاعب ثانوي، لكنّه موجود على الأرض، يريد المحافظة على مصالحه والدفاع عنها. هذا عائد أساسا إلى أن تركيا لم تسارع إلى التدخّل بطريقة ذكيّة عندما كانت الفرصة متاحة لها. عندما أرادت التدخّل، جاء ذلك متأخّرا. دخلت بكلّ بساطة في منافسة مع إيران وروسيا التي عرفت كيف تدجّن رجب طيب أردوغان، على غرار ما فعلت إسرائيل معه قبل ذلك.

جديد سوريا الآن، أن هناك سياسة أميركية في مرحلة التبلور. يعبّر عن هذه السياسة وزير الخارجية ريكس تيلرسون الذي قال في مركز للدراسات تابع لجامعة ستانفورد في كاليفورنيا كلاما يفهم منه أن الإدارة الأميركية تتجه إلى توضيح سياستها السورية بعيدا عن الكلام الكبير الذي كان يصدر عن الرئيس دونالد ترامب.

بقي هذا الكلام الكبير من دون ترجمة حقيقية على أرض الواقع، على الرغم من قصف أميركي لمطار في خان شيخون ردّا على استخدام بشّار الأسد للسلاح الكيميائي في حربه على شعبه. وقد تبيّن لاحقا أن لا متابعة لذلك القصف الذي كان هدفه إنقاذ ماء الوجه لترامب وإظهاره بأنّه مختلف عن سلفه باراك أوباما.

قال تيلرسون كلاما من دون فذلكات. فحوى الكلام أن أميركا مع المحافظة على وحدة الأراضي السورية وأن لا مستقبل لسوريا في ظلّ نظام "قاتل" لشعبه ووجود إيراني "شرّير".

لا يمكن بالطبع الاعتماد على السياسة الأميركية في أيّ مكان من العالم، باستثناء إسرائيل طبعا. لكن الملفت أنّ وزير الخارجية الأميركي بدأ يتكلم بلغة مفهومة وواقعية في الوقت ذاته. مثل هذا الكلام يثير تساؤلا هل تغيّر شيء في واشنطن وهل رفع البيت الأبيض يده عن الخارجية وترك لها وللبنتاغون (وزارة الدفاع) هامشا للتصرّف بعيدا عن التنسيق مع روسيا؟

ما الذي يدعو إلى الاعتراف بأهمّية ما صدر عن تيلرسون؟ يعود ذلك إلى إعطاء معنى سياسي واستراتيجي للمرّة الأولى للوجود العسكري الأميركي في سوريا. قال تيلرسون بالحرف الواحد "وجودنا العسكري في سوريا أصبح حقيقة وأمرا واقعا لمنع عودة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، والمساهمة برحيل الأسد وأسرته حسب قرار الأمم المتحدة، وإخراج الإيرانيين من كل الأراضي السورية، وعودة اللاجئين إلى ديارهم (...)".

هذا الكلام المليء بالمعاني، والذي لا يزال في حاجة إلى تطبيق له، يواجه كلاما خشبيا صادرا عن المسؤولين الروس من نوع وزير الخارجية سيرجي لافروف الذي يتّهم الإدارة الأميركية بالسعي إلى تقسيم سوريا.

يغطي هذا الكلام على الفشل الروسي المستمر والقائم على فكرة أن في الإمكان البناء على بقاء بشّار الأسد في دمشق. ما بني على باطل هو باطل. يعود ذلك إلى سبب في غاية البساطة. هذا السبب هو أنّ النظام السوري لم يمتلك شرعية في يوم من الأيّام، لا في عهد حافظ الأسد ولا في عهد بشّار الأسد. هذا نظام أقلّوي انبثق عن انقلاب عسكري نفّذ في الثامن من آذار – مارس 1963 عندما أطيح الحكم الذي قام بعد الانتهاء من كارثة اسمها الوحدة المصرية – السورية التي

عاجزة عن حل الأزمة رغم قوة ضرباتها

أسست للنظام الأمني في سوريا وقضت على كلّ القوى الحيّة في المجتمع أو هجّرتها من البلد.

ليت روسيا تستفيد في تعاطيها مع سوريا من تجارب الماضي القريب. لو كان ممكنا الرهان على أنظمة غير شرعية، لكان الاتحاد السوفيتي ما زال حيّا يرزق. ولكانت دول مثل هنغاريا وبولندا وبلغاريا وألمانيا الشرقية ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا التي صارت دولتين (تشيكيا وسلوفاكيا) ما زالت تدور في فلكه ولما استقلت إستونيا وليتوانيا ولاتفيا.

يبحث الروسي عن شرعية لنظام لا شرعية له أساسا. لهذا فشلت السياسة الروسية في سوريا ولهذا تبدو قاعدة حميميم أكثر من قاعدة مكشوفة في بلد لا يمكن لشعبه العيش في ظلّ نظام بشّار الأسد. تستطيع روسيا إنقاذ بشّار الأسد غير مرّة كما فعلت في خريف العام 2015، لكنّ ذلك لا يُغني عن سياسة واضحة تعترف قبل أيّ شيء آخر بأنّ روسيا لا تستطيع أن تكون أكثر من شريك في تقرير مستقبل سوريا وأنّها طرف من أصل خمسة أطراف تتنازع السيادة على الأراضي السورية. هذه الأطراف هي روسيا نفسها مع إيران والولايات المتحدة وتركيا وإسرائيل. تلك هي الصورة الكبيرة للوضع السوري والتي لا تسمح بتقرير مصير البلد في سوتشي ولا في غير سوتشي. لا يمكن أن يتقرّر مصير سوريا ما دام بشّار الأسد في دمشق لا أكثر ولا أقلّ.

يظلّ السؤال إلى أي حدّ ستكون الولايات المتحدة جدّية في التعاطي المختلف مع الوضع السوري في وقت دخل عهد دونالد ترامب سنته الثانية؟ الثابت إلى الآن أنّ تغييرا ما حصل في واشنطن، خصوصا في ضوء صدور كتاب "نار وغضب" الذي يكشف بين ما يكشف العلاقة بين ترامب وروسيا بما يسمح لأشخاص مثل وزير الخارجية تيلرسون ووزير الدفاع جيمس ماتيس ومستشار الأمن القومي هربرت مكماستر بأن تكون لهم كلمة أكبر في رسم السياسة الأميركية، بما في ذلك تجاه سوريا.

ليس ضروريا أن يحصل نجاح أميركي في سوريا. الأمر الوحيد الأكيد أن روسيا لن تكون قادرة على وضع يدها على البلد وتحديد مستقبله وحدها. تبدو القضية السورية مع مرور كلّ يوم في غاية التعقيد، بل تزداد تعقيدا، ولن تحلها البراميل المتفجرة ولا الميليشيات المذهبية التابعة لإيران ولا القاذفات الروسية بكلّ أنواعها.

الأمر الوحيد الثابت أن من يريد المحافظة على وحدة سوريا لا يسير في الخط الإيراني ولا يراهن على بشّار الأسد. مثل هذا الرهان يظلّ الطريق الأقصر لتفتيت سوريا أكثر مما هي مفتّتة تنفيذا قبل كلّ شيء لرغبات إسرائيل التي حصدت ثمار سبع سنوات من بقاء بشّار الأسد في دمشق على رغم الرفض الشعبي له. حصدت إسرائيل الجولان الذي صار في جيبها ولا أحد يسأل عنه. ولا شكّ أنّها ستحصل على المزيد كلّما بقي بشّار في دمشق بغض النظر عن حصول تغيير في واشنطن أو عدم حصول ذلك.

ثقافة عراقية أم ثقافة حقد عربي فارسي متبادل

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ قالت الأمم المتحدة إن الأطفال يشكلون نحو النصف من بين 2.6 مليون شخص نزحوا في العراق بسبب الحرب التي استمرت ثلاثة أعوام على تنظيم الدولة الإسلامية، وإن العنف المستمر يعرقل جهود تخفيف معاناتهم.

لهذا وجه رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي رسالة خطية إلى العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز يستغيث فيها بالرياض لمساعدة المناطق المنكوبة. وذكر فيها أن العراق يحتاج 100 مليار دولار لتحقيق التنمية معربا عن أمله بأن تكون السعودية حاضرة بقوة في مؤتمر الكويت للدول المانحة.

رد الملك سلمان بإيجابية. وأعرب عن استعداد بلاده لتقديم كل أنواع الدعم للعراق في إعادة البناء والإعمار لجعل العراق نموذجا في البناء التنموي السليم.

المشكلة في هذه الترتيبات هي البطء في التنفيذ وتفاقم معاناة النازحين الذي يجعل قلوبنا تنزف دما. فالوطنية هي دموعك حين ترى أطفال الموصل، ورغم أن في هذه الدموع مشاعر إنسانية غير أنها غزيرة أكثر من المعتاد. إنهم في النهاية أطفالك أو هكذا تشعر. لو أنك كلمتهم لردوا عليك بلهجة عراقية صافية.

كيف تكون السياسة بلا قلب؟ كيف لا نعاقب بالعقل؟ كيف لا نكون صادقين؟ لقد كان هؤلاء الأطفال سعداء في بيوتهم. من الذي أخرجهم من ديارهم وأبعدهم عن حضن أمهاتهم؟

ويقولون من تحت الأنقاض يستخرجون البنات الصغيرات. ويقولون دفن الأب حبيبته في حديقة المنزل. ويقولون هذا كله بسبب إيران ولا أعرف تماما ما علاقة إيران بالحرب على داعش؟ فالطائرات الأميركية قصفت والجيش العراقي حرر المدينة. حتى الحشد الشعبي لم يشارك في تحرير الموصل.

لم يظلم أحدنا إلا نفسه، لقد بيع أطفالنا بيعا. باعهم شيوخ الأنبار حين أهانوا جيش بلادهم بتحريض من دولة قطر. باعهم رجال الدين حين كفّرتْ طائفة من المسلمين أختها. باعهم العرب حين رأوا أن عليهم قتال إيران ولو بنهود الكواعب من بناتنا العراقيات.

لقد أوذي العراقيون كثيرا في حياتهم. فما ذنبنا إذا كان موقعنا الجغرافي بين إيران والدول العربية القوية ويتم التدافع العنيف بينهما على أرضنا. حتى عقولنا تشوّشت وضاعت معان كثيرة للبلاد وأهمها معنى الوطنية ومشاعر الأخوة بين العراقيين.

في الثمانينات من القرن الماضي دخل ضيف جديد سوف يغير التاريخ فيما بعد هو الكمبيوتر. هذا الجهاز الغريب كان مختلفا عن التلفزيون والراديو والسيارة. منذ البداية شعر العالم بأنه سيفجر التاريخ الحديث.

في تلك الفترة في العراق، رغم الحرب مع إيران والثقافة المتخلفة السائدة، كان في جامعة البصرة مبنى ضخما يسمّى علوم الحاسبات معظم طلابه كن فتيات جميلات. كان العراقيون يريدون اللحاق بالعالم. شعب حي وعنيد وقوي رغم سخافات صدام حسين وأناشيد الحرب التافهة.

الشعب العراقي كان متمسكا بالمستقبل وما أن انتهت الحرب حتى دخل صدام الكويت وحل الحصار والجوع والعزلة عن العالم. 13 عاما من العزلة الكاملة تقدمت خلالها الدول العربية كثيرا في تلك السنوات. حتى الدول الفقيرة مثل سوريا انتشرت فيها معاهد تعليم الكمبيوتر والبرمجة في كل مكان وكان الشباب السوري يتقدم بسرعة بينما العراقيون تتساقط أسنانهم من الجوع ونقص الكالسيوم ويحيط الظلام بعقولهم نتيجة العزلة.

وحين تم رفع الحصار باحتلال أميركي استبشر العراقيون خيرا، فربما يستطيع الشباب تعويض ما فات واللحاق بالعالم من جديد. وبعد عام واحد فقط من رفع الحصار ظهر أبومصعب الزرقاوي "المجرم" وصارت قناة الجزيرة تصفه بالأسطورة وانتشرت الدعوة السلفية والجهاد والمقاومة. بالاستمرار مع الفعل وردة الفعل غرق العراق بالدم.

الزرقاوي كان يتحدى "الروافض" وهو ربما كان يقصد الطالبات في جامعة البصرة اللواتي يحاولن تعويض الخسارة التي لحقت بأمهاتهن بسبب الحروب والحصار والعزلة. رجل أردني لا علاقة له بعذاب العراقيين ومعاناتهم. والمصيبة التي كسّرت الظهر كان السنّة في حالة صدمة بفقدانهم السلطة وبعضهم دون وعي كان متعاطفا مع خطاب الزرقاوي. كان هناك تحريض ودفع أموال ومنابر بعثية وسلفية.

نهض الشيعي العراقي وفتح عينيه على فضيحة. أبعد كل ما حدث له من قهر وحرمان وعزلة وجوع هناك من يهدده ويتوعده ويصفه بالرافضي. وبلمح البصر تحول شعب من الطيبين البسطاء إلى وحوش كاسرة من الغضب واحترق العراق.

إن الإصلاح لا يحتاج إلى 100 مليار دولار فقط كما يرى رئيس الوزراء حيدر العبادي بل إلى ثقافة وطنية جديدة. نحتاج إلى عناد وطني والتمسك بالبلاد وحماية الأجيال القادمة من الضياع. ربما علينا جميعا المساهمة في إعادة الروح إلى هذا الشعب الذي تحوّل، كما تقول اليونسيف، إلى مليون وثلاثمئة ألف طفل عراقي نازح وبحاجة إلى مساعدة.

شيعة العراق ليسوا ميليشيات ولا يجب تحميلهم المسؤولية عن تشريد الأطفال، فهذه جريمة الإرهاب والثقافة الداعشية والحقد بين قادة البلاد لأجل السلطة.

هل هناك ثورة دموية تم تصديرها في التاريخ أخطر من داعش السلفية الجهادية؟ شيعة العراق لا يمكنك محاججتهم بسهولة فهم زنادقة ومؤمنون مخلصون في الوقت نفسه. فهم يَرَوْن دولة قطر تتحالف مع إيران لتساعدها على استقبال كأس العالم بعد كل ذلك التحريض التاريخي العجيب ضد الشيعة.

هؤلاء الفلاحون البسطاء يبصقون على الأرض بغضب ويفكرون بأطفال الموصل. فقد خدعتهم الدعاية القطرية والثقافة السلفية وفتحوا باب المدينة للأعداء. والآن يقف العراقيون جميعا للبكاء على مدنهم وأطفالهم. لا يوجد عراقي واحد غير متألم. العراقي الإيزيدي الذي تم سبي زوجته وبناته وبيعهن في السوق يقف معنا ويبكي على الموصل فهي مدينته في النهاية والعدو هو واحد لا يوجد له اسم آخر سوى الإرهاب والتطرف.

علينا نسيان الماضي فكل الشعوب تبدّل قيمها وتتغير. بريطانيا تشرشل مثلا مختلفة تماما عن بريطانيا تيريزا ماي، وألمانيا ميركل تختلف جذريا عن ألمانيا هتلر وبسمارك. أوروبا التي أسست شركات الرقيق تختلف عن أوروبا حقوق الإنسان. التاريخ يتحرك والشعوب تنسى وتتغير، فلماذا نحن لا نتغير؟

كان الفتح العربي لفارس في القرن السابع الميلادي قاسيا. فالرجال سقطوا صرعى والزوجات أصبحن سبايا مقيدات. وهكذا ملأ أيتام فارس الطرقات وشوهد أبولؤلؤة فيروز على نهر دجلة يحتضن الأطفال ويبكي في المدائن وهو يقول "كسر قلبي أيتام فارس" وأقسم مولى المغيرة بن شعبة على أن يقتل كبير العرب غيلة.

> الإصلاح لا يحتاج إلى 100 مليار دولار فقط كما يرى رئيس الوزراء حيدر العبادي بل إلى ثقافة وطنية جديدة. نحتاج إلى عناد وطني والتمسك بالبلاد وحماية الأجيال القادمة من الضياع

منذ ذلك الحين ونحن في ورطة وكأن التاريخ قد توقف عند لحظة واحدة تتم استعادتها عبر القرون وهو التدافع والحقد العربي الفارسي. كأن الزمن لم يمر ولم يتغير ومازلنا نجمع أيتام الموصل وننظر إليهم كثأر جديد مع الفرس، وهذا ليس في مصلحة الشعوب ومستقبلها.

الإيراني من جهة يرى سعد بن أبي وقّاص يحمل بنات فارس سبايا ويهدم المدائن، ويرى ابنه عمر بن سعد بن أبي وقّاص يحمل رأس الحسين على الرماح وحفيدات النبي سبايا إلى دمشق، ويرى الطيار العراقي في الحرب يقصف أطفال طهران ويبيد أحياء بأكملها دون رحمة.

والعربي من جهة ثانية يرى أبولؤلؤة يطعن عمر بن الخطاب عشر طعنات في محرابه ثم يطعن نفسه "أول انتحاري في تاريخ الإسلام" ويرى إسماعيل الصفوي يفتك بأهل السنة، ويرى قاسم سليماني يهدم الموصل. هذه ثقافة مخادعة ويجب أن تتوقف لأنها بيت الأحقاد والخراب. لا يوجد خلاص سوى نسيان الماضي واستدعاء قيم جديدة هي حقوق الإنسان والحضارة المعاصرة.

جيل حرم من رفاه الطفولة

الفاشية المقنّعة بين السيء والأسوأ على ضفتي الأطلسي

طارق القيزاني
كاتب تونسي

❏ إذا كان العالم يحفل بالكثير من الدول "الحثالىٰ"، علىٰ حد تعبير الرئيس الأميركي دونالد ترامب، فإنه بلا شك يحفل أيضا بالكثير من الحكومات الفاشية المتدثرة برداء الديمقراطية.

إن الدول التي تفرض قيودا مجحفة وإجراءات بيروقراطية معقدة بوجه الهجرة والمهاجرين واللاجئين فوق أراضيها، بدعوى الموانع التي تفرضها القوانين المحلية، هي دول لا يمكن الوثوق في خطابها السياسي الرسمي علىٰ الرغم من أنها تدعي الانفتاح والتسامح واحترام الديمقراطية وتؤمن بكونية حقوق الإنسان.

ويأتي التصريح الأخير للرئيس الأميركي دونالد ترامب، بتفضيله لهجرة الأنغلوساكسون بدل الأفارقة والهايتيين، ليعري الكثير من ازدواجية المعايير والنفاق الدولي في التعاطي مع ظاهرة الهجرة وحقوق المهاجرين. وربما ميزة ترامب في هذا، حتىٰ وإن كان محسوبا علىٰ اليمين، أنه ينطق علنا بما يضمره جزء كبير من الساسة وقادة الرأي في الولايات المتحدة.

> التصريح الأخير للرئيس الأميركي دونالد ترامب بتفضيله لهجرة الأنغلوساكسون بدل الأفارقة والهايتيين، يأتي ليعري الكثير من ازدواجية المعايير والنفاق الدولي في التعاطي مع ظاهرة الهجرة وحقوق المهاجرين

ومع أن أميركا أمّة قامت علىٰ سواعد المهاجرين وبنت ريادتها بفضل توافد الأنغلوساكسون كما باقي الوافدين الأوروبيين ومن أميركا اللاتينية ومختلف شعوب العالم دون نسيان السكان الأصليين، فإنها لا تقدم اليوم المثال الأفضل لمجتمع "مزيج الوعاء" الذي طالما تغنىٰ به المؤسسون.

وعلىٰ العكس من ذلك، فإن المسار السيء الذي تسلكه إدارة ترامب لا يكتفي فقط بمعاداة المهاجرين واللاجئين بل إنه ينفض الغبار عن مئات الآلاف من المقيمين الوافدين منذ سنوات طويلة داخل الولايات المتحدة ليتحولوا بين ليلة وضحاها إلى مهاجرين غير مرحب بهم ومهددين بالطرد، مع أن أغلبهم يمتع بإقامات مؤقتة في ولاية الرئيس السابق باراك أوباما.

وإذا كان مناصرو ترامب يجدون في شعار "أميركا أولا" مبررا للسياسات الحالية المناهضة للهجرة والانفتاح، فإنه يتوجب في المقابل السؤال عن المستفيدين من هذا الشعار، وما إذا كان القصد منه منح الأولوية لأحفاد المكتشفين للعالم الجديد أم أبناء المؤسسين والمستعمرين الأنغلوساكسون والفرنسيين، أم السكان الأصليين من الهنود الحمر، أو حتىٰ ربما عصر ما قبل كريستوف كولومبس.

وفي كل النماذج المشار إليها وهي المكونة للهوية الأميركية المعاصرة اليوم، لا يجد الشعار الجديد أي مبرر له علىٰ أرض الواقع، سوى أنه يتضارب مع القيم التي نادى بها الرئيس أبراهام لينكولن ويتعارض أخلاقيا مع حقيقة تأسيس الولايات المتحدة وتشكل ملامح المجتمع الأميركي القائم في جوهره علىٰ التنوع والانصهار.

لا شك أن العالم، ولا سيما الحلفاء التقليديين علىٰ الجهة المقابلة من الأطلسي، يرقب ما ستؤول إليه التحولات المثيرة علىٰ السياسة الأميركية والخطاب الأميركي عموما، ليس فقط فيما يرتبط بالهجرة وإنما أيضا فيما يتعلق بمستقبل التجارة العالمية والأمن ومكافحة التغير المناخي، في ظل سياسة التملّص التي تبديها إدارة ترامب.

لكن سيكون أيضا من باب الإجحاف أن تقتصر الهواجس وحالة الترقب عما سيبدر مستقبلا من الإدارة الأميركية اليمينية فحسب. إذ ربما يتعين علىٰ الأوروبيين بالذات أن يعدلوا منصات نقدهم الموجهة إلىٰ واشنطن بنفس القدر إلىٰ الداخل، علىٰ الأقل فيما يرتبط بملف الهجرة وحقوق الإنسان.

ومن واشنطن إلىٰ برلين وإلىٰ عدة عواصم غربية وحتىٰ عربية، تتجاهل الحكومات المحلية أكثر من أي وقت مضىٰ ما تقره القوانين الدولية، ليس أقلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948) واتفاقية جنيف (1951)، بل هناك التفاف علىٰ تلك الالتزامات الدولية عبر فرض إجراءات غير أخلاقية وحواجز ترتقي إلىٰ الممارسات الفاشية بوجه اللاجئين، ضد الحق في الإقامة الدائمة والعمل، وبشكل خاص الحق في لم الشمل العائلي.

وفي ألمانيا، التي فتحت ذراعها لنحو مليون مهاجر أغلبهم سوريون، بعد انتشار صور الطفل الكردي الغريق آيلان في رحلة لجوء من تركيا، يعيش اليوم مئات الآلاف تحت هاجس الخوف من الترحيل بينما يعاني الكثيرون من صعوبات كبرى في لم شمل عائلاتهم بسبب عدة تعقيدات بيروقراطية وشروط مجحفة. وقد يجد الكثير من المهاجرين أنفسهم يدفعون كلفة التفاهمات السياسية لأحزاب الائتلاف الجديد في برلين بشكل خاص في ملف الهجرة الشائك.

فرنسا نفسها مهد التنوير وحقوق الإنسان الكونية، ليست بعيدة عن الجدل الأخلاقي. فمع أنها كانت ربحت معركتها الانتخابية بإعلانها بأغلبية ساحقة رفض القيم اليمينية للجبهة الوطنية والانقلاب علىٰ الإرث التنويري، فإنها تبدي اليوم تململا يتجه إلىٰ وضع قيود جديدة أكثر صرامة علىٰ الهجرة واللجوء.

ومن المتوقع أن تصاغ هذه القيود ضمن قانون جديد تستعد الحكومة لمناقشته قريبا، حيث سيتيح بحسب التسريبات الأولىٰ في الصحافة الفرنسية، الفصل أكثر بين طالبي اللجوء والمهاجرين الاقتصاديين بجانب تعقب المهاجرين غير الحائزين علىٰ إقامات علىٰ نحو مخالف للسياسات السابقة، ما يعني عمليا ارتفاع متوقع لعدد المرحّلين مستقبلا.

لا يمكن لمثل هذه الإجراءات المتشددة أن تخدم الإنسانية بقدر ما تسهم في تفكيك الأسر ونشر اليأس والإحباط لدى المهاجرين وزيادة المزيد من الحواجز بوجه حرية التنقل، والأهم من ذلك فإن هذه السياسات تستدعي بكل وضوح مراجعة القيم الليبرالية التي سوّق لها الغرب ومعايير الحقوق الكونية ومدى إلزامية القوانين الدولية، خاصة لدى دول تعرف نفسها اليوم كحاملة للواء الإنسانية والديمقراطية.

شعار أميركا أولا قد يحولها إلى أميركا المعزولة

ترامب غير مرحب به في دافوس

❏ **دافوس (سويسرا)** – يستضيف منتجع دافوس في جبال الألب السويسرية الأسبوع المقبل المنتدى الاقتصادي العالمي الذي تشارك فيه النخب السياسية والاقتصادية لكن برنامجه لن يكون بهدوئه المعهود مع مجيء الرئيس الأميركي دونالد ترامب صاحب شعار "أميركا أولا".

ويشارك 70 رئيس دولة وحكومة وأرباب عمل وأصحاب ملايين ومشاهير في المنتدى الذي تستمر أعماله من الثلاثاء إلىٰ الجمعة في شرق سويسرا، حيث الموضوع الأساسي علىٰ جدول الأعمال سيكون "بناء مستقبل مشترك في عالم متجزأ".

ولكن هذه النوايا الحسنة ستصطدم بالمشاركة غير المتوقعة لترامب التي ستكون الأولىٰ لرئيس الأميركي منذ بيل كلينتون في العام 2000.

ويقول دوغلاس ريديكر، من مؤسسة "بروكينغز" والممثل الأميركي السابق لدى صندوق النقد الدولي، إبان إدارة الرئيس السابق باراك أوباما، إن "التناقض مع شعار 'أميركا أولا' كبير جدا".

وقال ترامب، في مقابلة مع صحيفة "وول ستريت جورنال"، إنه سيدافع عن النمو الأميركي القوي والميل التراجعي للبطالة والأرقام القياسية في وول ستريت.

وستكون كلمته في ختام المنتدى الجمعة النقطة الأبرز في الطاولات المستديرة ومآدب العشاء وغيرها من الجلسات التي ستشارك فيها النخب العالمية التي غالبا ما ينتقدها ترامب.

ومن بين المشاركين في المنتدى الذي سيعقد علىٰ علو 1550 مترا كبار رجال الأعمال علىٰ غرار جورج سوروس ولويد بلانكفيد رئيس مجلس إدارة مصرف غولدمان ساكس الذي استهدفته الحملة الانتخابية لترامب.

ويستضيف المنتدى رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو الذي تخوض بلاده صراع قوة علىٰ الصعيد التجاري ورئيسة الحكومة البريطانية تيريزا ماي التي استهدفها ترامب بإحدى تغريداته اللاذعة المعهودة.

وسيسعىٰ المنتدى إلىٰ تمثيل جديد لحمل شعلة العولمة والتبادل الحر. وفي العالم 2017، تولىٰ الرئيس الصيني شي جين بينغ هذه المهمة ولقي ترحيبا من الحضور الذي كان لا يزال تحت وطأة صدمة بريكست والانتخابات الأميركية.

ويلقي الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي رد علىٰ شعار نظيره الأميركي "لنعيد إلىٰ أميركا عظمتها" بـ"لنعيد إلىٰ الأرض عظمتها" كلمة الأربعاء لكن هل ستلقىٰ تأييدا؟ كما ستلقي المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل كلمة في اليوم نفسه بعد أن قررت المشاركة في اللحظة الأخيرة.

الحكومة الأميركية خارج الخدمة

إغلاق الإدارات الفيدرالية بسبب خلاف الجمهوريين والديمقراطيين حول الموازنة

❏ **واشنطن** – قال السيناتور الجمهوري من ولاية لويزيانا جون كينيدي إن "بلادنا أسسها عباقرة لكن يديرها أغبياء"، مختصرا بذلك الأجواء العامة في الولايات المتحدة الأميركية علىٰ وقع الخلاف في الكونغرس بين الجمهوريين والديمقراطيين في مجلس الشيوخ حول الموازنة، والذي أدى إلىٰ إصابة البلاد بشلل تام وتوقف أغلب مؤسسات الحكومة الفيدرالية عن تقديم الخدمات.

ورغم المباحثات المكثفة في الأيام الأخيرة فشلت الغالبية الجمهورية والمعارضة الديمقراطية والبيت الأبيض في الاتفاق علىٰ موازنة ولو مؤقتة كانت ستتيح تفادي "الشلل" الذي دخل حيز التنفيذ منتصف ليلة الجمعة/السبت.

وتبادل الجمهوريون والديمقراطيون علىٰ الفور الاتهامات بتحمل مسؤولية الإغلاق، فيما قال الرئيس الأميركي دونالد ترامب السبت، إن الديمقراطيين يبدون اهتماما أكبر بـ"اللاجئين غير الشرعيين" علىٰ حساب الجيش أو أمن حدود البلاد.

وغرد في ساعة مبكرة أن "الديمقراطيين يولون اهتماما بالمهاجرين الشرعيين أكثر منه بجيشنا العظيم أو الأمن علىٰ حدودنا الجنوبية المحفوفة بالخطر.. كان بإمكانهم التوصل إلىٰ اتفاق بسهولة لكنهم فضلوا علىٰ ذلك سياسة الشلل".

وفي ذات التوجه، قال زعيم الغالبية الجمهورية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل متوجها إلىٰ الديمقراطيين، إن إغلاق الإدارات الفيدرالية "كان بالإمكان تفاديه 100 بالمئة". إلا أن زعيم هذه الأقلية تشاك شومر ردّ عليه بأن "الإغلاق سيسمىٰ 'شلل ترامب' لأن لا أحد سوى الرئيس يمكن تحميله مسؤولية الوضع الذي نحن فيه".

ولم يحصل الجمهوريون الذي يشكلون غالبية بـ51 مقعدا في مجلس الشيوخ سوى علىٰ خمسين صوتا، بفارق كبير عن الأصوات الستين (من أصل مئة سيناتور) الضرورية لتمديد الموازنة أربعة أسابيع حتىٰ 16 فبراير.

وهي المرة الأولىٰ التي يطبق فيها هذا الإجراء منذ أكتوبر 2013. وقد استمر 16 يوما. وسيترجم ببطالة تقنية بلا أجور لأكثر من 850 ألف موظف فيدرالي يعتبرون "غير أساسيين" لعمل الإدارة.

وكلف التعطيل الذي شهدته البلاد عام 2013، دافعي الضرائب من الأميركيين خسائر بلغت 24 مليار دولار، وبحسب إحصاءات أصدرتها شركة "ستاندرد آند بورز"، فإن ذلك التعطيل خفض نمو الناتج المحلي الإجمالي المتوقع في الربع الرابع من العام المالي من 3 بالمئة إلىٰ 2.4 بالمئة.

ويوضح تقرير لوس أنجلوس تايمز أن سبب الهدر مرده أنه في كل عام يجب أن يوافق الكونغرس علىٰ عدة قوانين تعرف بقوانين المخصصات المالية، والتي من شأنها توفير الأموال للوكالات الفيدرالية.

وبحسب القانون الفيدرالي، فإن أي وكالة ليس لديها قانون مخصصات سارٍ يعني ذلك أنها لن تكون قادرة علىٰ صرف الأموال المخصصة لها، وبذلك فإنه يتم تعطيل عملها.

وتعذر تحديد إلىٰ متىٰ سيستمر هذا الإغلاق الجديد، إذ من المفترض أن تستأنف المفاوضات بين المعسكرين سريعا. وكان الديمقراطيون أكدوا أنهم لن يصوتوا علىٰ مشروع قانون لا يشمل تمويلا علىٰ المدى الطويل لبرنامج "تشيب" للتأمين الصحي الحكومي للأطفال الفقراء.

ويطالبون بإيجاد حل لنحو 690 ألفا ممن يسمون "الحالمين" (دريمرز) وهم من الشباب والبالغين الشباب الذين دخلوا الولايات المتحدة بشكل غير شرعي عندما كانوا أطفالا وباتوا مهددين بالطرد بعد إلغاء برنامج "داكا" الذي أقرته إدارة باراك أوباما ومنحهم تصريحا مؤقتا بالإقامة.

ووجه مسؤول الموازنة لدى البيت الأبيض مايك مولفاني مذكرة إلىٰ الإدارات الفيدرالية طالب فيها بالاستعداد إلىٰ "إغلاق فعلي".

وستبدأ الآثار الأولىٰ للإغلاق بالظهور فعليا الاثنين. فنشاطات العديد من الوكالات الفيدرالية كإدارات الضرائب ستصبح محدودة، لكن الأجهزة الأمنية لن تتأثر بشكل عام. والعسكريون الأميركيون البالغ عددهم 1.4 مليون شخص سيواصلون عملياتهم لكن دون أن يتلقوا أجورا.

وأصدرت وزارة الدفاع الخميس أمرا بأن "كل العاملين العسكريين سيواصلون عملهم بشكل طبيعي". لكنّ عددا كبيرا من المدنيين في الوزارتين بينهم نحو ثلاثة أرباع المدنيين الـ640 ألفا العاملين في البنتاغون سيلزمون منازلهم.

ومن شأن ذلك أن يؤدي إلىٰ تباطؤ العمل ويمكن أن يؤثر علىٰ قطاع الدفاع الخاص الضخم الذي يعتمد علىٰ العقود المبرمة مع البنتاغون. وفي المقابل، سيواصل موظفو الجمارك ودوريات الحدود ووزارة الهجرة وهيئة الجنسية والهجرة عملهم علىٰ الحدود البرية والبحرية والجوية للبلاد. كما لن يتوقف التحقيق الذي يتولاه المحقق المستقل روبرت مولر حول تواطؤ محتمل بين الفريق الانتخابي للرئيس دونالد ترامب وموسكو.

وأعلنت الهيئة الفيدرالية للطيران التي تشرف علىٰ الرحلات الجوية أنها ستواصل العمل وأن المطارات ستظل مفتوحة أمام المسافرين.وكان مجلس النواب، حيث يتمتع الجمهوريون بالغالبية، أقر مساء الخميس تمديد العمل بشكل مؤقت بتمويل الإدارات الفيدرالية التي تنص أيضا علىٰ استمرار العمل لمدة ست سنوات في برنامج "تشيب" بطلب من الديمقراطيين.

وتأمل الغالبية الجمهورية بإقرار موازنة للعام 2018 تعزز النفقات العسكرية، أحد وعود الحملة الانتخابية لترامب الذي اعتبر أن القوات المسلحة تنقصها التجهيزات بعد أكثر من 16 عاما من الحروب دون توقف.

ويفكر أعضاء الكونغرس في انتخابات منتصف الولاية في نوفمبر المقبل. ويعتبر الديمقراطيون أن الجمهوريين الذين يمسكون بكل مقاليد السلطة من البيت الأبيض ومجلسي النواب والشيوخ سيتحملون مسؤولية الشلل وسيدفعون ثمنا غاليا. أما الجمهوريون فيأملون في استغلال "الإغلاق" لمعاقبة أعضاء مجلس الشيوخ من الديمقراطيين الذين سيترشحون إلىٰ ولاية ثانية في عشر ولايات فاز فيها ترامب خلال حملته الانتخابية الرئاسية.

كل شيء معطل

صفقة بلير وبوش مع القذافي للخروج من مأزق حرب العراق:

تسليم المعارضين مقابل الاعتراف العلني بوقف البرنامج النووي

منصف الخروبي

❑ بعد سقوط نظام معمر القذافي في 2011، عمت الفوضى ليبيا وتم اقتحام العديد من المكاتب والمؤسسات التابعة للنظام بشكل عشوائي. وتم حرق وتدمير وسرقة محتويات هذه المؤسسات وتبعثر في خضم عمليات الاقتحام الكثير من الأوراق والملفات في غاية الأهمية. من ذلك، ملفات كشفت عن بعض تفاصيلها صحيفة الغارديان تتحدث عن حقيقة العلاقة بين نظام القذافي والحكومة البريطانية، خصوصا في عهد طوني بلير، فرغم الخلافات البادية للعلن، إلا أن التقارب بين نظام القذافي والغرب ما بعد الحادي عشر من سبتمبر كان أعمق بكثير مما كان يُعرف سابقا، فيما يتعلق بالحرب على العراق وصفقة تدمير برنامج الأسلحة النووية الليبي مقابل تصفية المخابرات الغربية لمعارضي القذافي وخصومه من الليبيين في الخارج.

وكشف عن تفاصيل هذا التعاون وأسراره الكاتب في صحيفة الغارديان إيان كوبين، الذي قال إنه جمع تفاصيل الترتيبات بين أجهزة الاستخبارات الأميركية والبريطانية والليبية من الآلاف من الصفحات والوثائق التي وجدت في مكاتب جهاز الأمن الخارجي وفي عدة مراكز حكومية وسجون ومساكن لبعض المسؤولين.

ودعم كوبين ما جاء في هذه الوثائق بمقابلات مع مسؤولين حكوميين وضحايا برنامج الترحيل القسري ومن وثائق حكومية بريطانية تم الكشف عنها في إطار قانون حرية المعلومة وأثناء تحقيق مطول أجرته سكوتلاند يارد وعدد من المحاكمات المدنية. وتبيّن الوثائق والشهادات أن أجهزة المخابرات البريطانية كانت مستعدة لارتكاب انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان لحساب القذافي، وذلك سعيا إلى التقرب منه والتأثير على سلوكه في المستقبل.

وتم الحديث كثيرا عن إعلان القذافي تخليه عن طموحه للحصول على أسلحة الدمار الشامل إضافة إلى إمضائه على صفقات تصدير للنفط والغاز بعدة ملايين من الدولارات. لكن المسكوت عنه هو عمليات الاختطاف والاعتقال والتعذيب التي نفذتها وساعدت وكالة الاستخبارات المركزي الأميركية "سي آي إيه" وجهاز الاستخبارات الخارجية البريطاني "أم أي 6".

المعارضون مقابل النووي

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، تكثفت جهود المخابرات الأميركية والأوروبية من أجل الكشف عن الإرهابيين الإسلاميين وخططهم. وارتأت قيادات هذه المخابرات ضرورة التعاون مع أجهزة الاستخبارات في العالم العربي وخلق روابط وثيقة معها من أجل تحديد المشتبه بهم في كافة أنحاء العالم والقبض عليه بأي طريقة كانت، حتى الاختطاف وتتبّعهم من دولة إلى أخرى والتنصّت عليهم.

وهذا البرنامج هو نسخة من برنامج مشابه أطلقته "سي آي إيه" في منتصف التسعينات لخطف واستجواب الجهاديين في البوسنة. وأطلق على نسخة 2001 اسم الترحيل السري. وعملا بهذا البرنامج تعاونت "السي آي إيه" و"الأم أي 6" مع جهاز الأمن الخارجي الليبي، وهي وكالة الاستخبارات الخارجية سيئة الذكر في عهد معمر القذافي.

> بعد سقوط القذافي اكتشف مجلس الانتقال الوطني الليبي أن الزعيم الليبي يخفي في مستودع ناء جنوب ليبيا مخزونات كبيرة من الأسلحة الكيميائية وقذائف مدفعية لغاز الخردل، ليتبين أن بريطانيا وأميركا عقدتا صفقة خاسرة مع القذافي

وكانت الأجندة المعلنة هي معرفة المزيد حول الحركة الإسلامية المقاتلة بليبيا لكن ذلك سيتغير في العام الموالي 2002)) حالما رأى مارك آلان، رئيس قسم مكافحة الإرهاب في أم آي 6، والسياسيون البريطانيون فرصة للدخول في مفاوضات مع القذافي حول برنامجه لتطوير أسلحة دمار شامل.

وكانت الغاية، البحث عن مبرر لحرب العراق في ليبيا. فمنذ أواخر صيف 2003، بدأت الحرب على العراق تنقلب على الولايات المتحدة وحلفائها، بعدما اتضح أن أسلحة الدمار الشامل لدى صدام حسين التي برّرت الحرب في البداية لم تكن موجودة لكن إذا أمكن إقناع القذافي بالتخلي عن خططه النووية يمكن الادعاء سيكون للغزو ما يبرره.

ومقابل تعاون سي آي إيه وأم أي 6 مع النظام الليبي قدمت الوكالتان المساعدة للجواسيس الليبيين في اختطاف "أعداء" القذافي. ومن ذلك اختطاف قياديين في المعارضة الليبية هربا من البلاد، أحدهما كان في هونغ كونغ والثاني في تايلاند، وتم ترحيلهما إلى طرابلس مع زوجتيهما وأولادهما. وتعرض الرجلان إلى التعذيب وأخبرا تحت الإكراه الشديد عن منشقين ليبيين آخرين في المنفى.

واعتقلت الشرطة البريطانية معارضين لنظام القذافي كانوا يعيشون بشكل قانوني في المملكة المتحدة لسنوات. وتم استدعاء عملاء مخابرات ليبيين إلى المملكة المتحدة وسمح لهم بالعمل في الشوارع البريطانية إلى جانب نظرائهم في المخابرات الداخلية البريطانية (أم آي 5). كما سلمت المخابرات البريطانية تفاصيل عن المكالمات الهاتفية للمعارضين الليبيين إلى جهاز الأمن الخارجي الليبي وتم اعتقال وتهديد أقاربهم وأصدقائهم في ليبيا.

وكانت أجهزة الاستخبارات الغربية تعلم أن القذافي كان مذعورا في الفترة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر لأنه خشي قيام الولايات المتحدة بالانتقام منه خاصة وأن سجل بلده كدولة راعية للإرهاب يحوي الكثير من الأدلة الداعمة، من ذلك تفجير رحلة بنام 103 فوق مدينة لوكربي في سنة 1988، إضافة إلى تفجير ملهى ليلي في برلين الغربية سنة 1986 وحادثة إسقاط طائرة فرنسية فوق تشاد في سنة 1989 التي أسفرت عن 170 قتيلا، كما يجاهر القذافي بدعم منظمة "ايرا" (الجيش الجمهوري الأيرلندي) بالأسلحة.

وفي العشرين من سبتمبر 2001، بعد أربعة أيام من إقرار الولايات المتحدة لبرنامج تسليم المشتبه فيهم، كان مارك آلان، يجلس وجها لوجه مع رئيس المخابرات الليبية موسى كوسا. وكان كوسا يحظى بثقة القذافي العمياء وهو واحد من القلائل القادرين على التهدئة من روع القذافي المذعور من إمكانية قيام الولايات المتحدة باستهداف بلده. ووفقا لبرقية أرسلها سفير الولايات المتحدة في القاهرة آنذاك، ديفيد ويلش، فإن القذافي كان يتصل بالقادة العرب من أجل عقد قمة لثني الولايات المتحدة عن شن هجوم على بلاده.

وتبيّن الأوراق السرية أن كوسا، الذي عمل مع القذافي لمدة عشرين عاما، عرض تزويد آلان بالبيانات التي تم الحصول عليها عبر استنطاق الرجال المعتقلين في السجون الليبية. وفي فاكس متابعة أرسل بعد أسبوعين قال آلان إنه "مهتم جدا بعمليات الاختراق المشتركة" ضد الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا.

وبعد الحادي عشر من سبتمبر وضعت الحكومة الأميركية الجماعة الإسلامية في قائمة التنظيمات الإرهابية. لكنها لم تكن محظورة في المملكة المتحدة في ذلك الوقت وكان الكثير من أفرادها قد فرّوا إلى بريطانيا إضافة إلى الصين وإيران. وكان زعيمها الروحي سامي الساعدي وعائلته من بين أولئك الذين استقروا في لندن لمدة وجيزة قبل الانتقال إلى طهران. وكانت الحكومة البريطانية متسامحة مع الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا التي تمكنت من إعادة لم الشمل وجمع التمويلات.

عودة العلاقات بين لندن وطرابلس

في 13 نوفمبر 2001، أمضى بوش أمرا عسكريا يجيز الاستخدام الواسع لترحيل المشتبه فيهم والتعذيب. وفي سياق محاربة الإرهاب منح قانون الأمن ومكافحة الإرهاب والجريمة في بريطانيا وزارة الداخلية التفويض لاعتقال الأفراد دون محاكمة، ومنح وكالات الاستخبارات المزيد من السلطة لاستهداف المشتبه بهم.

وبحلول أغسطس 2002، استعيدت العلاقات بين بريطانيا وليبيا، وتواصل بلير والقذافي عبر الهاتف ثم زار وزير الخارجية مايك أوبراين القذافي في سرت وسلمه رسالة من بلير. وكانت تلك أول زيارة منذ 1984 بعد أن قطعت المملكة المتحدة علاقاتها الدبلوماسية مع ليبيا على خلفية مقتل عون أمن بطلقات رصاص من داخل السفارة الليبية في لندن.

وعلى غير المعمول به في السياقات العادية، لم يشرف على أغلب الأعمال المتعلقة ببناء الشراكة بين البلدين بعد عودة العلاقات الوزراء أو حتى الدبلوماسيين، بل أعوان المخابرات وخاصة آلان وكوسا اللذين لديهما العديد من القواسم المشتركة وأصبحا صديقين حميمين.

وكان كوسا ممنوعا من دخول بريطانيا منذ يونيو 1980 بعد أن اعترف في حديثه مع صحيفة تايمز بأنه أعطى موافقته الشخصية على قتل مقيمين ليبيين في المملكة المتحدة بصفته رئيسا للمكتب الشعبي الليبي، أي السفارة الليبية في لندن وقتذاك. لكن، بعد 23 عاما عاد كوسا إلى بريطانيا بدعوة خاصة

المخابرات الليبية تزود لندن بأسماء المطلوبين والـ«أم أي 6» تلاحقانهم أينما كانوا

وحظي بكرم الضيافة على مرمى حجر من قصر باكنغهام في الفندق الفاخر ذي غورينغ.

ولا يبدو أنه تم الحديث عن جرائم القتل التي تورط فيها جهاز المخابرات الليبي، الذي كان يديره كوسا، في لندن قبل عقدين من الزمن، كما لم يوجد أي ذكر لعشر هجمات بالقنابل استهدفت خصوم القذافي في مانشستر ولندن في مارس 1984 وجرح فيها 29 شخصا. وبدلا من ذلك دار الحديث عن "مسائل ثنائية ودولية" وتبادل المعلومات الاستخباراتية وعن توفير سبل الراحة والأمان لسيف الإسلام القذافي الذي قبل في كلية لندن للاقتصاد. ثم تحول الحديث إلى خصوم القذافي السياسيين المقيمين في لندن.

وتبيّن الأوراق السرية أن آلان كان يجتمع بانتظام بضابط سي آي إيه الكبير ستيفن كابس لمناقشة الطرق التي يمكن التأكد من خلالها بأن القذافي تخلى عن طموحاته لتطوير أسلحة نووية وكيميائية وبيولوجية. وأثناء مناقشاتهما مع كوسا لم يتم التهديد بأي عقوبات، إذ لم تكن هناك حاجة لذلك بما أن الرجال الثلاثة كانوا على علم بأن القذافي كان مرتعبا من غزو أميركي. وفي الاجتماعات في طرابلس لم يناقش أعوان المخابرات البريطانية برنامج أسلحة الدمار الشامل فحسب بل وكذلك طرق استهداف معارضي القذافي وتحركاتهم في لندن وبرايتون في بريطانيا وبيشاور في باكستان ولوس أنجلوس بالولايات المتحدة.

وفي 25 نوفمبر 2002، قدمت المخابرات الليبية لنظيرتها الخارجية قائمة تضم 79 ناشطا في المعارضة الليبية وزعموا أن أغلبهم إن لم يكونوا كلهم كانوا أفرادا في الجماعة الإسلامية المقاتلة أو مساندين لها. وتعرض الليبيون الموجودون في المملكة المتحدة، سواء من أنصار الجماعة أو من بقية المعارضين، للإيقاف والتحقيق في المطارات وكانت هناك مداهمات شرطة على البيوت في لندن ومانشستر.

ويتحدث عن تلك الأجواء هشام مطر، الكاتب الليبي المقيم في بريطانيا، متذكرا "كنت إذا خرجت لتناول الطعام في لندن، أختار مقعدا يواجه باب المطعم أو قريب منه". ويضيف "لم يشعر أحد منّا بالأمان". وكان والد هشام مطر عضوا بارزا في مجموعة منشقة أخرى لا علاقة لها بالجماعة الإسلامية المقاتلة، واختفى في 1990 في عملية قام بها نظام القذافي.

وفي تلك الأثناء، بدا جليا للولايات المتحدة وحلفائها أن المهمة في العراق تتعقد. وفي السابع من أغسطس انفجرت سيارة مفخخة خارج السفارة الأردنية في بغداد، ما أسفر عن مقتل 17 شخصا وإصابة العشرات. وبعد 12 يوما، انفجرت قنبلة ضخمة كانت قد وُضعت داخل شاحنة أمام مقر الأمم المتحدة في فندق القناة ببغداد، ما أسفر عن مقتل الممثل الخاص للأمم المتحدة سيرجيو فييرا دي ميلو و21 آخرين. وأعلن رئيس المجموعة التي وُكلت بالتفتيش في العراق من أجل إيجاد أسلحة الدمار الشامل المزعومة؛ أنه لا يُوجد أي دليل يُذكر على وجود هذه الأسلحة. وبدأت أصوات التنديد تعلو في كل مكان في مختلف أنحاء العالم.

وعندها رأت واشنطن وبريطانيا أنهما إذا نجحتا في نزع سلاح القذافي وربط ذلك النجاح بالحرب في العراق، فلن يبدو الغزو خطأ فادحا، خاصة وأن فكرة "ترويض" القذافي قد تلاقي قبولا ودعما من الدول الإقليمية. ومع زيادة التقارب بين لندن وطرابلس، كتب بلير إلى القذافي مقترحا أن العقوبات التي كانت تعيق صناعة النفط في بلاده وتضع عبئا هائلا على اقتصادها، قد ترفع إذا وافق على التخلي عن أسلحة الدمار الشامل التي كانت مصدر قلق بالغ للغرب.

وكان القذافي يحاول تطوير قدرات نووية منذ مطلع السبعينات وذلك عن طريق شراء أسلحة هندية الصنع في البداية ثم عن طريق الوصول إلى خام الأورانيوم وتكنولوجيا التخصيب. ورد كوسا في اجتماعه مع آلان وكابس أن الحكومة الليبية ستتخلص من هذا البرنامج وقبلت في هذه المرحلة بأنه "لا مجال للتملص والمراوغة أو الالتواء".

ولكن، رغم التزام القذافي بالتخلص من برنامج الأسلحة النووية والكيميائية تم اعتراض سفينة متوجهة إلى ليبيا تحمل بعض حاوياتها آلاف المكونات لآلات الطرد المركزي صنعت في ماليزيا. وأبلغ القذافي عن طريق كوسا عبر رسائل من بلير وبوش أن الغرب على علم بأن الليبيين يمضون قدما في برنامج الأسلحة النووية بينما يتظاهرون بتفكيكها.

وإثر ذلك بأيام تحول فريق تفتيش أميركي وبريطاني إلى ليبيا. وحسب تقارير إخبارية لاحقة في الولايات المتحدة اكتشف المفتشون أدلة على برنامج أسلحة كيميائية في مراحله الأولى ومشروع أسلحة نووية كان في مرحلة متقدمة بشكل مفاجئ. وبدأ العمل على تفكيك منشآت الأسلحة التابعة لنظام القذافي. ودخلت روسيا على خط المساعدة في التخلص من كمية 13 كيلوغراما من اليورانيوم المخصب. واستغرقت العملية برمتها أربعة أشهر.

وتم الاتفاق مع ليبيا بأن يعلن القذافي بنفسه عبر التلفزيون الليبي عن تخليه عن طموحاته المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل، وكان مقررا أيضا أن يقدم كل من بلير وبوش كلمة حول الموضوع. لكن القذافي، المعروف بنزواته، قرر في آخر دقيقة بأنه لن يفعل ذلك وقدم وزير خارجيته الإعلان مكانه. وبعد ذلك عبّر بلير وبوش والعديد من مؤيدي الحرب العراقية بأن نزع سلاح القذافي بيّن أن الحرب كان لها ما يبررها.

وفي 25 مارس 2004، زار بلير ليبيا لأول مرة وأعلن من هناك أن ليبيا "وجدت قضية مشتركة معنا في محاربة التطرف والإرهاب". وفي الوقت نفسه تم في لندن الإعلان عن أن شركة شال العملاقة الإنكليزية الهولندية أمضت صفقة بمبلغ 110 مليون جنيه إسترليني للحصول على حقوق التنقيب عن الغاز قبالة السواحل الليبية.

وبعد يومين من ذلك جرت عملية تسليم سامي الساعدي. وكان الساعدي انتقل إلى الصين مع زوجته كريمة وأربعة من أبنائه وحاولت العائلة الرجوع إلى لندن فاتصل بجهاز الاستخبارات الداخلية البريطانية أم آي 5 عبر وسيط للاستفسار عن إمكانية العودة لكن سلطات الهجرة في هونغ كونغ اعتقلت العائلة وتم ترحيلها إلى ليبيا على متن طائرة مصرية وعند وصولها أخذوا جميعا إلى سجن تاجوراء. ولاحقا أفرج على زوجة الساعدي وأبنائه فيما بقي هو في السجن لستة سنوات.

وفي صائفة تلك السنة (2004) غادر آلان أم آي 6 وعُيّن مستشارا لشركة بريتش بتروليوم، وفي آخر تلك السنة تحصل على وسام فروسية. وفي سنة 2005 تم حظر الجماعة الإسلامية المقاتلة في المملكة المتحدة وحوكم البعض من أعضائها وتم اعتقال عدد آخر من مؤيديها في انتظار ترحيلهم إلى ليبيا. وأمضت المملكة المتحدة مذكرة تفاهم مع نظام القذافي تعهد بموجبها الليبيون بعدم إعدام أو تعذيب أو سوء معاملة أي شخص تمت إعادته بشكل قسري. بيد أن الحكومة أخفقت في ترحيل معتقليها بعد أن قضت المحاكم بأن أي شخص يعاد إلى ذلك البلد لن يكون له أي أمل في محاكمة عادلة.

ولم تكن المخابرات البريطانية في الواقع تؤمن بأن الاعتقال والتحقيق مع هؤلاء الرجال جعلا المملكة المتحدة أو العالم مكانا أكثر أمانا. وهذا ما تعبر عنه مذكرة تفاهم أعدها جهاز المخابرات الداخلية أم آي 5 تحضيرا لزيارة إلى طرابلس في فبراير 2005 تقول إن الجماعة الإسلامية المقاتلة "ألقي بها في حالة من الفوضى"، مضيفة أن هؤلاء الأشخاص كانوا دائما هم الضمانة لاستقلالية الجماعة عن الحركة الجهادية العالمية، لكنها في غيابهم تسقط الآن تحت تأثير الآخرين الذين قد يكونون يدفعون في اتجاه أجندات القاعدة.

> لتعزيز التعاون مع المخابرات الليبية تجاهلت بريطانيا اتهاماتها السابقة للقذافي بالتورط في هجمات إرهابية بعضها طال بريطانيا نفسها

وفي أبريل من العام 2007، كتب طوني بلير خطابا شخصيا للقذافي، بدأه قائلا "عزيزي معمر، أتمنى أن تكون أنت وأسرتك على ما يُرام. مع الأسف، أود أن أخبركم بأن الحكومة البريطانية لم تنجح في القضية الأخيرة والمتعلقة بالترحيل إلى ليبيا". وأعرب بلير عن شكره للقذافي شخصيا، وذلك على المساعدة التي قدمها للحكومة البريطانية والتعاون الممتاز بين وكالات المخابرات بالبلدين.

بعد 2011

في فبراير 2011، اندلعت الثورة ضد نظام القذافي من مدينة البيضاء. واستغرق الأمر ثمانية أشهر من القتال الضاري قبل أن يتمكن المتمردون بمساعدة حلف الناتو من إسقاط النظام. ولعب عبدالحكيم بلحاج، القيادي في الجماعة الإسلامية والذي ساعد البريطانيون في القبض عليه وترحيله إلى ليبيا، دورا في الثورة وعُيّن قائدا للميليشيا التي سيطرت على العاصمة طرابلس.

وقبض على القذافي الذي كان مختبئا في أنبوب صرف صحي. وأظهر مقطع فيديو صورا بواسطة هاتف جوال اللحظات الأخيرة للزعيم الليبي الذي بذلت المملكة المتحدة الكثير من الجهد من أجل الحصول على "صداقته". وقتل ثلاثة من أبناء القذافي أثناء الثورة بينما اعتقل المتمردون سيف الإسلام وقضى ست سنوات في السجن بعد أن تخلى عنه أصدقاؤه في لندن.

ونجا موظف كبير في نظام القذافي دون أذى وهو موسى كوسا الذي كان قد غادر البلاد بعد إخبار القذافي بأنه يحتاج إلى العلاج الطبي في تونس حيث استقل الطائرة إلى بريطانيا والتقى على الفور بأعوان أم آي 6 وبعد فترة وجيزة غادر بريطانيا واستقر في قطر.

وبعد سقوط القذافي ظهرت حقائق غير مريحة لبريطانيا بعد محاولتها لتجريد ليبيا من أسلحتها وجعلها حليفا في الحرب على الإرهاب. ففي مستودع ناء جنوب ليبيا اكتشف مجلس الانتقال الوطني الليبي أن القذافي أخفى مخزونات كبيرة من الأسلحة الكيميائية وقذائف مدفعية لغاز الخردل ومواد تستعمل لصنع أسلحة كيميائية أخرى. وهكذا تبيّن أن القذافي لم يغلق أبدا برنامج الأسلحة لديه وأن المملكة المتحدة والولايات المتحدة عقدتا صفقة خاسرة.

تونسي حالم مازال حبيس المفاهيم والمصطلحات

حمة الهمامي

هل يكفي أن تغير الأحزاب الشيوعية أسماءها؟

❑ **تونس** – عاد حمة الهمامي مؤسس حزب العمال الشيوعي، والناطق الرسمي باسم الائتلاف اليساري "الجبهة الشعبية"، إلى واجهة المشهد السياسي، وسط ضجيج متصاعد ارتفعت وتيرته على وقع الاحتجاجات التي عرفتها عدة مناطق من البلاد على خلفية غلاء المعيشة، وتدهور القدرة الشرائية لغالبية الفئات الاجتماعية.

> الاتهامات المباشرة التي يوجهها رئيس الحكومة يوسف الشاهد لـ«الجبهة الشعبية» بالوقوف وراء الاحتجاجات وما تخللتها من عمليات نهب وتخريب واعتداءات على الأملاك العامة والخاصة تساهم في تأجيج حضور حمة الهمامي إعلاميا، حتى بات واحدا من أبرز رموز المعارضة في تونس

وساهمت الاتهامات المباشرة التي وجهها رئيس الحكومة يوسف الشاهد لـ"الجبهة الشعبية" بالوقوف وراء الاحتجاجات وما تخللتها من عمليات نهب وتخريب واعتداءات على الأملاك العامة والخاصة، في تأجيج حضور الهمامي إعلاميا حتى بات واحدا من أبرز رموز المعارضة في تونس.

تمترس وراء الأيديولوجيا

ولد الهمامي في الثامن من يناير عام 1952 في بلدة "العروسة" من محافظة سليانة الواقعة على بعد نحو 120 كلم شمال غرب تونس العاصمة. وقد تربى في عائلة متوسطة الدخل، حيث استطاع مواصلة دراسته إلى أن حصل على الإجازة في الآداب العربية.

ويُعتبر الهمامي واحدا من أبرز الوجوه السياسية المعارضة التي عرفتها البلاد خلال الفترات الثلاث التي مرت بها تونس، أي فترة حكم الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة (1956–1987)، والرئيس الأسبق زين العابدين بن علي (1987–2011)، بالإضافة إلى المرحلة الراهنة التي بدأت بعد سقوط نظام بن علي في 14 يناير 2011.

وبدأ مشواره السياسي شيوعيا ثوريا، حيث انطلق نشاطه في العام 1970 عندما كان عمره 18 عاما، وذلك من خلال الحركة الطلابية، ليُعتقل لأول مرة وهو في سن العشرين، وذلك في العام 1972 بسبب مشاركته في أحداث ما يُعرف في تونس بـ"السبت الأسود"، ونشاطه في الاتحاد العام لطلبة تونس.

انضم الهمامي في العام 1973، إلى منظمة "آفاق العامل التونسي" ذات المرجعية الماركسية اللينينية التي كان نشاطها محظورا خلال تلك الفترة، ليتعرض بعد مُضي عامين على ذلك إلى الاعتقال، حيث أصدر القضاء حكما بسجنه لمدة 8 سنوات ونصف السنة، وقضى من مدة الحكم 6 سنوات.

في شهادته التي أدلى بها بعد سقوط نظام بن علي، يقول الهمامي إنه تعرض لتعذيب وصفه بـ"الوحشي" خلال فترة اعتقاله إبان حكم الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة، حيث تمّ إرساله بعد خروجه من السجن إلى فرنسا للعلاج على حساب الدولة التونسية.

الهمامي لم يتخل يوما عن أفكاره ومرجعيته الأيديولوجية، حيث سعى إلى إعادة تجميع اليسار بعد تشظي منظمة "آفاق العامل التونسي"، ليؤسس في العام 1986 حزب العمال الشيوعي.

لكن هذا الحزب لم يحصل على تأشيرة العمل القانوني، ليبقى نشاطه سريا إلى غاية وصول بن علي إلى السلطة في السابع من نوفمبر 1987، حيث سُمح للحزب في التسعينات من القرن الماضي بإصدار "البديل"، الصحيفة الناطقة باسمه، لكن دون تمكينه من ترخيص النشاط القانوني.

لكنه استطاع من خلال هذا الحزب تحقيق اختراقات عديدة ولا سيما في الوسط الطلابي، حيث كانت له خلايا شبابية نشيطة كثيرا ما أزعجت نظام بن علي بتحركاتها في سياق ما يُسميه بـ"النضال الثوري".

مواقفه السياسية مُستمدة من مرجعيته الفكرية التي أساسها الأيديولوجيا الماركسية اللينينية، حيث تمحور نشاطه السياسي والنقابي المناهض للحكومات المتعاقبة، حول المطالبة بالمزيد من الحريات النقابية والسياسية، وتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

وخلال فترة حكم بن علي، عُرف الهمامي بأنه أحد أبرز المعارضين، حيث كان الوحيد الذي رفض التوقيع على "الميثاق الوطني" الذي عرضه بن علي على الأحزاب التونسية في العام 1988، بهدف تنظيم الحياة السياسية، وهو الميثاق الذي وافقت عليه حركة النهضة، التي كانت في ذلك الوقت تنشط في السرية تحت اسم "الاتجاه الإسلامي".وعلى خلفية هذا الموقف من قبل الهمامي، تم إيقاف إصدار صحيفة "البديل"، وتعرّض إلى الملاحقة القانونية، حيث اعتقل وحوكم أكثر من مرة، كان آخرها في العام 2002.

العمل السري واللحظة الراهنة

يقول الهمامي في شهادته التي عرضتها بعض الإذاعات المحلية التونسية بمناسبة الذكرى السابعة لسقوط نظام بن علي، إنه قضى أكثر من 10 سنوات في السجن، وأكثر من 10 سنوات في العمل السري.وأثناء سنوات نضاله الطويلة، عُرف الهمامي بمواقفه الشرسة الرافضة للاتجاه الإسلامي، حيث كان أحد ألدّ خصوم الإسلاميين على الصعيد الطلابي، وكذلك على صعيد العمل السياسي العام، لكنه شارك عام 2005 في تأسيس هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات التي ضمّت في ذلك الوقت وجوها حقوقية ويسارية وقومية، ولكن أيضا إسلامية.

شكلت تلك المشاركة منعطفا في التفكير السياسي للهمامي، حيث بدأ يلجأ أحيانا إلى تكتيكات في المواقف تتعارض في جوانبها مع مرجعيته الأيديولوجية، لكن ذلك لم يحدّ من شعبيته وحضوره اللافتين في المشهد السياسي العام للبلاد.

الوزن السياسي والوزن النضالي

بقي الهمامي على تلك المواقف، وشارك بشكل واضح خلال الاحتجاجات الشعبية التي عرفتها تونس خلال الفترة في ما بين 17 ديسمبر 2010 و14 يناير 2011، حيث نشر في بداية شهر يناير 2011 على شبكة الإنترنت مقطع فيديو دعا فيه الشعب التونسي إلى "مواصلة الثورة وإسقاط النظام".

وعلى إثر نشر هذا الفيديو، اعتقلته السلطات ووضعته في أقبية وزارة الداخلية التي تجمّع أمامها في 14 يناير الآلاف من المتظاهرين للمطالبة بإطلاق سراحه، وبرحيل النظام، وهو ما حصل في ذلك الوقت.

بعد سقوط نظام بن علي، أصبح الهمامي من الوجوه السياسية الوازنة في البلاد، فهو من دعا إلى إعادة التأسيس للقطع مع النظام القديم، وهو ما تمّ بانتخاب المجلس التأسيسي، كما أنه يُعدّ من أبرز المنادين بالعفو التشريعي العام، وهو ما حصل.

واصل معارضته لحكومة محمد الغنوشي التي تولت الحكم في البلاد بعد رحيل بن علي. كما عارض أيضا حكومة الباجي قائد السبسي التي شكلها في العام 2011، إلى جانب رفضه المشاركة في الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي.

وفي يوليو 2011، عقد حزب العمال الشيوعي اول مؤتمر علني له، وهو مؤتمر تمّ خلاله التخلص من عبارة الشيوعي، ليُصبح اسم الحزب "حزب العمال" فقط، وهو ما فُهم منه بداية للتحول الفكري لدى هذا الحزب ومؤسسه الهمامي.

لكن هذا التحول لم ينعكس على جملة المواقف السياسية، حيث بقي حمة الهمامي معارضا لكل شيء، حتى بات يُوصف في البلاد بـ"أنا ضد"، وهو ما انعكس مباشرة على النتائج التي حققها خلال انتخابات العام 2011 للمجلس التأسيسي، وهي نتائج وصفت بـ"الهزيلة" و"مُخيّبة لآمال الشيوعيين".

تونس المشتعلة اليوم

واصل الهمامي مسيرته على نفس النهج على رأس حزب عمالي، ولكن من دون عمال، ليستعيض عنه بتكتيك التقاطع مع الأطراف اليسارية الأخرى القريبة منه، ويؤسس في أكتوبر من العام 2012 الائتلاف اليساري "الجبهة الشعبية" التي يتولى حاليا مهمة الناطق الرسمي باسمها.

وخاض الهمامي انتخابات أكتوبر 2014 بهذا الائتلاف الحزبي، حيث فاز بـ15 مقعدا برلمانيا، كما خاض الانتخابات الرئاسية لكنه انسحب في دورتها الأولى حيث جاء في المرتبة الثالثة (7.82 بالمئة من الأصوات)، وذلك بعد الباجي قائد السبسي ومنصف المرزوقي.

ورغم ذلك، واصل الهمامي التمسك بمواقفه، بل صعّد منها، ليتحول بذلك إلى المعارض الشرس للحكومة الحالية برئاسة يوسف الشاهد، وهو لا يتوقف عن الدعوة إلى إسقاطها، والتوجه نحو انتخابات تشريعية ورئاسية سابقة لأوانها "كمدخل ضروري لإخراج البلاد من الأزمة المركبة والعميقة التي تعيشها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا"، على حدّ قوله.

الهمامي يرى أن الحكومة الحالية هي نتاج توافق مغشوش بين حركتي نداء تونس والنهضة الإسلامية، وهي بذلك تُعبر عن "اليمين المُتوحش" الذي يُريد سحق الطبقة العاملة، ونهب قوت الشعب، وتفقيره، وهي بذلك لا تُعبر عن "الثورة" التي قام بها الشعب التونسي، بل هي "التفاف" على تلك الثورة، بحسب تعبيره.

خلافه مع حكومة الشاهد بدأ مباشرة بعد تعيين بعض الوزراء من حركة النهضة الإسلامية، وبعض الوجوه من النظام السابق، حيث وصفها بحكومة المحاصصة الحزبية، ليتطور الخلاف ويشمل الخيارات الاقتصادية التي انتهجتها الحكومة، وخاصة منها الاعتماد على تعبئة موارد مالية من المؤسسات المانحة، ما أغرق البلاد في المديونية.

يدعو الهمامي إلى منوال تنمية جديد، وإلى رفض سداد الديون السابقة، أو على الأقل المطالبة بإعادة جدولتها، وذلك في رؤية تُوصف في تونس بأنها "مراهقة" بالنظر إلى الإكراهات التي تواجهها الدولة التي يبدو أنها غريبة عن الهمامي الذي كثيرا ما يدعو إلى الاستئناس بالتجربة اليونانية.

ومع إقرار قانون المالية للعام 2018، صعد حمة الهمامي من خطابه المناهض للحكومة، حتى وصل به الأمر إلى الدعوة إلى التظاهر لإسقاط هذا القانون، لتندلع الاحتجاجات في البلاد، دون أن يتمكن من تأطيرها وتنظيمها، حتى اقتربت كثيرا من الفوضى.

ذلك هو حمة الهمامي الذي رغم تاريخه النضالي الطويل، مازال يحلم، دون أن يخرج من مربع المعارض لكل شيء، كأنه لم يُدرك بعد أن أغلب المفاهيم السياسية والاجتماعية تغيرت، وأن المشهد اليوم، لم يعد يحتمل مثل تلك المرجعيات الأيديولوجية.

> مواقفه السياسية يستمدها الهمامي من مرجعيته الفكرية التي أساسها الأيديولوجيا الماركسية اللينينية، ولذلك تمحور نشاطه السياسي والنقابي المناهض للحكومات المتعاقبة، حول المطالبة بالمزيد من الحريات النقابية والسياسية وتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية

● مؤسس حزب العمال الشيوعي يعتبر واحدا من أبرز الوجوه المعارضة التي عرفتها تونس خلال حكم بورقيبة، وحكم بن علي، والمرحلة الراهنة التي بدأت بعد سقوط نظام الأخير في 14 يناير 2011.

● الهمامي يرى أن الحكومة الحالية هي نتاج توافق مغشوش بين حركتي نداء تونس والنهضة الإسلامية، وهي بذلك تُعبر عن "اليمين المُتوحش" الذي يُريد سحق الطبقة العاملة.

خرافة أن يكون المرء مصريا

رفقي الرزاز يرسم بمزاج أسطوري يثق بالواقع

فاروق يوسف

❑ أن يكون المرء رساما مصريا فذلك أمر صعب أما أن يكون رساما مصريا حديثا فذلك أمر بالغ الصعوبة.

ولأن الحضارة المصرية هي بمثابة كنز للمفردات البصرية فقد سعى الكثير من الفنانين إلى استعارة تلك المفردات لتكون رمزا لمصريتهم.

ستكون حينها أمام "مصرية" جاهزة". هوية لن يكون التعرف عليها بيسر أمرا مثيرا ومغريا.

بعيدا عن المصرية الجاهزة

ذلك هو السؤال المحرج الذي حاول عدد من الفنانين المصريين تفكيك عناصره والتعرف على أسراره قبل الإجابة عليه من أجل الخروج بوصفة تقنية ترتقي بمفهوم "الهوية المصرية" إلى مستوى المعاصرة.

رفقي الرزاز الذي ينتمي إلى الجيل الفني الذي ظهر في ثمانينات القرن الماضي يمد بصره إلى ما هو أبعد. أن يكون مصريا وأفريقيا في الوقت نفسه. حساسية مصرية خالصة في فضاء جمالي أفريقي.

يمكنك أن تتعرف على أعماله من غير أن تقع عيناك على توقيعه. هل هذا يكفي؟

بالنسبة للرزاز فإن ذلك يشكل بوابة لانعتاقه من تلك المصرية الجاهزة سعيا وراء مصرية معاصرة ليس إلا.

يولي الرزاز اهتماما بما يراه من مظاهر الحياة الشعبية. يفعل ذلك بشغف غير أنه لا يستهلك الكثير من عاطفته من أجل القيام بذلك. يعطل الرزاز عاطفته من أجل ألا تقوده إلى أماكن رخية، يستسلم من خلالها فنه لتبسيط لا يخدم طريقته في النظر إلى الفن.

غير أن الفنان يحيل كل شيء يراه إلى بعده الأسطوري.

> الحضارة المصرية بمثابة كنز للمفردات البصرية، لذلك سعى الكثير من الفنانين إلى استعارة تلك المفردات لتكون رمزا لمصريتهم. لنكون أمام «مصرية جاهزة». هوية لن يكون التعرف عليها بيسر أمرا مثيرا ومغريا

"خرافة أن تكون مصريا" تلك عبارة يمكن أن تشكل خلاصة لفن الرزاز.

كل عناصر البيئة المصرية يمكن أن يراها المرء في لوحات الرزاز من غير أن يقوم الفنان برسمها، ذلك لأنها لا ترسم. شيء ما يشبه الرائحة.

يذهب الرزاز إلى الرسم بقوة الإيحاء. لذلك كان التعبير لديه أقوى من الرمز الذي يمر عابرا. لقد غمرته التجريدية بهوائها فصار فنه يغرف من المرئيات ما يشاء من غير أن يظهر منها شيء.

لقد اكتفى الفنان بما يعتبره الخلاصة. مصر في ترابها ورائحتها ونكهتها وعبق هوائها. رسومه تنطوي على الكثير من المزاج المصري الذي لا يمكن التعبير عنه بالصورة. إنه مزاج نثري سيكون من الصعب دائما التعبير عنه من خلال فن انفعالي مثل الرسم.

حين أهداني الرزاز عددا من لوحاته في لفتة كريمة منه امتلأ منزلي بمزاج مصري لا يمكن القبض عليه مجسدا إلا بطريقة استثنائية. ما يفعله الفنان حين يرسم يشبه محاولة للقبض على هواء في قفص.

ولد الرزاز عام 1958 في قرية كفر سنجا، مركز ميت غمر، محافظة الدقهلية، وتخرج من كلية التربية الفنية بالزمالك. عام 1983 أقام أول معرض شخصي له، وقد شغلته يومها فكرة إعادة رسم الأعمال الفنية متأثرا بما فعله بابلو بيكاسو يوم أعاد رسم لوحة سلفه فيلاسكيز.

بين الشغب والحرية

سافر إلى الأردن وأقام ثلاثة معارض هناك في المركز الثقافي الملكي ومؤسسة عبدالحميد شومان، وعاد إلى مصر عام 1991. ليقيم بعد عامين معرضه الشخصي في مجتمع الفنون بالقاهرة في ظهور فني ثان.

يقول الرزاز "إن الفنان الرائد راغب عياد هو الأقرب إلى نفسه غير أنه يشعر بأن هناك ضرورة لإكمال مسيرة منير كنعان". صلته بكنعان يمكن أن تنبعث من الرغبة في الخروج من نمطية الشخصية الفنية المصرية بكل عناصرها المتاحة والمستهلكة، إلى فضاء تنفتح فيه أمام تلك الشخصية آفاق عالمية، تستعيد من خلالها قوتها في التأثير من موقع إيجابي.

كان ذلك الهاجس الذي سكنه منذ سنوات دراسته قد سبب له الكثير من المتاعب التي امتزج الفني من خلالها بالسياسي، فكان الرزاز يتعرض لسوء مستمر بسبب اعتراضه الحيوي على سكونية الحياة الثقافية وخضوعها لهيمنة السائد والمكرس

> رفقي الرزاز يذهب إلى الرسم بقوة الإيحاء، لذلك كان التعبير لديه أقوى من الرمز الذي يمر عابرا. لقد غمرته التجريدية بهوائها فصار فنه يغرف من المرئيات ما يشاء من غير أن يظهر منها شيء

من المقولات حتى اعتبره البعض مشاغبا.

غير أن المغامرة الكبرى التي خاض الرزاز غمارها تكمن في إصراره على أن يهب نفسه للفن بشكل كامل، بحيث اختار التفرغ للفن من غير أن يحصل على منحة أو دعم من جهة ما.

بتفرغه تحرر الرزاز من المؤسسة الفنية ووهب اختلافه مشروعية الفعل الخلاق الذي يتسق مع حريته.

مرويات بصرية في العزلة

يختلف الرزاز عن سواه من الرسامين المصريين حين يتعلق الأمر بالمفردات الجمالية المستعارة من الواقع. فهو لا يستغرق كثيرا في تفاصيل عناصرها والأهم أنه لا ينجر وراء سحر الحكاية التي تنطوي عليها كل مفردة كما لو أنها صفحة من كتاب خرافي. وهي عادة مصرية نجح الفنان في تجنب الانزلاق برسومه إليها.

دفعه الإخلاص إلى صورة الشيء إلى أن يتأمل مع ذلك الشيء كما لو أنه كان كيانا تجريديا. وهو ما يسر أمامه أن يقيم علاقة ما بين تلك الأشياء التي تشير بقوة إلى الحياة اليومية وبين ما ينعم به الرسم علينا من كائنات ومساحات ومفردات تنتمي في حقيقتها إلى عالم لا يمت إلى الحياة المباشرة بصلة.

تجريديات الرزاز لا تدير ظهرها للواقع وفي المقابل فإنها لا تحتفي به. إنها تحيده باعتباره علامة. وبعدها تضمه إلى مقتنياتها باعتباره مصدر إيحاء تصويري.

لا تنطوي رسوم الرزاز على مرويات بصرية غير أنها في الوقت نفسه تهبنا صورا، يمكن اعتبارها نوعا من التأليف الذي يمزج الواقعي بالخيالي كما هو حال الكائنات التي تحفل بها الحكايات الخرافية. تمتزج المساحات والخطوط التجريدية بالأشياء كما لو أنها انعكاسها الذي يظهر في المرآة. وكما يبدو فإن الرزاز كان قد قرر أن يستخرج لغته التصويرية من ذلك المزيج الصادم بين لغتي عالمين، يجمع ما بينهما أن كل واحد منهما يقيم على حافة انقطاعه عن جذوره. هي لغة تستحضر من خلال قوة هذيانها عالما ليس من اليسير أن ننسبه إلى مكان أو زمان بعينه.

رسوم الرزاز تقرأ ما تنطوي عليه من لذائذ في مرآة عزلتها.

يلقي خطوته حيثما يشاء

وارث حضارات ووارث فنانين رفقي الرزاز هذا. إنه يمد يده بحرية وباطمئنان إلى كل مكان كما لو أن تلك اليد تتجول في حقولها الخاصة. لقد استطاع هذا الرسام بجرأة أن يتخطى حاجز محليته عموديا وأفقيا.

غير أن الساحر في رسومه أن كل شيء يجري كما لو أنه يحدث بطريقة إلهامية من غير تخطيط مسبق. يستند الرزاز إلى إرث مصري تتقاطع فيه صور الحضارات الفرعونية والقبطية والإسلامية غير أنه لا يكتفي بذلك فيبقي الجملة مفتوحة لتضم أفريقيا بكسائها وعريها وبكل ما ألهمته من مفردات جمالية، كان لها أكبر الأثر في إحداث التحول الفني العظيم في القرن الماضي من خلال تكعيبية بيكاسو وبراك.

ميزة الرزاز أنه يلقي خطوته حيثما يشاء. لقد تعلم أن يكون حرا من الأسلوب الذي يقيد ومضى قدما وراء مزاجه الذي يصنع أسلوبا، هي صدى لشغف يديه التلذذي. اتخذ هذا الرسام من متعة مزاجه التصويري مركبا يحط به بين مختلف الموانئ. ولأنه يثق بمصفاة خياله فإنه لا يشعر بالخوف. إنه يفعل ما يراه منسجما مع روح الرسم.

رفقي الرزاز من القلة التي تنسج قلقها على هيئة لوحات.

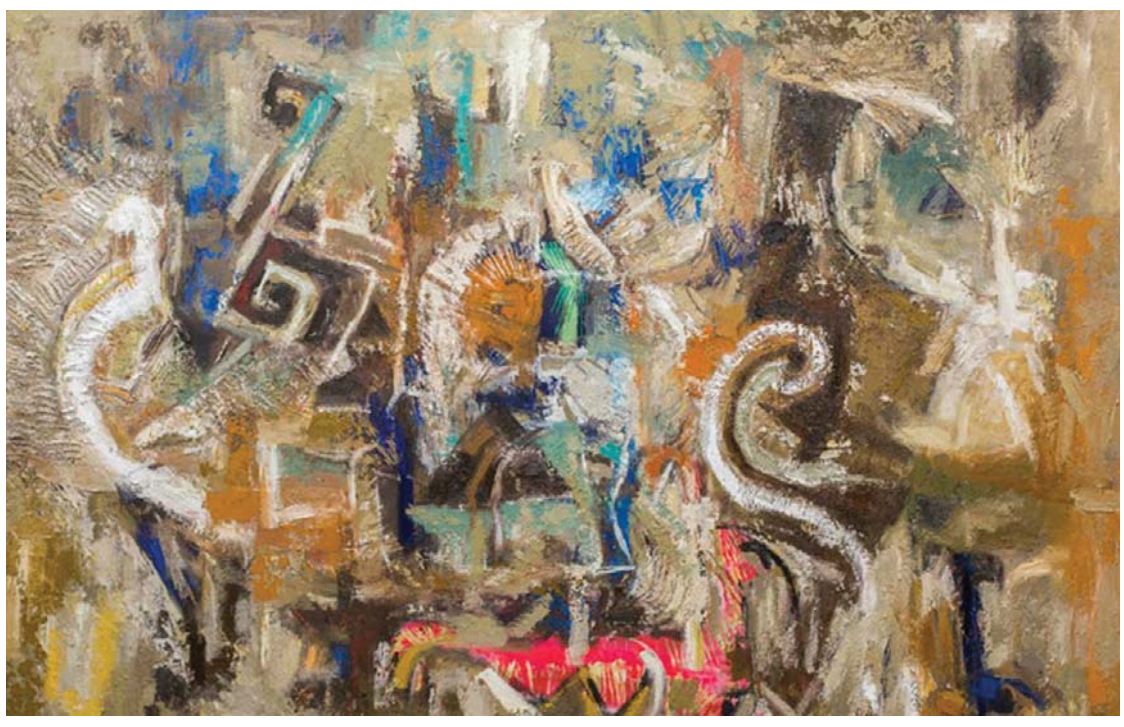

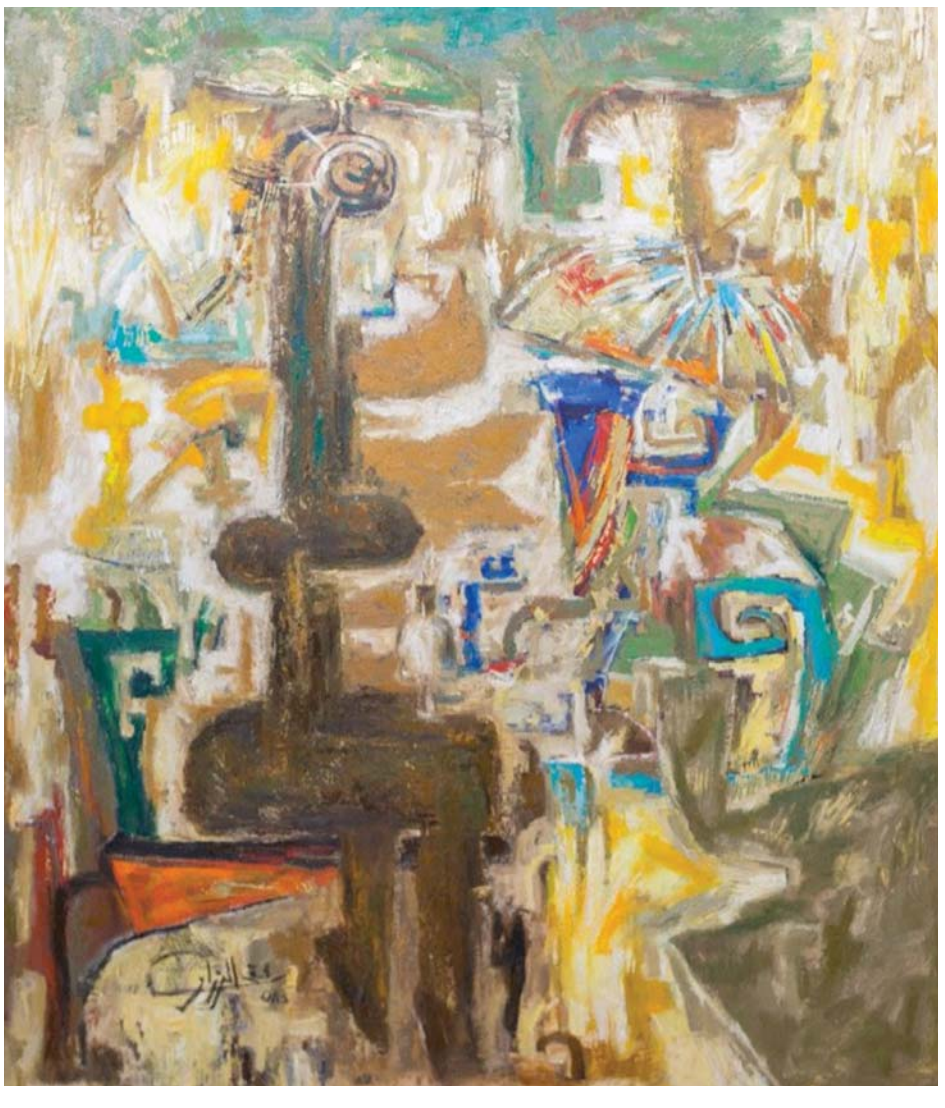

ثقافة الخوف من الآتي

نزال بين الأجيال أم بين القديم والجديد؟

نوري الجراح
شاعر من سوريا مقيم في لندن

❏ مصيبة الثقافة العربية ليست في كونها بالغت في تقدير منجزات الأمة الدالّة على ازدهارها في الماضي، وإنما في تصدع إيمانها بقوى المستقبل، وليست في إهمال الأبناء لأدوار الآباء بوصفهم البناة الأوائل، بل في استخفاف الآباء بتطلعات الأبناء وأشواقهم، التي هي امتداد موضوعي، بالضرورة، وبناء على ما شيّدته أجيال مضت. وليست في عدم تقدير قيمة العقل، كما ذهب البعض في اعتباره الشخصية العربية لا عقلانية لعلة أصيلة في جبلتها (وهذا اعتقاد فارغ)، فالأدبيات العربية القديمة مترفة في تداول الحِكَم والأقوال التي تُعلي من شأن العقل، وتحضّ على التعقل وانتهاج العقلانية في التفكير والمعاملات، ولكن المصيبة في ذلك الخوف وتلك الاسترابة من الحلم، والتوجّس، بالتالي، من فكرة المغامرة، لما تناهى إلى العقل من أنها ضرب من الخوض في المجهول، الأفضل أن ندرأ عن أنفسنا ما قد يحمله من أخطار. وكان يجدر أن نعي مغامرة الجديد بوصفها سبيلا لاستكشاف الذات والعالم، والحضور في المستقبل.

ما من تطلعات يعقبها نهوض في أمة يمكن أن تصدر عن شخصية خائفة، متوجسة من الإقبال على الجديد ومرتعدة أمام المعارف المتاحة عبر كل ما يمكن أن يُبتكر ويتوفر من وسائل وإمكانات. ومن البدهي أن القوة الشابة في مواقع العمل والتفكير هي من يملك الطموحات التي تنتج كل ما هو جديد، وتستقبله، وتكون بالتالي صوت المستقبل.

***

لكأن "الأبوية" العربية التائهة في شعاب أناها الماضوية هي اللعنة المجتمعية المقيمة، والعثرة الكأداء في طريق الجديد، وفي أقدار الشباب، نزعة نرجسية، رغم أنها باتت سمة من سمات الشرق المتقهقر، لكنها لم تكن يوما جوهرا في جبلة الشخصية العربية، وإنما علة معللة بالأسباب تزول بزوال أسبابها.

لا يريد هذا الكلام أن يقول بصراع الأجيال، حتى وإن كان مثل هذا العنصر موجودا في حياة أجيال قديمة وحديثة، بوصفه عاملا يملك وجاهته، لكنه عنصر ليس إلا في نزوع البشر عبر التاريخ، وفي حركة الظواهر أيضا، بين قادم وماض، وبين قديم وجديد، مازال فاعلا إن في الثقافة العربية أو في غيرها من ثقافات الشرق. وحسبنا أن نتذكر أن الأفكار الجديدة التي أنتجتها الثقافات الرائجة عبر العصور، وضمنها العصر الحديث، واعتنقها الشباب، غالبا ما أبدعها مفكرون كهولا وشيوخا تمتعوا بفكر متجدد ومضيء.

وبالتالي فإن حديثنا عن القوة الشابّة، يستدرك دوام شباب الفكر وقوة المغامرة الفكرية في ولاداتها المتعاقبة بوصفها استجابة متبصرة للقوة الشابة وما تختزنه من طاقة وإمكانات خلاقة دائمة التجدد، وكمحرك للتاريخ يدفع جهة المستقبل ويستجيب لصيرورة التطور.

***

مصيبة الثقافة العربية، إذن، ليست في ذهنية الإنسان، رغم ما اعتور هذه الذهنية من خلل، بفعل التشوّهات المجتمعية، ولكن في غياب البرامج، وتخبّط التوجهات، وضعف الاستقلالية. وهذا ناجم، تاريخيا، عن خلل فادح في علاقة السلطة بالثقافة، وفي توجّس الحاكم الشمولي من الفكر والمفكرين، ورعبه من تطلعات المثقفين.

مصيبة الثقافة العربية ليست في قصر نظر الأفراد في أمة تمزقت جماعات مقيمة في جغرافيات لدول اختلفت في صيغها وتباعدت في تطلعاتها، وظلت مقيمة في لغة عربية ضاقت، بدورها، على هوياتها ذات الأرومات المختلفة، وروافدها المتعددة؛ جماعات اشتركت في هوية جامعة هي اللسان، أنست معها إلى قوة الاعتقاد الصادر عن الفكر، أكثر ممّا اعتقدت بنجاعة العمل الصانع للمصير.

والمشكلة التاريخية، حقيقة، هي في الصيغ التي قامت عليها الدول التي تحكم الجماعات المختلفة وتنظم علاقات وجودها، وتسمح لها بتجديد طرائق عيشها، والمشاركة في حضارة زمنها. وهي في جلها صيغ للحكم، ظهرت، تاريخيا، غداة الفراغ الذي تركه انهيار الإمبراطورية العثمانية، بفعل تحالفات واتفاقات بين قوى دولية وإرادات خارجية. وفي الوقت الذي طورت فيه بعض الكيانات العربية الوليدة قدراتها، وخطت خطوات واعدة نحو تأسيس دول عصرية، فاجأتها وصدمت طموحها التحديثي أدوار الجغرافيا وقوة الأثر السلبي لقدرها الجغرافي، وهيمنة القوى الإقليمية الكبرى والقوى العظمى، وما برحت هذه العوامل تفعل فعلها السلبي في المجتمعات العربية، مهددة كياناتها ومستقبلها الثقافي والسياسي والاقتصادي، مبددة إمكاناتها، إن في حروب دموية تنشب على رقعتها الجغرافية، أو في نزاعات سياسية تشغلها وتصرف قوتها في أتون حروبها المشتعلة في جوار مشتعل، لتمنعها، بالتالي، من تطوير نفسها، وتعاقبها على طموحها التحديثي وقد شارف على أن يتحول إلى فعل يؤسس للدولة المدنية المتحررة من الاشكال الفظة للهيمنة الخارجية.

***

لا يغرّن العربي نفسه في اعتقاد بقوة تقوم على أوهام التملك والاستملاك، بدلا من حقائق القوة التي ينتجها العمل والابتكار. فكما أن ما من قوة مستمرة في يد ما لم تكن صادرة عن قوة العضلة في تلك اليد، كذلك ما من قوة تدوم لكيان ما لم تكن أثرا ومحصلة لما أنتجه هذا الكيان وكان إبداعا خالصا، ونتاجا موصولا بأسبابه الذاتية والموضوعية، لا يمكن أن يتهدده عنصر أو حادث أو عامل خارجي.

***

ما إن يغادر العرب أفرادا من بيئاتهم الرازحة في النكوص والمراوحة حتى تتكشف لهم وللعالم مواهبهم التي لا تقل حضورا وسطوعا عن أبناء الحضارة الحديثة التي تستقبلهم في ظهرانيها.

***

نعود إلى أصل الكلام، ما من استخفاف بتطلعات الأجيال الجديدة وما يحركها من ابتهاج بالجديد وتوق إلى تحقيق الذات من خلاله، إلا وهو تعبير بليغ عن نكوص مجتمعي مرضي، سرعان ما ينال استحقاقه من السقوط أمام حركة الجديد التي لا يمكن لقوة كبحها، إلا وتسببت بانفجارات مأساوية، تتصدع لها البنى المجتمعية والعلاقات الإنسانية، ويعمّ بفعلها الخراب، لكنها لا تنقذ القديم من السقوط أمام عجلة التطور، كل ما ستفعله أنها ستؤخر إلى حين، عمل الحاضر وتطلعات أجياله الجديدة الناظرة بتوق جهة المستقبل.

الجديد نهر دافق، فلنضع فيه المراكب بدل أن نواجهه بالسدود. وبما أن الحكمة لم تعد جذابة بالنسبة إلى العرب، فإن أعظم ما يمكن أن تفعله السدود التي توضع في مجرى النهر هو توفير الأسباب التي تعجل بمجيء الطوفان.

* لوحة: نهاد الترك

جدل ثقافي في الجزائر: بأي أبجدية تكتب الأمازيغية؟

أمين الزاوي
كاتب من الجزائر

❏ مرة أخرى تتحرك الساحة الثقافية الجزائرية على إيقاع جدل لغوي جديد، جدل يدور حول مسألة اختيار الحرف الذي تكتب به اللغة الأمازيغية، التي أصبحت بموجب دستور 2016 لغة وطنية ورسمية، اللغة الوطنية والرسمية الثانية إلى جانب اللغة العربية، وقد تصاعد هذا النقاش بين النخب بشكل واضح ومتشنج أيديولوجيا ودينيا في بعض المرات بعد أن تم في شهر ديسمبر الماضي 2017 اعتماد رأس السنة الأمازيغية المصادف ليوم 12 يناير من كل سنة عيدا وطنيا وعطلة رسمية مدفوعة الأجر، بذلك احتفل الجزائريون ولأول مرة بمطلع السنة الأمازيغية 2968 بشكل رسمي وكانت عبارة عن احتفالات عمت البلاد من شرقها إلى غربها ومن جنوبها إلى شمالها.

و إذا كانت الغالبية قد تجاوبت مع هذا الاحتفال ومع إقرار هذا العيد عيدا وطنيا رسميا باعتباره أقدم عيد تحتفل به شعوب منطقة شما إفريقيا وهو جزء من الفرح التاريخي المعتق، فإنه وفي المقابل ظهرت بعض الأصوات الدينية الإسلاموية المتطرفة وبعض العروبيين المتشددين المتذمرين من هذا القرار، فقد اعتبر الإسلاميون السلفيون هذا الاحتفال هو احتفال بواحد من الأعياد الجاهلية وهذا حرام، في حين اعتبر العروبيون المتشددون الذين فاتهم قطار التغيير إن هذا الاحتفال هو انتقاص من سلطة اللغة العربية وتهديد للوحدة الوطنية.

و في جو هذا الاحتفال برأس السنة الأمازيغية عيدا وطنيا انطلق النقاش بين النخب الجزائرية حول أي الأبجديات مناسبة لكاتبة اللغة الوطنية والرسمية الثانية للجزائر، وأعني بها اللغة الأمازيغية؟

هناك ثلاث أطروحات في باب النقاش حول مسألة اختيار الأبجدية الصالحة لكتابة اللغة الأمازيغية، فهناك تيار يرى ضرورة كتابتها بحروف التيفيناغ وهي الحروف الأصلية التي استعملها الأمازيغ في الجنوب خاصة لكتابة هذه اللغة منذ قرون، وهناك تيار عروبي بعثي إسلاموي يدعو إلى كتابتها بحروف اللغة العربية، وهناك تيار ثالث يفضل ويعمل على كتابتها بالحروف الإغريقية-اللاتينية.

و للوقوف عند التيار الأكثر حضورا في الساحة السياسية والثقافية والتربوية بالأمازيغية في الجزائر فلا بد من وضع مقارنة بين ما هو عليه حال الإنتاج الإبداعي والفكري بهذه اللغة اليوم لدى نخب الاتجاهات الثلاثة، من حيث الإنتاج الأدبي في الرواية والشعر والإنتاج في الترجمة وفي المسرح وفي السينما وأيضا في البحث اللساني والتربوي.

> انطلق النقاش بين النخب الجزائرية حول أي الأبجديات مناسبة لكاتبة اللغة الوطنية والرسمية الثانية للجزائر، وأعني بها اللغة الأمازيغية؟

فإذا كانت حجة دعاة كتابة الأمازيغية بحروف التيفناغ مؤسسة على أنها الحروف الأصلية لهذه اللغة، لكن يجب الاعتراف بأن القلة القليلة، والقليلة جدا من تستطيع فك هذه الحروف، وإن الاشتغال بها ظل مستبعدا في المجتمع الثقافي، ولا تستعمل إلا في كتابة أسماء المؤسسات العمومية على واجهة البنايات، كما أن الإبداع بها نادر جدا، وقد اختار المغرب رسميا حروف التيفيناغ لكتابة الأمازيغية ولكن يبدو أن هذه التجربة باءت بالفشل وأن الاختيار لم يكن صائبا على المستوى العملي تربويا وإبداعيا.

أما المطالبة بكتابتها بالعربية في الجزائر فهي مطالبة أيديولوجية أساسا وببعد ديني، فكثير من الأصوات العروبية الإسلاموية التي وجدت نفسها مجبرة على القبول باللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية، وهي التي كانت بالأمس من أكبر المعارضين لهذه اللغة، لم تجد إلا صوت المطالبة بكتابتها بالحروف العربية، لا حبا في العربية، ولا حبا في الوطنية كما تتدعي، بل هدفها الأساس هو تعطيل مسيرة تعميم تدريس اللغة الأمازيغية وبث فتنة جديدة في البلاد لتعطيل مسألة التعددية اللغوية والثقافية التي هي دعم للتعددية السياسية التي بدأت الجزائر تجربتها في نهاية الثمانينات.

أما التيار الثالث الذي يدافع عن كتابتها بالحرف الإغريقي-اللاتيني فمطالبته مؤسسة على شرعية نضالية سياسية وإبداعية، فلقد قاد هذا التيار منذ العام 1949 معركة الهوية بالتوازي مع معركة الاستقلال الوطني، وحمل لمدة سبعين عاما مطلب ضرورة مصالحة الجزائري مع تاريخه الأمازيغي واستعادة لغته الأولى اللغة الأمازيغية، ولعل الربيع الأمازيغي الذي اندلع في أبريل 1980 على إثر منع محاضرة للكاتب والباحث مولود معمري، كانت العلامة الفارقة في نضالات هذا التيار الذي لم يسترح يوما إن على المستوى السياسي أو على مستوى نضالات الجمعيات الثقافية، أو بالممارسات الإبداعية في شتى ميادين الكتابة الشعر والرواية والمسرح والسينما والأغنية.

فبالحروف الإغريقية-اللاتينية تمت ترجمة كثير من الأعمال الأدبية العالمية إلى اللغة الأمازيغية أذكر منها، للتمثيل فقط، رواية "الشيخ والبحر" لهمنغواي و"روميو وجولييت" لشكسبير و"الغريب" لألبير كامو و"الأمير الصغير" لسانت إكزوبيري و"النبي" لجبران خليل جبران... وغيرها كما أن جل البحوث التاريخية والأنتروبولوجية واللسانية والتربوية كتبت بالحروف الإغريقية-اللاتينية، كما أن السينما قطعت مرحلة لا بأس بها بهذه اللغة، فسيناريوهات الأفلام الأساسية كتبت بالحرف الإغريقي-اللاتيني ومن بينها فيلم المخرج الكبير المرحوم عبد الرحمن بوقرموح الذي أخرج أول فيلم طويل بالأمازيغية وهو "الربوة المنسية" مقتبس عن رواية مولود معمري التي تحمل العنوان نفسه، كما أن أفلام المخرج المبدع بلقاسم حجّاج ك "مشاهو" و"فاطمة نسومر" تعد فتحا مهما في العمل الدرامي بهذه اللغة.

شريك حياة على الموضة

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ من الحقائق الصادمة على كوكبنا الذي خذله التطور الفاجع، أن البشرية قد بلغت الحدود القصوى للعجز عن حماية نفسها من أهوائها ، فما بلغته الانسانية من عبادة المال والماديات والمتع العاجلة ، جعلها تفقد القدرةعلى مواجهة المسيطرين ومقاومة الغيلان المنفلتة التي اطلقها العلم من جهة ، واستسلمت للتسونامي الاستهلاكي الذي يحول البشر والأشياء الى نفايات يمكن رميها واستبدالها بسواها.

لقد مسخ هوس الموضة ملايين البشر إلى وحوش متخصصة في انتاج القمامة ، وبسبب هيمنة طرز الذوق الحاكمة يتخلى الناس سنويا عن ملايين الأطنان من الثياب الصالحة للاستعمال ويسعون بنوع من النهم المرضي للحصول على الجديد من المنتجات وفي مقدمتها الثياب والادوات المنزلية والأثاث ومبتكرات الاجهزة الالكترونية ، وجراء هذا كله يعمل البشر ليل نهار لكسب المزيد من المال ليشبعوا جشع الاستهلاك الذي تغذيه أساليب الاعلان والترويج للسلع الجديدة فلا يتسنى لهم التمتع الحقيقي بأعمارهم المهدورة.

تتمحور ظاهرة الموضة المتسيدة على المجتمعات الاستهلاكية حول فكرة : أن مانشتريه اليوم شأن مؤقت وسنتخلص منه سريعا ليكون في عداد النفايات ، فنحن نغير ملابسنا بقصد التجديد وليس لكونها بالية أو لأنها ماعادت تناسبنا ، بل لأنها أصبحت خارج اشتراطات منظومة الموضة لهذا العام ، تلك الاشتراطات التي تتواطأ عليها شركات انتاج الثياب ومواد التجميل ودور الأزياء وينصاع لها التجار والمسوّقون والفنانون والمصممون ومصنعو الموبايلات ومزينو الشعر وتروج لهم الاعلانات المبهرة والعروض التشويقية المغرية ؛ فلايعود المرء في المجتمع الاستهلاكي قادرا على الظهور بملابسه القديمة بسبب الضغوط الهائلة التي تمارسها البرامج المتلفزة والمجتمع عابد المظاهر وترغمه على التماهي مع السلوك الجمعي، لينصهر في القطيع المتماثل الذي تمّ اخضاعه للنمط الذي تبتغيه السوق والسياسة وتفرضه معدلات الانتاج ، فيغدو الكائن روبوتا استهلاكيا مسيّرا يستبدل ممتلكاته كل آونة بالجديد المبهر، وينعكس هذا السلوك على نمط العلاقات الانسانية أيضا، فالكائنات القلقة المهووسة بالاقتناء المفرط و الحصول على كل ماهو جديد في السوق، ستنعكس سلوكياتها الاستهلاكية على العلاقات الحميمة ، اذ تمكّنها الظروف المشوشة لعالم الاستهلاك من الحصول على العلاقات الجديدة بيسرعن طريق الاعلانات التي تروج للمواعدةً و تعرض الصفات المظهرية للنساء والرجال طالبي الرفقة : لون الشعر الطول والوزن والهوايات ، وبوسع المستهلك اختيار الشريك الذي يناسب رغباته الغرائزية ونزوعه الشكلي ، ولكن إلى أي مدى ستدوم تلك العلاقة طالما هناك امكانية الحصول على مايعتبره الأجمل او الأفضل كما في عروض السوق الالكترونية ومواقع التواصل ؟؟

في هذه الحالة يمكن استبدال الشريك – الانسان بقسوة باردة مثلما يستبدل للمرء سيارة عتيقة او جهاز موبايل عتيق الطراز ، فيختار شريكا جديدا له مواصفات مظهرية تناسب الموضة ، ويفضي هذا الى مضاعفة القلق من فقدان الشريك المعرض لغوايات السوق وتضطرب العلاقة التي تفتقر للألفة والحميمية التي يصعب العثور عليها لدى المعروضين بعضلاتهم المنتفخة وملابسهم الانيقة وتنهارالعلاقة الانسانية لافتقادها الى الحنو والدفء والرقة والعطاء اللامشروط . وهكذا تحت ضغوط أخلاقيات السوق والمنافسة والنمط الاستهلاكي المفرط تتجه مجتمعات مابعد الحداثة الى القسوة والأنانية والفردية المنعزلة وعدم الاهتمام بمشاعرالاخرين ، فتتخطى موضوعة الإعلاء من قيمة الذات وكرامة الانسان التي تبنتها افكار التنوير و الحداثة وتتجه الى التعامل مع البشر القابلين للاستبدال باعتبارهم محض نفايات لاتلائم اشتراطات السوق ومغرياتها المتجددة وعروضها المتسارعة ، وتتهاوى القيم الانسانية لتفسح المجال للنفعية الروبوتية المجردة من كل قيمة.

كتاب فاتح: أثر السود في الحضارة الإسلامية

رشيد الخيون يرد الاعتبار للقيمة المغيبة للسود في ثقافة العرب

مفيد نجم
كاتب من سوريا

الكتاب يشكل محاولة مهمة لاستعادة القيمة المغيبة للسود في الحضارة العربية

❏ ينطوي كتاب "أثر السود في الحضارة الإسلامية" للباحث الدكتور رشيد الخيون على جهد بحثي واضح، تجلى في تتبع تاريخ السود وما عانوه بسبب اللون من استعباد وظلم في ظل نظام العبودية والرق الذي كان منتشرا في جميع الحضارات القديمة، حتى أخذ بالتقلص تدريجيا في العصر الحديث، في حين بقيت آثاره الاجتماعية مستمرة من خلال نظام التمييز على أساس اللون، وهو ما يتعارض مع الدور الذي لعبوه إلى جانب الآخرين في بناء الأوطان والحضارات.

تتجاوز أهمية هذا الكتاب العنوان الذي يحصر مجال البحث في الحضارة الإسلامية، وذلك من خلال تتبع تاريخ العبودية والرق في حضارات العالم القديم، وفي أوروبا وأميركا حتى تاريخ إلغاء هذا النظام في هذه البلدان، بينما ظل مستمرا حتى وقت قريب في مواطن السود التي سيطر عليها الاستعمار الغربي بالقوة، كما حدث في جنوب أفريقيا.

يتألف الكتاب من بابين اثنين ومقدمة يتناول فيها الباحث الدور الهام الذي لعبه السود في تاريخ الحضارة الإسلامية والذي شكل حافزا له لتناول تاريخهم والأدوار التي قاموا بها، لا سيما في الدعوة الإسلامية التي كانوا من أوائل من آمن بها ومن عانوا من أجل انتصارها، كما كان حال مؤذن الرسول بلال الحبشي. ويتقصى الباحث هذا الدور الذي لعبوه في عصور الحضارة الإسلامية المختلفة على المستويات العسكرية والأدبية والدينية والفنية، إضافة إلى الدور الذي قام به الإسلام في الدعوة إلى عتق العبيد ومساواتهم مع المسلمين الآخرين.

ويتحدث الباحث في مقدمته أيضا عن عصر الرقيق الذي كان فيه السود يباعون في الأسواق حتى جاء الإسلام فتحوّل العبد عند إسلامه إلى واحد من جماعة المسلمين، كما تمت المؤاخاة بين المالكين والعبيد، لكن هذه المعادلة تغيرت فيما بعد بسبب الحاجة إلى العبيد في أعمال الزراعة وخدمة المنازل.

وتعدّ الفترة التي تلت صدر الإسلام هي العصر الذي شهد تراجعا في المكاسب التي حصل عليها السود إذ شهدت تغيرا في معاملتهم، ما دفع ببعض الكتاب والمؤرخين إلى التذكير بفضائلهم كصحابة وفقهاء وشعراء ومتصوفة، ويعد الجاحظ أول من قام بهذا الدور الذي كان أحد أعلامه المعروفين في الأدب العربي القديم.

السود في المراجع العربية

> نظرا للدور الهام الذي لعبه الشعراء السود في مختلف مراحل تاريخ الحضارة الإسلامية يفرد لهم حيزا مهما يتتبع فيه أخبارهم وأدوارهم، والمكانة التي كانوا يحظون بها عند الخلفاء الأمويين والعباسيين على السواء. كما يبين الدور الذي لعبوه على صعيد الدّفاع عن قضيتهم كسود في هذه الحضارة

يتوزع الباب الأول من الكتاب على أربعة فصول، والفصل الثاني على ستة فصول اعتمد فيها الباحث المنهج التاريخي في تناوله لتاريخ السود والأدوار التي قاموا بها في الحضارة الإسلامية، إضافة إلى تناول تاريخ الرق والعبودية منذ الحضارة البابلية وحتى ما بعد اكتشاف القارة الأميركية.

وقبل أن يتناول هذا الموضوع في الحضارة الإسلامية يتحدث الباحث عن محدودية المصادر الخاصة بطبقات العبيد والتي اختلف زمان تصنيفها، وأثر ذلك على تتبع مسار هذا التاريخ ودلالة المصطلح وأثره على حياتهم. لكنه ينطلق من كتاب الجاحظ "فخر السودان على البيضان"، والذي يعدّ مصدره الأول في تعريف مفهوم السود الذي يشمل الأمم الزنجية والحبشية والنوبية، حيث امتازوا بالفنون وبطيب الأفواه وحدّة الألسن، إضافة إلى صفة السخاء. ويأتي كتاب المرزبان مصدرا تاليا "السودان وفضلهم على البيضان" ثم كتاب ابن الجوزي "تنوير الغبش في فضل السودان والغبش"، ومن ثم كتاب السيوطي "رفع شأن الحبشان" وكتابه "أزاهر العروش في أخبار الحبوش".

وكما هو واضح من عناوين هذه المؤلفات التي كان أصحابها من السود فإنها كانت تحاول استعادة القيمة المغيّبة للسود في الحضارة الإسلامية، خاصة وأن هذه المؤلفات ظهرت في العصر العباسي وما بعده، وهي تمثل دفاعا عن الدور الذي لعبوه في هذه الحضارة، إلى جانب بُناتها الآخرين. أما ما يخصّ المراجع الحديثة التي اعتمد عليها الباحث فهناك الكثير من هذه المراجع التي تناولت مفهوم السود، ويخصّ كتب الحديث والتراجم والأدب العامة التي يصنفها في أربعة أقسام، هي كتب الحديث النبوي والسير والتراجم والتاريخ العام وتاريخ الأدب والشعر إلى جانب دواوين الشعر.

السود قبل الإسلام

في دراسته لوضع السود في مرحلة ما قبل الإسلام يشير الباحث بداية إلى أن الرق أو العبودية هو ظاهرة تاريخية بشرية وهي لم تقتصر على أصحاب البشرة السوداء، بل شملت أجناسا بشرية مختلفة بسبب الحروب والغزوات وظهور تجارة الرقيق وأسواقها، لأنها كانت قائمة على أساس اجتماعي، الأمر الذي جعل أسواق النخاسة تمتلئ بالرقيق الأبيض إلى جانب السود. لكن الباحث يجد أن التسميات تختلف هنا، فالأسود سمّي بالعبد بينما الأبيض سمّي بالمملوك غالبا، ومع مرور الزمن أصبح مصطلح العبد يطلق على الأسود حتى بعد أن يتم عتقه.

يعود الباحث بعد عرضه لتاريخ العبودية ومصطلحاته إلى استعراض وضع العبيد في قوانين حمورابي التي يلحظ أنها كانت تتساهل في زواج العبيد من النساء الحرائر، ثم ينتقل إلى دراسة وضع العبيد في الديانتين اليهودية والمسيحية، وكذلك وضعهم في الحضارة اليونانية والرومانية ليخلص إلى نتيجة مؤداها أن أوضاعهم في العالم القديم كانت واحدة مع اختلافات بسيطة.

كذلك يتحدث عن أوضاع العبيد في أوربا وأميركا التي قامت بحملات كبيرة لاصطيادهم بأعداد وفيرة ونقلهم بالقوة للعمل في الأراضي الزراعية الواسعة كعبيد في ظل ظروف قاسية من الاستعباد والمهانة، استدعت في مراحل لاحقة ظهور بداية الحركات المناهضة لأوضاع العبيد حتى تنامت واتسعت إلى أن استطاعت أن تنتزع قوانين تحريرهم وإلغاء نظام الرق والعبودية، بينما استمر هذا النظام في الولايات المتحدة الأميركية مئة عام.

ثورة الزنوج في الإسلام

يتميز الكتاب بشموليته من حيث ذكر أسماء السود في تاريخ الحضارة الإسلامية وأهم أعلامهم والأدوار التي قاموا بها في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي، إضافة إلى الثورات التي قاموا بها متمردين على النظام الاجتماعي الذي أعاد استعبادهم مع ظهور الإقطاعات الزراعية الكبيرة وحاجة أصحابها إلى العمل فيها. يسمّي الباحث هذه الثورات بالحراك الاجتماعي، ويفرد لها حيزا مهما تحت عنوان "ثورات السود وتمردهم"، حيث تركز أغلبها في مدينة البصرة بسبب كثافة وجودهم فيها، بينما شهدت المدينة في الجزيرة العربية ثورة أخرى لهم.

ويركز الباحث على دراسة سير وتراجم أعلام السود المسلمين شعراء وأدباء وفقهاء ومتصوفة وأطباء وأهل فن. فمن خلال هذه التراجم والسير يحاول الوقوف على الأدوار المهمة التي لعبوها في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد اعتمد في تبويب هذه التراجم على المنهج التاريخي بدءا من عهد النبوة الأول وحتى العباسي مرورا بالعصر الأموي. إن هذه التراجم لا تقتصر على الرجال من السود بل هي تتجاوزها إلى النساء السوداوات اللواتي كان منهن الصحابيات والشاعرات والمربيات.

> يتحدث الباحث عن محدودية المصادر الخاصة بطبقات العبيد والتي اختلف زمان تصنيفها، وأثر ذلك على تتبع مسار هذا التاريخ ودلالة المصطلح وأثره على حياتهم. لكنه ينطلق من كتاب الجاحظ «فخر السودان على البيضان»، والذي يعد مصدره الأول في تعريف مفهوم السود الذي يشمل الأمم الزنجية والحبشية والنوبية

ونظرا للدور الهام الذي لعبه الشعراء السود في مختلف مراحل تاريخ الحضارة الإسلامية يفرد لهم حيّزا مهما يتتبع فيه أخبارهم وأدوارهم، والمكانة التي كانوا يحظون بها عند الخلفاء الأمويين والعباسيين على السواء. كما يبيّن الدور الذي لعبوه على صعيد الدفاع عن قضيتهم كسود في هذه الحضارة، من خلال استعادة الأدوار التي قاموا بها. كذلك لم يكن السود بعيدين عن التأثير في الأحداث السياسية التي شهدها العصر الإسلامي، ما يؤكد أهمية الأدوار التي لعبوها منذ بدايات الدعوة الإسلامية، وما تحمّلوه من أجل الدفاع عنها واستمرارها، ومن ثم في تطور الحياة الأدبية والفنية والدينية، كما حفظت لنا ذلك كتب الأدب والتراجم والتاريخ.

رف الكتب

أقنعة السيرة وتجلياتها

❏ يطمح كتاب "أقنعة السيرة الذاتية وتجلّياتها: البوح والترميز في الكتابة السير الذاتية"، للناقد حاتم الصكر، ملامسة بعض مشكلات السيرة الذاتية في أدبنا العربي، والنادرة في الكتابة النوعية، والملتبسة في مصادرها وطرق عرضها سرديا أو تاريخيا، والمحفوفة بمحاذير ومحددات وموانع تعرضت لبعضها دراسات الكتاب، الصادر حديثا عن دار أزمنة في عمّان. كما يتابع الكتاب ما يمكن أن يظهر قريبا من الكتابة السير- ذاتية أو مختلطا بها كاليوميات والمذكرات والرسائل، وكذلك ما يتصل بها في بعض نصوص الرحلة والسفر. ويثير الكتاب أسئلة يرى الصكر أنها تتصل بشعرية النوع السير- ذاتي كصلته بالرواية وإمكان وجود رواية سيرة أو سيرة روائية، وإمكان وجود سيرة ذاتية شعرية، ومدى التوسع الممكن للمدونة السيرية وانفتاحها على أنواع أخرى.

الذات والعالم

❏ يقدّم الناقد والروائي المغربي صدوق نورالدين في كتابه "الذات والعالم"، الصادر مؤخّرا عن دار أزمنة في عمّان، دراسة في يوميات لعدد من الكتّاب المغاربة؛ "خواطر الصباح" لعبدالله العروي، و"جان جينيه في طنجة" لمحمد شكري، و"يوميات سرير الموت" لمحمد خيرالدين، و"شاعر يمر" لعبداللطيف اللعبي. يرى نورالدين أن "خواطر الصباح" تمثّل نمذجة فعلية بما يجدر أن تكون عليه كتابة "اليوميات"، وأن محمد شكري يرسم، في "جان جينيه في طنجة"، صورة عن حياة الكاتب الفرنسي في نوع من التمرئي الذاتي الذي بقدر ما يجسّد الآخر يستجلي الذات.

ويجد الكاتب أن "يوميات سرير الموت"، التي كتبها الروائي والشاعر محمد خيرالدين خلال السنة التي رحل فيها، تعكس صورة عن حياته وتجربته الأدبية في/ وعلى الكتابة والتأليف، إلى الواقع الذي عاشه في فرنسا، حيث تجمع بين لحظة الحاضر العنيفة والماضي. أغلب النصوص هنا صورة عن المثقف الملتزم بقضايا مجتمعه ووطنه، وتمثل لإشكاليات الكتابة والتأليف.

تحولات السيرة الذاتية

❏ تدرس الباحثة المغربية أمل التّميمي في كتابها "تحولات السيرة الذاتية"، الصادر حديثا عن الدار العربية للعلوم ناشرون في بيروت، البناء القيمي في تحولات السّيرة الذاتية وممارساتها الجماهيرية بعد ثورات الربيع العربي. وتنبع أهمية الموضوع الذي تتناوله في رصد البناء القيمي في أعمال سير ذاتية عربية تسعى إلى نشر الثقافة بين الجماهير الواسعة، وإرساء منظومة القيم الإسلامية والإنسانية، وخلق النموذج الأخلاقي والاجتماعي والحضاري والسّياسي.

انطلاقا من هذا الهم المعرفي سعت المؤلفة إلى إلقاء الضوء على عدة أمور أبرزها الوعي النقدي بقضايا السّيرة الذاتية، وتوسع مفهومها في عصر التقنية الحاسوبية، والفضاء الشبكي وإشكاليات الإعلام والتواصل، وكيف يُوظف مفهوم النص الرقمي في مجال السيرة الذاتية؛ كمنطلق إلى نوع جديد فرضته طبيعة اللحظة التاريخية، وهو إضافة حقيقية تفاجئ بها الباحثة قراء العربية.

المفهوم المراوغ

التفكير النقدي والنقد الأدبي العربي

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

❏ أستخدم كلمة "مقاربة" لأشير من ناحية إلى السيرورة التي تصل بين التفكير النقدي والنقد الأدبي في تجارب العرب المعاصرين، وإلى أنها من ناحية ثانية تعني النزوع إلى الوصول، ولكي أتفحص من جهة ثالثة إمكانية تتويج تلك الرحلة ببلورة ما يمكن اعتباره شبيهاً بمقولات تجريبية، مقولات ليست قَبْلية، بل مفاهيم تتضمن سبباً ومحمولاً معرفياً رائزُهُ العقل ومُحركهُ الفن.

1— ليس ثمة شك في أن غلبة مقولة نقدية واستيلاء صاحبها على مضمونها هي فاعلية استبداد تومئ إلى علاقة الهامش العربي بالمركز الغربي، المُختلف بالمؤتلف، الخلاف بالاختلاف، الحداثة بالقدامة.

> النقد العربي يستمد شحنته المعيارية من مصدرين: الأول هو التفكير النقدي السائد في المركز الغربي، والثاني التراث النقدي العربي الذي يعاد انتاجه ليمنح أبعاداً متجددة

وكما يشير دومنيك أورفوا فإنه: "في ما يتعلق بالفكرالحديث، درجت العادة على وضع العالم العربي في ركاب الغرب، وليس هذا فقط خطأ في المنظور من جانب العالم الغربي التوسعي الذي نسي جذوره العربية، بل هو أيضاً خطأ في المنظور من جانب بعض الشرقيين الذين ظنوا أنهم يستطيعون الحصول على القوة المادية للخصم بدون أن تتأثر به شخصيتهم. وهذه الفكرة التي انتشرت في ثلاثينات القرن التاسع عشر مع الطهطاوي، أدت إلى موقف ملتبس: أي المطالبة بالأصالة وبحق التقليد في آن". (أنظر: المفكرون الأحرار في الإسلام.. ت. جمال شحيّد).

ويشير المصدر نفسه إلى أن هذا ما عبر عنه جاك بيرك عندما قال: "إن العرب يريدون ألا يشابهوا الآخرين وألا يختلفوا عنهم. فلو ذكرت أمامهم خصوصيتهم يشعرون بالمهانة ويطالبون بأن يكونوا كمثل قائل هذه الملاحظة، وإن طبقت عليهم نفس المعايير التي تطبق على الآخرين يجفلون".

ويصل الباحث بهذه الفكرة إلى الذروة قائلاً: "إن هذا التوهم بأن التكنولوجيا الغربية قابلة للفصل عن خلفيتها النفسية إنما هو ناجم عن رؤية مادية اختزالية للتاريخ".

وأحد الردود السجالية على هذا التناقض الصوري ما يشير إليه عزيز العظمة من وجود تقاطع بين الاستشراق ودعوة الأصالة (العربية): "فكلاهما عبورٌ معرفي عبر مغايرة مطلقة، يروم الربط الفاعل بين الغيرين، كلاهما استصلاحُ مُعَرَّفٍ لماض منقطع. أما الفرق بينهما فإنه يقوم في الشحنة المعيارية المعطاة للماضي والحاضر".

ويضيف: "ليست الأصالة كمفهوم لثقافة حصرية، فكرة محلية عربية بل لها أصول قديمة في الفكر الغربي المحافظ المعادي للاستنارة وللثورات في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، خصوصاً لدى مفكرين مثل دوميستر ولورنزفون شتاين وسافيني وغيرهم من دعاة التحول التاريخي العضوي النابع من أصالة شعب ما، ولها امتدادات وحيزات واسعة في الفكر الفاشي في ألمانيا وإيطاليا في هذا القرن. كما أنها تتنامى باطراد في أوروبا اليوم".. (أنظر: التراث بين السلطان والتاريخ).

2— جدلية المماثلة والمغايرة في تمثيلاتها النقدية العربية تجاوزت وتتجاوز هذا السجال لأسباب تتعلق بامتثالها للأمر الواقع من جهة، وبإعادة تعريفها لحركية الثقافة من جهة أخرى. بل يمكن القول كما سبق أن أشرت في مكان آخر، أن أفكار إدوارد سعيد التي قدمت أجوبة على أسئلة المماثلة والمغايرة، أسئلة مثالها مستمد من حركية الأدب والنقد، لم تكتب بالاستجابة لمفهوم الجماعة أو الشعب أو الأمة، بل بالاستجابة لأوضاع ذات نزوع ذاتي خصوصي.

يقول ثيودور أدورنو معبراً عن تجربة ذاتية مماثلة لإدوارد سعيد (مع اختلاف التفاصيل): "الكتابة بالنسبة لكائن لم يعد لديه وطن، تصبح المكان الذي يسكن فيه".

هذا القول يصلح مقدمة تضيء ما يردده إدوارد سعيد (ربما ممثلاً بالنص المكتوب تحديداً) من أن الثقافة تكتسب اكتساباً ولا تورث توريثاً، وأن ثمة قطبين يربطان بين حركية الثبات والتغيير. القطب الأول يعبر عنه مفهوم "البنوة" الذي يعكس حتمية بيولوجية، هي حقيقة انتماء الإبن للأب، حقيقة كون الكائن نتاج أبوين. وأما الثاني مفهوم "التبني" فهو يعكس بدلاً من ذلك الاختيار الذي يتيح للفرد فرصة الإنتماء إلى أب ثقافي مجازي من اختياره. هذا الأب المجازي ربما كان في بعضه هو الآخر المغاير.

وفي وقت لاحق كتب محمود درويش قصيدة مهداة لإدوارد سعيد، عنوانها: "طباق إلى إدوارد سعيد". في هذه القصيدة نزوع تتحكم فيه شعرية الذات بكل وضوح. فعندما يصبح خيار الشعب متعذراً أو مراوغاً أو بعيد المنال، يحل محله الخيار الفردي.

3— في المآل الأخير يمكن القول مجدداً إن خطاب المركزية الغربية قد خلق صوراً عن الشرق لا يمكن إنكارها. هذا الخطاب المجتر والمتواطئ عن الآخر، اخترق وعي المثقف العربي مشكلاً لديه مفهوماً جوهرانياً مراوغاً للحداثة، لا يستعصي على التحديد فحسب، بل يحرك عملية ردم مستمرة ولكن متعثرة لبرزخ معرفي يفصل بين الأنا والآخر حيناً ليواجه هوة فاغرة بين الذات والموضوع حيناً آخر.

ومهما يمكن من أمر فإن النقد العربي يستمد شحنته المعيارية من مصدرين: الأول هو التفكير النقدي السائد في المركز الغربي، والثاني التراث النقدي العربي الذي يعاد انتاجه ليمنح أبعاداً متجددة بعد توطينه وموضعته في سياق مستعار من فكر الآخر.

4— في ضوء ما تقدم نستخلص المؤشرات التالية التي تومئ إلى مشروع عبور معرفي:

أولاً: رحلة التراث النقدي والبلاغي العربي من القدامة إلى الحداثة، وهي الرحلة التي تقتضي موضعة نماذج من التراث العربي في سياق نظرية لسانية وشعرية حديثة. والحقيقة كما يعرضها ثلاثة نقاد (عبدالقادر المهيري وحمادي صمود وعبد السلام المسدي) أنه: "ليس ثمة أمة فكرت في قضايا الظاهرة اللغوية وما يحكمها من قوانين مختلفة إلا وانطلقت في إنجاز كل ذلك من دراسة لغتها النوعية".

ويضيف هؤلاء النقاد أن القضية مردها إذن: "قدرة أمة من الأمم على أن تصف جهازها اللغوي ثم تتجاوز ذلك إلى إدراك منزلة التفكير المجرد في شأن الكلام باعتباره ظاهرة بشرية تقتضي الفحص الموضوعي بغية الكشف عن نواميسها العامة التي تقوم مقام الكليات الذهنية أو المقولات المنطقية. والحضارة العربية قد أدركت هذه المنزلة".. (أنظر: النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص).

وكان عبد السلام المسدي قد سبق هذه المحاولة المشتركة بكتابه الرائد: "التفكير اللساني في الحضارة العربية".

ثانياً: يمكن اعتبار هذا المجهود النقدي بالغ الأهمية. فهو يبرز خصيصة "أدبية" الإنسانيات العربية بمختلف صنوفها ومن ثم يقوم بدمجها وموضعتها في سياق نقدي وبلاغي حداثي.

ثالثاً: يستخلص الكتاب في حركية الترحيل هذه نماذج لافتة تومئ إلى العناوين التالية: حد اللغة، بنية الكلام، الدلالة، أدبية الكلام.

وتشمل هذه الحركية مروحة نصوص للجاحظ وابن حزم والقاضي عبدالجبار، والرازي، وعبد القاهر الجرجاني، والفارابي، وإخوان الصفاء، وابن سينا، والغزالي، والتوحيدي وابن مسكويه وابن جني وابن خلدون، وابن الانباري، والزجاجي وابن قيم الجوزية والسكاكي.

5— واللافت أن حركية الترحيل والموضعة هذه تزامنت مع بروز النزعة اللسانية لدى إدوارد سعيد (أنظر: العالم، النص، والناقد) في تسليطه الضوء على أحد أهم الدراسات التي دشنت الانعطافة اللسانية في النقد الأدبي الغربي ونعني به كتاب Mimesis للناقد Erich Auerbach. هذه الدراسة الطموحة التي تهدف إلى تقديم تمثيل واقعي للأدب الغربي، كتبت في اسطنبول خلال الحرب العالمية الثانية حيث لا توجد مكتبات مزودة بكتب باللغات الأوروبية.

6— ثمة نقلة معرفية شهدها النقد العربي الحديث ونعني بها العبور من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي. هذه النقلة التي لا أعتقد أنها تمثل انتقالاً، دشنها الناقد عبدالله الغذامي (أنظر: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية).

كتاب الغذامي طموح يتضمن إعادة نظر جذرية في الحداثة العربية. والمعروف أن النقد الثقافي يعود في أصوله إلى ثيودور أدورنو وبالتحديد إلى دراسة مبكرة عنه ظهرت في كتابه: (Prisms) خلال ثلاثينات القرن الماضي. وقد تزامن ازدهار هذا النقد وتوثقت صلته بمناهج الإنسانيات مع انتشار الدراسات الثقافية في الجامعات الأمريكية.

أخيراً أود أن أشير في ضوء ما تقدم إلى أن الفصل بين النقد الأدبي والعلوم الأخرى (الإنسانيات) فصل ربما يمكن استخلاصه من رأي ابن سلام الجمحي في أن الشعر ثقافة وصناعة لا يعرفها سوى أهل العلم. ولكن الفصل هنا يظل الاستثناء لا القاعدة. الفصل أصل السكون والثبات. أما الوصل فهو أصل الحركة والوصول.

القراءة وعلاقات الدائرة

ياسين النصير
كاتب من العراق

❏ من يتصفح قواميس المصطلحات الأدبية وكتابات نقاد الحداثة يجد حقلاً ممتلئاً بأشجار المصطلحات النقدية الجديدة التي تعالج هذه الظاهرة أو تلك، فليس الواقعية، مثلاً، هي المفردة التي تحيلك على الطبيعة والناس والمجتمع، وما ينتج فيها من أفكار، بل هي حقول معرفية يتّسع مداها ويكثر فلاحوها كلما اكتشف العالم جزءاً مغموراً فيها. الواقعية بالأمس ليست مثل الواقعية اليوم، ثمة ترابط بين مراحلها وانقطاع يحيل جزء منها على الفلسفة، بينما تحيل أجزاء منها على الأدب والسياسة والاقتصاد وعلم دفن الموتى. وليست السريالية مجرد حركة خرجت على الواقع، وغيرت من تراكيب المشهد والصورة واللغة، واعتمدت الخيال، والخروج على المألوف والعادي، معتمدةً لغة وتعابير الشاذ والغرائبي، بل هي تجارب مضمرة في الواقعية نفسها، ولكن ضيق قوالبها المعرفية لم تستوعبها فتمردت عليها، وأسست لنفسها مفهوماتها الجديدة. هكذا هي الحياة لا أحد يولد هجينا، كل الآباء معروفون، ولكن تبقى لحياتنا وخصوصياتها قدرة على استنبات الجديد المغاير.

القراءة والكتابة مفردتان مدرستيان، كان آباؤنا يفتخرون أننا نقرأ، اليوم تفصح هاتان الكلمتان عن حقول لا حد لها من المعرفة النقدية عندما حوّلها النقد إلى جزء وبنية من الفلسفة والحداثة والفكر والممارسة والوجود. اليوم تتداخل الأفكار والأشكال لتأليف مفهوم جديد، مثلاً مفهوم "القراءة". ليست هي مسك كتاب لتقرأه، بل هي مشاركة مع آخرين يمارسون أفعالا لاكتشاف الآخر، القراءة اكتشاف بآلية حفر المعاني. نحن نعود بممارسة القراءة من الكل إلى الجزء، من مجموع القراءات عبر التاريخ إلى قراءة الذات، من قراءة المحيط الكوني إلى قراءة البيت، من قراءة البحر إلى قراءة النهر، ومن قراءة الجبال إلى قراءة التلال، ومن قراءة الصحراء إلى قراءة حبة الرمال. وفي صخب البحث عن المصطلحات النقدية الحديثة نجد من يحيل مفهوما على آخر ليعمق مسارا، وليعمق مساره. كل آليات البحث سيرورة ذاتية للمصطلح، المصطلحات تحيا معنا، وتجعلنا، كما يقول لاف كوست، نعيش في استعارتها. ودائما ثمة مفهومات كبيرة عندما تحيل القراءة أو الكتابة إليها لتكتسب الحالة طاقة ومدى تلك السعة فيها. فمفهوم علاقة القراءة بالدائرة، مثلا، يعني في الفلسفة الشمول والحركة والمرونة واحتواء ما في الأرض-الرحم وما في البيت-المغارة وما في الرأس-العقل، وما في الإنسان-دورة الحياة، إضافة إلى بعد الدائرة الهندسي الذي يحتوي المربع والمثلث والمعين والخط المنحني المرن والممتد عبر كل الأزمنة، كاسرا الزاوية الحادة والقائمة وملتصقا بالمنفرجة. والقدرة التي تتيحها الرياضيات لنا على تراكم العدد تعطي الدائرة بنية القراءة طاقة الدوران والحفر.

استعار جيروم. ج. ماجان في 1991 مصطلح "القراءة المحيطة" (Radial reading)، وهو تعبير، كما يقول قاموس المصطلحات الأدبية للدكتور محمد عناني من (Readius)، أي قطر الدائرة، ليعني "القراءة التي يتسع نطاقها لتحيط بأقطار مصادر النص والمؤثرات في الأعمال الأدبية الحديثة القائمة على التناص، والتي تنتمي لتراث ثقافي عريض". أما القارئ، فالمعنى الدقيق المثالي له آت من "القراءة المحيطة"، هو مجموعة القدرات والمواقف والخبرات والمعارف التي تتيح للقارئ أن يستخرج الحد الأقصى من القيمة في نص معين. ويضيف بعض المعلقين على تحديد جيروم أن تلك القيمة يجب أن تكون مشروعة، أي غير مقحمة على النص، بل نابعة منه، ومستوعبة لحقيقتين: الأولى ما موجود في النص من قدرات تحيلك على المجتمع، والثانية ما هو موجود في المرحلة من أفكار كبيرة تجد صداها ومادتها في النص. هذه التبادلية بين النص والمرحلة والمجتمع بكل ما ينتج فيه هي العوامل التي تستخلصها القراءة المحيطة، أي تلك الأشياء التي تمتلئ بدائرة النص الداخلية وما يحيط بها.

تونس الحداثوية تنتج الدواعش

فهمي رمضاني
كاتب من تونس

❏ حينما نتناول ظاهرة أنتجتها البنى السوسيو-التاريخية بتظافر مع البنى الثقافية والاجتماعية، فإن الواقع سيكون أصدق إنباء من الكتب. ولا أنكر أن تناول هذه الظاهرة لا يخلو من تشعبات وتعقيدات، إن لم نقل مأزق فكثيرا ما استبد بي اليأس وأنا أجول في شعاب هذا الموضوع: لقد كانت ظاهرة الدواعش " قضية درايفوس" في تونس بعد الثورة، إذ تحدثت الأرقام والإحصائيات عن أعداد مهولة من الشبان التونسيين الذين التحقوا ببؤر التوتر لنصرة الدولة الإسلامية تحركهم في ذلك أحلام وردية وأوهام فاوستية.

هذا كله جعل تونس تقريبا في مقدمة الدول العربية التي أمدت داعش برأس مال بشري لا بأس به. فلا ضير إذن أن يثير ذلك تساؤلات واشكاليات ما انفكت تملأ الأنفس حيرة والعقول أرقا. فانكبّ بذلك علماء الاجتماع على دراسة هذه الظاهرة ولكن بدون العودة إلى فهم الواقع التونسي تاريخيا أي بمساءلة التاريخ التونسي. في هذا الإطار لا بد من الاعتماد على مقاربة سوسيو-تاريخية يعود فيها المؤرخ إلى غياهب التاريخ ليكتشف البنى المستترة التي تعمل وفق نظام هادئ لكنه صارم؛ ذلك هو تاريخ الذهنيات. فهل هو كفيل بأن يجعلنا نفهم هذه الظاهرة. إذ كيف لبلاد مسالمة عبر التاريخ أن تنتج هذا الكم الهائل من الأفكار المتطرفة؟ كيف يمكن لتونسي عاش في بلاد متحررة فكريا أن يكون بهذا الانغلاق والتعصب؟ هذا هو ما سنحاول الإجابة عنه.

لا تخلو مساءلة التاريخ من متعة إذ تجد نفسك تهوي بفكرك نحو عصور سحيقة ضاربة في القدم فتكتشف بذلك التونسي الفينيقي والتونسي القرطاجي والتونسي البونيقي، فكأنك تحفر حقا في واقع أبعد غورا وأعمق جذورا. هذا الحفر في قاع الخابية يمكننا من فهم التونسي العتيق الذي لا يزال حاضرا في مخيال التونسي الفيسبوكي ابن القرن الحادي والعشرين.

تستوقفنا في العهد القرطاجي ظاهرة خطيرة تندرج ضمن الخصائص الدينية لقرطاج البونية: ألا وهي ظاهرة القرابين البشرية، فهذه الظاهرة السامية (ظهرت في بلاد كنعان وفينيقيا القديمة) أثبتت النصوص التاريخية والنقائش وجودها عند القرطاجيين على الرغم من الجدل المحتدم الذي لا يزال قائما إلى اليوم بخصوص إثبات وجودها أو نفيه. وعلى كل فإن حضور ظاهرة حرق الأطفال وتقديمها كقرابين بشرية للآلهة تثبت شدة إيمان المجتمع البوني آنذاك، فهو قادر على التضحية بأغلى ما يملك إرضاء للآلهة. فلماذا كل هذا العنف الديني؟ ألا يقودنا ذلك للحديث عن أن التونسي القرطاجي المتعصب للدين لا يزال يعتمل داخل ذهنية التونسي اليوم؟ ألم تحرك الشباب التونسي حماسة دينية غير مسبوقة للالتحاق بداعش؟ الأمر يبقى محل نقاش.

ننتقل الآن إلى العهد الروماني لتستوقفنا الحركة الدوناتية والتي مثلت خروجا على الكنيسة القرطاجية وثورة آنذاك. تروي المصادر التاريخية تعصب وعنف هذه الحركة فحتى القديس أوغسطينوس فشل في ثني عزائم معتنقيها. مرة أخرى نجد التعصب والعنف الدينيين حاضرين بقوة في الشخصية التاريخية التونسية.

تنشر المقالات بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

قديس الكتاب المصريين

الروائي والناقد علاء الديب في مرايا ثلاثة كتاب معاصرين

منصورة عزالدين
كاتبة من مصر

❏ لا أتذكر متى سمعت باسم علاء الديب لأول مرة، لكن المؤكد أنني عرفته وقرأت أعماله قبل التعرف على أعمال شقيقه الأكبر؛ الروائي والمثقف الموسوعي بدر الديب. لأسباب عديدة -سياسية واجتماعية وثقافية- توارى بدر الديب كصفحة منسية من صفحات الثقافة المصرية، ووُضع في خانة "كاتب كُتّاب" لن يستسيغ القارئ العادي إبداعاته بسهولة، فيما استقر علاء الديب في قلب المشهد الثقافي المصري ليس باعتباره نجمًا بالمعنى المبتذل والرائج، فلطالما زهد الروائي الراحل في الأضواء واكتفى بالظل، لكن بوصفه الضمير أو القديس حتى لو لم يسع هو إلى تصنيفات على هذا القدر من الحدية.

أتذكر مثلًا أنه خلال حوار صحافي أجريته مع إبراهيم أصلان في 2010 حكى لي بتقدير ومحبة عن دور علاء الديب في تقديم كتاب جيل الستينات من القرن العشرين والتعريف بأعمالهم. نبرة الامتنان والاعتراف بالفضل في صوت أصلان أظهرته كأنما يتحدث عن أستاذ للجيل لا عن أحد الكتاب المنتمين له، خاصةً أن صاحب "مالك الحزين" وضعه في خانة واحدة مع اثنين من آباء جيل الستينات هما يحيى حقي وعبدالفتاح الجمل اللذان لعبا دورًا مهمًا في دعم الستينيين بالنشر لهم أو الكتابة عنهم.

"أسميت الجمل أحد أفراد قوى الخير التي كانت موجودة ومعه يحيى حقي وعلاء الديب" قال أصلان قبل أن يخلص إلى أن أمثال هؤلاء "يحفظون لأي حياة ثقافية توازنها".

هذا الرأي لا يخص أصلان وحده، فلطالما نُظر إلى علاء الديب -كما سبق وذكرت- باعتباره الزاهد أو القديس في حياة ثقافية موسومة بالمجاملات والمصالح، ولطالما اعتبر الأدباء -على اختلاف أجيالهم- أن كتابة علاء الديب عنهم تعميد لهم وصك اعتراف بهم.

هذه المكانة نالها الروائي الراحل عن استحقاق لموضوعيته واهتمامه بتشجيع الأصوات الجديدة التي يراها جديرة بالتشجيع والتقديم بغض النظر عن أيّ اعتبارات أخرى.

يشبه علاء الديب أبطاله إلى درجة كبيرة، ويكفي تأمل عبارته التالية لإدراك هذا "قتلتني.. من يومها وأنا ميت. لم أعش بعدها يوما حقيقياً كاملًا".

الإشارة طبعًا إلى نكسة يونيو 1967. هذه الجملة التي تبدو لأول وهلة غارقة في المبالغة والتهويل، سيراها قارئ علاء الديب ملائمة تمامًا لا لوصف حياته فقط بل حيوات شخصياته الفنية أيضًا. فهزيمة 67 مثلت نقطة تحول ولحظة انتهت فيها أحلام أبطاله وفسدت حيواتهم إلى الأبد. في كل أعمال الديب تقريبًا تمثل تلك الهزيمة المدوية كجرح لا يندمل ومرض لا شفاء منه.

عن نفسي، لطالما رأيت في عبدالخالق المسيري وأمين الألفي وغيرهما من أبطال الديب قرناء له وانعكاسًا لوجهه. ولطالما بدا هو لي كموسيقي غير مشغول بكثرة الألحان وتعددها قدر انشغاله بعزف تنويعات على لحن أساسي واحد.

ففي معظم أعماله نقابل البطل نفسه تقريبًا مهما تغيرت أسماؤه. مثقف يساري مهزوم يشعر بالاغتراب عمّا حوله ورافض للانخراط في عالم تحكمه الصراعات والمصالح. عينه ناقدة معرّية للقبح والتناقضات والعيوب. ثمة أيضًا علاقة زواج محكومة بالفشل وحب قديم يبرق في الذاكرة، لكن الأهم الإشارات المتكررة إلى لحظة محددة فسد فيها كل شيء. لا يقتصر الأمر على النكسة السياسية والعسكرية وحدها بل ثمة نكسات فردية أصغر أيضًا. ففي "زهر الليمون" مثلًا تبدو لحظة انفجار قنبلة قديمة منسية في جسد الصغير رضا كحد فاصل بين عالمين وزمنين الأول مزهر ملوّن وحميم والثاني قاحل ذبلت فيه "شجرة الليمون وفقدت ما كان فوقها وتحتها من بهجة وحياة".

أتساءل أحيانًا ماذا لو لم تحدث هزيمة 67؟ أو على الأقل ماذا لو لم يكن لها كل هذا التأثير على شخص علاء الديب وكتابته؟

من الصعب طبعًا الإجابة على تساؤل افتراضي كهذا، لكن قصص الديب القليلة المنشورة قبل 67 تدلنا على تنوع وحيوية أكبر مقارنة بأعماله اللاحقة، لكن تبقى هذه وجهة نظر شخصية كما أنها قد لا تكون ذات دلالة كبيرة حين نلاحظ أن القلق الوجودي نفسه مسيطر في الأعمال الأولى وكذلك الاغتراب والانفصال عن الآخرين، يتجلى هذا بقوة في قصته الطويلة "القاهرة" (صادرة في 1964)، التي سنجد فيها هي الأخرى لحظة مفصلية (وإن بطريقة مختلفة) تتغير فيها حياة البطل جوهريًا عن السابق، وأقصد بها لحظة قتله لعشيقته "هنا انهزم الإنسان. هنا قتل. هنا اعتدى بيديه على الوجود.. هزيمته دليل على أنه بلغ القمة. هنا انكسر وعيه وسقطت عنه الرقابة، واتحد فكره بالعمل.. هنا كف فتحي عن العذاب، وانكسرت قدرته على تحمل حياته".

نقرأ هذه الفقرة ونقارنها بلحظات مشابهة في أعمال أخرى للكاتب، فنشعر كما لو أن الإنسان، في كتابات علاء الديب، مهزوم سلفًا. هزيمته قدر. جزء من تعريفه كإنسان. لا يحتاج الأمر إذن إلى هزيمة بحجم نكسة 67 كي يشعر أبطال صاحب "وقفة قبل المنحدر" بالخواء والاغتراب والخسران. أو ربما كانت الهزيمة العسكرية مجرد وسيلة لتأكيد ما يستشعره الديب ويؤمن به منذ البداية من أن القدر الإنساني محكوم بالخسران.

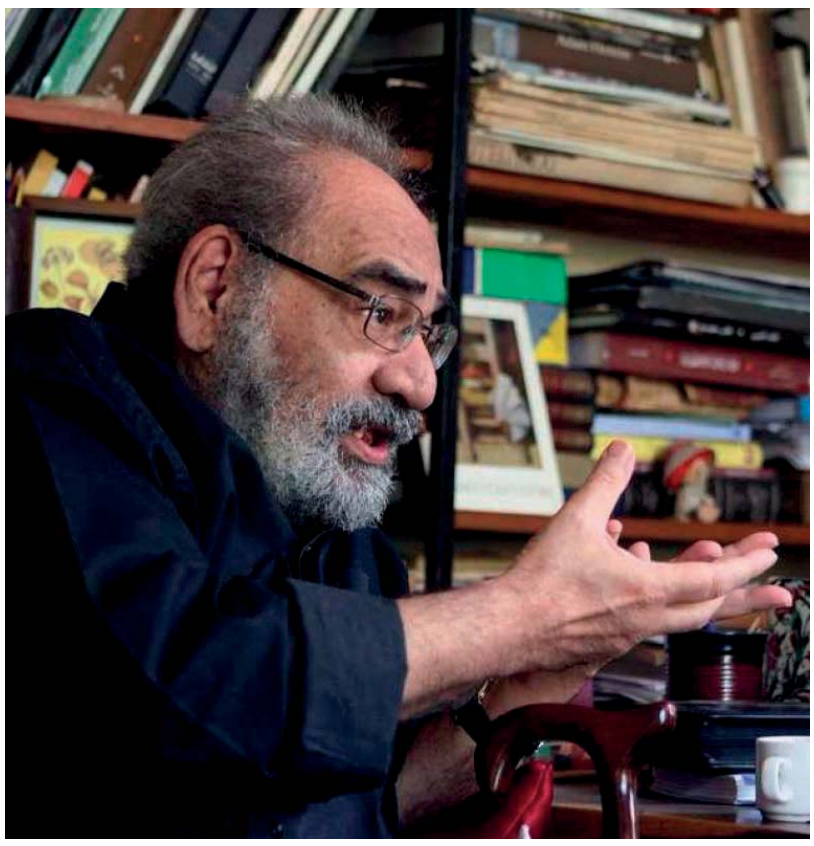

علاء الديب.. الأب الروحي للكتاب المغامرين في مصر

قاهرة علاء الديب

علاء خالد
كاتب من مصر

❏ في رواية "القاهرة" لعلاء الديب، التي كُتبت سنة 1964، تظهر القاهرة بمظهر خانق، لا يتوافق مع صورة قاهرة الستينيات من القرن العشرين والتي تحولت إلى أيقونة، خصوصا في حفلات أم كلثوم وجمهورها، اللذين يوحيان لك بأن هناك أناقة وفرحا في الشارع وفي الروح، وأن الحدود بين الناس ملآنة بالورود. كانت هناك "قاهرة" أخرى لم يتكلم عنها أحد. قاهرة أوج النظام الشمولي، قبل هزيمته، الذي وإن لم يستول كلية على المجال العام الذي يتحرك فيه الناس، إلا أنه قد استولى بقوة على المجال الشخصي والنفسي لهم، وحولهم لأشخاص مُستلبين من قوى كبرى سواء كانت النظام، أو تبدياته في الحياة اليومية والشخصية، أو من المدينة نفسها التي تحولت لنص دعائي.

> الأبطال في «قاهرة علاء الديب» يتحركون بحرية داخل حدود قاهرة الستينات من القرن الماضي، من الدقي للعتبة لباب اللوق للكورنيش لشبرا

***

هناك شيء قاهر يقف لهم بالمرصاد، وليس غريبا أن يلعب علاء الديب باسم "القاهرة" كاسم وكصفة. في قاهرة علاء الديب تظهر الضوضاء والزحام والزبالة في الشوارع. قاهرة ما بعد ثورة 52 التي بدأت تفرض شخصيتها على سكانها، وتصبح لها سمات نفسية حادة تورثّها لهم. هنا يظهر علاء الديب كممثل للإنسان المديني الذي يتعامل مع مدينته ككتلة حية وليس كتصور سياسي أو نص دعائي مجرد، كما سيحدث القاهرة فيما بعد هزيمة 67. تلك الهزيمة التي حولت المدينة/القاهرة إلى "مركز ، كرد فعل وانتقام على الهزيمة التي قامت بتهميشها. هذه "المركزية" بدأت تتشكل بعد ثورة 52، مع بداية تشكل النزعة القومية التي أصبحت سمة المدينة والمتحدثين عنها ورواتها فيما بعد. كان علاء الديب في هذه الرواية الصغيرة يقف موقفا مختلفا، لم يسيّس المدينة، وشعر بهزيمتها، في أوج انتصارها وزهوها، وانفصالها عن الجسد الحي الذي يعرفه عنها.

***

في رواية " القاهرة" لم يكن للمدينة "مركز محدد يؤطر ضياع البطل، لأنه لم تكن هناك "مركزية" تم صياغة خطابها، كما حدث في الأدب بعد ذلك. لأن أبطاله لم يكن لهم توصيف محدد سوى أنهم أناس عاديون، قبل أن يدخل "البطل المثقف والهامشي" بحمله الثقيل وهزائمه المتكررة الرواية المصرية، ويؤسس له مركزا هامشيا محاصرا، بعد هزيمة 67. تلك الهزيمة التي أثرت على مسار الأدب المصري وأدخلته في حالة دونية ذاتية، أو بمعنى آخر تم اختزال وحصر المنتوج الأدبي ومجاله لخدمة هذه الروح التي هُزمت.

***

الأبطال في "قاهرة علاء الديب" يتحركون بحرية داخل حدود قاهرة الستينات من القرن الماضي، من الدقي للعتبة لباب اللوق للكورنيش لشبرا. إنها الحدود المدينية لقاهرة الستينات، التي لم تدخلها بعد العشوائيات وضواحيها ولم تدخلها التمايزات الطبقية الحادة التي جاءت مع توسع القاهرة. كان هناك شبه مدينة متجانسة. غياب المركز المحدد في المدينة، أو امتداد المدينة جغرافيا في عين الكاتب، وسَّع من نموذج البطل، لم يجعله نموذج البطل الهامشي الذي أصبح سمة في الأدب بعد هزيمة 67. بل كان ذلك الشخص العادي الذي يرى القاهرة من شباك وظيفته في الطابق الثالث في المتحف الزراعي في الدقي، وأيضا من سقف أحلامه الواطئ. نعم البطل مهمش بحجم القهر الذي يحوطه، ولكنه مازال يملك المدينة المتجانسة بكاملها ليتحرك فيها. كان المجال العام لا تزال به فراغات ومساحات لحركة الأبطال ولنزواتهم وجموحهم الشخصي.

***

لم يكن البطل، في رواية "القاهرة" أديبا أو مثقفا أو سياسيا أو مؤرقا وجوديا، بالمعنى الذي ظهر بعد هزيمة 67، وأصبح الانكسار سمة أساسية له، ومن ثم أصبح له مكان مركزي/هامشي بجانب المدينة، أو امتداد لها، أو في قلبها، ولكنه مسور بحماية جغرافية أو نفسية؛ يصعب أن يخرج منه؛ مثل "مالك الحزين" لإبراهيم أصلان.

على العكس، كان يأس وانكسار بطل علاء الديب أكثر تبكيرا وحدسا بالهزيمة الآتية، ولم يكن له هامش/مركز يحميه. لا يزال يتحرك في المدينة بحرية ولم يُطرد بعد من قلبها، أو يحتل قلبها في ذاكرته. برغم يأس بطل علاء الديب إلا أنه كان ينثر يأسه هذا على جغرافية المدينة، ويتنقل به من مكان لمكان. ربما لكي لا يركز اليأس في مكان واحد مقدس. وكذلك لكي ينثره على المدينة بكاملها، كي تصبح هي صورة ليأسه وهزيمته، أو يصبح هو صورة ليأسها وهزيمتها. هناك علاقة قربى ونسب وتبادل حميم بين البطل والمدينة. ربما هي امتداد للفكرة الأبوية، أو إحدى تجلياتها.

***

البطل في الخامسة والثلاثين. ولكنه يتكلم بسن من انتهت حياته واتضح كل شيء في المستقبل. ربما هنا يُرجع الكاتب السبب للمدينة، التي أفرغت بطلهَا العادي من كل طموح سياسي أو اجتماعي، أو شخصي. من قطف عمر هذا الشاب مبكرا؟ لم تكن الهزيمة أتت بعد، كانت لا تزال أمامها ثلاث سنوات. ربما المدنيّة، أو الحداثة، أو أشكال الحياة الحديثة ومساوماتها، ربما المسئولية التي لم تعد تتحملها فردانية الإنسان الحديث، ربما النظام الشمولي الجمعي الذي كان يحكم وقتها. جميعها قطفت عمر هذا الشاب، وجميعها إحدى صور انتهاء عصر الأبوة. هناك عصر جديد يضع الابن وحيدا في مركز الثقل في الحياة، الذي يدفعه لكي يهرم مبكرا. ربما الرواية تدور حول انفصال قسري عن عالم الأبوة الحميم. تذكرنا من بعيد بأبطال نجيب محفوظ قبل أن يختفي سؤالهم الوجودي، أو تتوقف رحلة بحثهم عن معنى للحياة؛ ويتعقد ويصبح مبهما وغامضا عليهم.

***

الجزء الطارئ على هذا التجوال الحر للبطل في مدينته، هو لحظة الذهاب للمقابر لدفن أخيه. هناك شعر أنه خارج عقل المدينة، خارج مركز القهر، فاستيقظت غرائزه ودبر المؤامرة التي ستودي بحياته وبحياة خليلته. ربما الحرية الخاصة للفرد تتأكد هنا عندما تخرج عن سيطرة المدينة الإله العقل المراقب لتصبح أنت الإله، كما يذكر البطل في الرواية، وتقرر مصيرك بنفسك، وتضع خططك لنفسك، وتنتقم منه في صورتك.

***

في حوار ممتع أجريته مع الأستاذ علاء الديب حول سنوات الجامعة، شرح لي كيف كان تجواله في قاهرة خمسينات القرن العشرين، قاهرته التي أحبها. كان يسير في "مناخ ساج"، كما يصفه بدقة، في طريقه للجامعة. تشعر في حديثه بأن الكون كله متسق معه في سيره اليومي. برغم كل الزخم السياسي لقاهرة الخمسينات إلا أنها لم تكن حائلا لشعوره بالاتساق والتوحد مع نفسه، كانت المدينة لازالت كتلة حية بالنسبة إليه ولم تتحول بعد إلى قاهرة مسيطرة، أو إلى نموذج أبوي بالمعنى الفرويدي الذي تود قتله والتخلص منه أو الهرب. كانت القاهرة وقتها لها نظام أبوي حان في نظر علاء الديب، وهي أيضا نظرته للأبوة، كما حكى لي في علاقته بأبيه، نوع من التقدير وليس الصدام. هذا الإحساس الأبوي بقاهرة الخمسينات من القرن الماضي بالمدينة سيفقده بطله بعد ذلك خلال سيره في قاهرة الستينيات من القرن نفسه، ربما بضغط الحس الأبوي الشمولي الذي كان يفرضه نظام عبد الناصر.

علاء الديب: القارئ «سجين البيت» راصد تشوهات المثقف المصري

إبراهيم فرغلي
كاتب من مصر

❏ حين يذكر اسم علاء الديب أتذكر فورا أنه "القارئ" الذي تفتح وعينا على قراءاته المهمة لأبرز كتب الفترة التي تألقت فيها زاويته الأسبوعية في مجلة صباح الخير "عصير الكتب" والتي استمرت ربما لعقدين كاملين. كان قارئا نموذجيا من حيث اختيار الكتاب ثم تقديمه بأسلوبه الجميل الرشيق والتوقف عند أبرز ما يثيره خلال هذه الزاوية التي لا تزيد عن صفحة واحدة في المجلة المرموقة.

أحببت الديب ككاتب أيضا، لأسلوبه الخاص، الجمل القصيرة المحملة بالشحنة الأدبية والشجن، خصوصا في روايته الذائعة "زهر الليمون". الأسلوب نفسه وسم ثلاثيته الجميلة التي تتكون من الروايات: "أطفال بلا دموع"، "قمر على المستنقع"، "عيون البنفسج".

لكنه بالنسبة إليّ كان مختلفا عن جيله الذي وسمت أعمال أغلب رموزه مسحة من التجريبية أو الخيال أضافت إلى المنهج الواقعي السردي المصري إضافات مختلفة، لكن الديب التزم بالواقعية، بشكل كبير. وتفسيري الوحيد ربما يعود لانخراطه في العمل السياسي، يمينا ويسارا، كما أشار في مذكراته "وقفة قبل المنحدر"، وتأثره بفكرة العمل السياسي في التغيير والتي ربما تكون انسحبت على الأدب بشكل ما.

حين قرأت ثلاثيته في الحقيقة قرأتها قراءة مقارنة مع عدد من الأعمال التي تناولت تجربة الاغتراب، وخصوصا تجارب هجرة المصريين إلى منطقة الخليج التي بدأت في السبعينات من القرن العشرين، وأبرز تلك الأعمال كانت "البلدة الأخرى" لإبراهيم عبدالمجيد، وروايتين أخريين لكل من محمد المنسي قنديل ومحمد عبدالسلام العمري.

كانت تلك الروايات، بعيدا عن المستوى الفني، والبناء تتناول قضية الغربة عن معرفة بمجتمع الخليج نفسه، وأحيانا ببعض عوالمه المسكوت عنها لعوالم المجتمع الخليجي، كما في نص محمد عبدالسلام العمري، أو بالتركيبة النفسية للمغترب المصري في مجتمع الاغتراب.

بينما كانت ثلاثية علاء الديب بالنسبة إليّ تتناول الأثر النفسي لمثقف الستينات من القرن العشرين والذي اضطرته الظروف للعمل في الخليج وأصبح يرى في نفسه مغتربا عن مجتمعه من جهة وعن مجتمع الغربة أو الهجرة معا، لكن من دون إيجاد التفاصيل الفنية التي توضح أسباب ذلك، أقصد من دون توضيح تفاصيل مجتمع الهجرة وكيف يضغط على المهاجر المصري ليتحول قيميا على النحو الذي يصبح عليه.

نرى أستاذ الجامعة الذي طلق زوجته وهجر أبناءه وتحول كما يصف نفسه إلى ماكينة لجمع الأموال بطريقة كلاشيهية مستوحاة من الريفي المصري الفقير الذي يتحول إلى الثراء النسبي فيظل جائعا للمال طوال حياته.

كنت أرى أن الديب تجاهل التعريف بتفاصيل علاقات المغترب مع المغترب مثله، أو مع أهل مجتمع الغربة، على عكس رواية "البلدة الأخرى" لإبراهيم عبدالمجيد مثلا، وتجاهل الأثر الرئيس الذي يعد أحد أهم المتغيرات التي أصابت المجتمع المصري منذ السبعينات من القرن الماضي، التي تتمثل في اختراقه وتغيير تكوينه الثقافي والاجتماعي بعد استيراد صراعات السلفية والوهابية على يد بسطاء ونخب المصريين الذين عاشوا في المجتمع السعودي وعادوا لمصر بقيم جديدة مثل الحجاب والنقاب والتدين المظهري المبالغ فيه ومحاولة طمس العديد من الطقوس الاجتماعية المصرية المتوارثة بدعوى أنها حرام.

> أحببت الديب ككاتب أيضا، لأسلوبه الخاص، الجمل القصيرة المحملة بالشحنة الأدبية والشجن، خصوصا في روايته الذائعة «زهر الليمون»

سلط الديب الضوء في المقابل على الصراع النفسي لمكتئب مغترب، الدكتور منير فكار، أضاع إحساسه بالبساطة وقيم الريف التي نشأ عليها، من جهة، ولم يصبح شيئا ذا بال في الوسط الأكاديمي الذي انتمى إليه في الخليج فأصبح مسخا. وهو في الحقيقة نموذج لعدد كبير من الأكاديميين الذين شوهتهم ليس فقط ظروف الغربة بل وانحدار مستوى التعليم في الجامعات المصرية التي أسهموا في تعميق انهيار مستواها بحيث أصبح التعليم الجامعي تمثيلية رديئة لا تخرج إلا أنصاف متعلمين على أقصى تقدير.

سأهبك حذائي المجنّح

يوميات شاعر عربي في نيويورك

فاروق يوسف

❏ أنا طائـر. أصل طائرا. البحـر هناك تحت. ليس البحـر وحده تحت. هناك حكايات لم ترو عن سـفن لم تصل وسـفن لا تـزال في الطريق وسـفن لم تبن بعد. لم تكن هناك قوارب للموت يومها. كانت القوارب من خشب. كانت القوارب لا تبتعد عن الشـواطئ كثيرا. هناك حبل نجاة مشدود بطريقة تمكّن المرء من أن يثق بعائلته التي تجلـس في انتظاره على مائدة العشـاء. شـمعة وحيدة للقراءة. هناك رجل يقرأ وامرأة تتسـلّى فـي النظر مـن النافذة. المـرأة التي تجلس إلى جانبي شـقراء تتكلم العربية التي تعلمتها في سـنة عيش عميق واحدة بدمشق. "يـا مصطفى يا مصطفـى" كما لـو أنها كانت تنتظر مني أن أصفق حنينا إلى الشام لترقص قبـل أن تقلـع الطائرة. في الحقل سـنونوتان وثلاثة عجول وفرس. من غير حبر أكتب. أحلم ببحيـرة من حبـر لا يُرى بل يُشـمّ مثل رائحة صابـون الغـار. أحلم بأزهار تطلع برؤوسـها من الرّمل. خارج الطائرة تشـبه الغيوم أكياسا معبأة بقطن أبيض. يسيل الصمغ على الجذع. الأصابـع هناك ترسـم وجوها تقلّـد أقنعتها. ليسـت عاصفة. إنهـا ضحكة امـرأة تقبل من الماضـي. أطبـق عينـيّ لأقرأ. هنـاك كتاب لا يـزال مفتوحا. حين تُغلـق الكتب تفقد الطيور أجنحتها. سـيكون الحلم دافئـا مثل أثر رأس علـى وسـادة. ليس ليلا. إنها بئر بسـلالم من حرير. انزلق بهدوء إلى تلك البئر. مَن سـبقني إلـى عتمتـه يمكـن أن يراني. لـه وجهي وقد انعكس في المياه.

"أنـت مـرآة ألمي" يضحـك. "أنـت قتيلي إذن" يبكـي. يقـول "إن ما جـرى يمكن أن يقع فـي أيّ لحظة تغرق فيها الفراشـة في محبرة. ليكـن الحبر أزرق وليكن مطبخ منزلك هناك في العاصمـة البعيدة كوكبه الـذي تلصق بزجاج نافذته الفراشة جناحيها وتموت.

ليست نيويورك. هي زائر قتيل.

ما كان على نبوءة الطفل ذي الوجه الدائري الأبيـض أن تحط في صحن الفاكهة. لن أصدق أن يد السماء تقتل. تخبرني المرأة التي تجلس إلى جانبي أن الإقامة في نيويورك تجعل المرء قريبا من السماء.

"أنا طائـر" تقول لـي. ألتفت إليهـا. أراها بطريقـة مختلفة. لم تكن لديها رغبة في الرقص على نغم أغنية رثة. كانت امرأة أخرى. بريطانية تعمـل في نيويورك. ابنتي تعمـل هناك أيضا. "في شارع المال؟" "لا في مؤسسة فنية". العرب يجيدون توظيف الأمـوال. وهم تائهون أيضا. تصمت. ليست الفراشة وحيدة في عتمة الحبر. هناك شعراء ونقابيون ورواد فتنة وعصابيون وقتلـى ونسـاك ومريـدو أقاويـل وصانعـو منمنمات وموسـيقيون حفاة ورسامون ليليون ومدخنـون وناجون من التهلكـة ورواة بمزاج متمـرد وصعاليـك متأنقـون وأئمة مـن غير أضرحة وعصاة أخذت المياه أقدامهم وتركتهم على الشاطئ.

مـن لنـدن إلى نيويـورك ستخسـر خمس ساعات. قبل حوالي تسـعين سنة خسر لوركا أياما. بعدها خسـر عمـره. غرناطتي غرناطة. لقد ألهم نيويورك لحظة فالتة من عمره. الأزرق الذي يحلم والأزرق الذي يجب أن يكون والأزرق الذي هو احتمال وحيد.

سـأجلس على ضفة نهر هدسـون وأبكي. لا يزال في الحقل متسـع لسـنونوتين وثلاثة عجول وفرس وحيدة. منذ أن أدركت أن الشـعر لا ينفع ولكنه ضروري وأنا أكلم العشب كما لو أنه قد تمكن من اللغة قبل أن تسـتدرج معانيها إلى مسـيرات الجنون. لقد التهمت مياه النهر الكثير من الآهات. أبني لك جسرا من التنهدات لكي نعبر معا إلى جزيرة لن يجرحنا فيها أحد. أيها الصديق الذي تعلم من لوركا طريقة النظر إلـى الزهور لا يـزال في إمكانـك أن تنتظرني لنمشـي معا المتر الذي لم يصل إليه الشـاعر القتيل.

أنا مثلك
ضحية، غير أنني أمثل مثلك دور القاتل
لكي لا يرى الآخرون فضيحتي
أنا مكسور مثل كلمة لم يقلها أحد
أنا ضائع مثل دمعة لم تذرفها عين
أنا شـريد مثل نغم يصعب على الكمنجات أن تعزفه.

■ أسقط مثل تفاحة

الليل هناك. يضم مدينة، نوافذها تطل على العالم وأبوابها موصدة على مرابين ومصرفيين وأباطرة فن وصانعي مصائد ومخترعي ألعاب وراقصيـن حفاة ومتزلقين علـى زئبق مرايا لصورها تأثير ضربات العاصفة ومركبي جمل مـن هـواء وقتلـة متأنقين. لا شـيء يخلو من الأناقة في مكان لا يوصف. فلا هو واسع ولا هو ضيق. لست وحيدا في ذلك المكان ولكن عزلتي تضيـق مثل كيس نـوم. كان علي أن أظل نائما إلى أن تدق شـمس النهار بابي. وهي شـمس تأخرت خمس ساعات. ألسـت ورقة؟ أنظر إلى كتابي المفتوح وأفكر في الأبواب المفتوحة في مدن كنت قد زرتها في الماضي. ضحكة صديق تطلق عنقود عنب مسـتعار من عصر الباروك. "سأهبك حذائي لتحلم قدماك أحلامي" يقول لي صديق أممي أبقى الشباك مفتوحا على غرناطة لأن لـوركا أوصـى بذلك. الحـوذي لا يفكر في حذائه بل من خلاله. يضحك صديقي لأن الكأس قـد طفحت ولم يعد في الشـارع سـوى حراس رامبرانت الليليون. "ستركض ولكنك لن تصل" ذلك صديق أصيـل. "ضع تفاحتك على الطاولة واتبعني" قـال "ولكنني التفاحة وقد سـقطت من عليين" أنظر إلـى منهاتن. فرصة أن يراها المرء من فوق. أعرف أنني سأكون دائما تحت. قـرأت "أليس في بلاد العجائـب" مرات عديدة وألهمتنـي حجومـا تعرفت عليها فـي ما بعد في التيه. أيها الأرنب سـأتبعك إلى بلاد غريبة سيكون فيها الشـعر زقزقة عصافير صباحية. بثياب العمـال الزرقاء سـأجد نجمتي وأذهب معها إلى دار السـينما. سيُقال ثريّ متنكر. ذلك حقيقي فأنا قادم باعتباري شـاعرا يمشي وراء شاعر سـبقه. قبل تسعين سنة سـبقني لوركا إلـى أميركا. كانـت هناك أميـركا أخرى. ولكن أميـركا هي أميـركا. الترف والشـظف. الغنى والفقر. العدوانية والتآخي. الكرم والسرقة. لن يكون لوركا في انتظاري في مطار جون كنيدي. سـأصل نائما مثلما وصلها الشاعر الذي يضع الآن خده على العشب المبتل حالما بليلة مقتله. "لـمَ ربطـة العنـق إذن؟" تقـول المضيفة حين سألتها عن سر النهار الذي يرافقنا. نهار خارج الطائرة وليل داخلها. ابتسـمتُ من أجل خمس سـاعات مضافة إلى العمر. ما الـذي يمكن أن يفعله المرء فيها؟ أسـقط مثل تفاحة تُرسم من أجل أن تسـتعيد حياتها في الفن. أرسـم خطا بين الجرس ورنينه الذي يضرب العيون. علاقة تذكّـر بالقدم وخطوتهـا التي تتـرك أثرا على العشب. الناس البريون مرهفو الحواس. ما من نملة تدس أنفها إلا بعد أن تشعر بالخطر. ولأن الشـاعر كائن بـري فإن الخطـر يجذبه، يحيط بحواسـه مـن كل جانب. الشـعر مهنة خطرة. السـفر كذلك. هناك مَن يسافر لكي يكون غريبا. يضحك الشاعر "ستكون غريبا مثلي" "ولكنني أحمـل خرائط سـتعينني علـى أن أتبعك" "لن تجدنـي لأن خرائطـي التـي تحملهـا معك قد مزقتها الجادات والشوارع التي صنعت معجزة مدينة لا تنتمي إلى عالمنا. إنس أوروبا وآسيا وابدأ صباحك بشمس نيويورك.

أيها الساحل حيث ينتهي بحر الظلمات
أيها الساحل النابت بوحشته مثل مقبرة
أيها الساحل الغارق بالنور

ألا يزال الشـاعر القتيل جالسـا في إحدى حاناتـك وهو يعد أصابعه بحثا عن ثور ضائع ومصارع مسـمّر على فرسه في انتظار صيحة الجمهور؟

■ كأنها منهاتن

أن يقيـم المرء في منزل أرضـي ببروكلين فتلك مفاجـأة قد لا يتوقعها أحد. ليسـت هذه نيويورك. كما لو أنني هبطت إلى منزل بحديقة إسـمنتية يقع إلى جوار كنيسـة. فـي الطريق من مطـار جون كينيدي كان بريق منهاتن يأتي من الجهة البعيدة اليمنى. عمود من نار يشـير إلى برج أمباير سـتيت. "أهي هنـاك دائما؟"، كان المشـهد مختلفا بالنسبة إلى لوركا القادم بسفينة. سـأؤجل البحث عن الشوارع الخفية التي مشى فيها هنري ميلر. من "مسرول أفنيو" حيث أقيم إلى شارع فرانكلين الذي يتقاطع معه مسافة عشر دقائق. من هناك يمكن رؤية منهاتن لكن من وراء سياج. كان عليّ أن أبحث عن شارع يؤدي إلى ضفة النهر. ما كان من ميلر سوى أن يرفع صوته بالشتائم ويصاب بالإحباط لو أنه رأى تلك المباني الكئيبة التي تسد الطريق. لم أشعر باليأس. الزرقة هناك فيما منهاتن بعيدة عن المكسيك كما هي بعيدة عني.

مساء أمس في مطعم مكسيكي كان الحديث يجري بالإسـبانية بصوت عال. مَـن يكلّم مَن؟ حين اكتشـفت أن مَن جلب الماء إلى منضدتنا كان هو الآخر زبونا فهمت جزءا من اللغز الذي يعالجه ذلك السؤال. لا يحتاج المرء إلى أن يكلم نفسه حين يهذي بصوت عال فلا أحد يتابع كل جملة يقولها. ليس من اليسـير أن يكون المرء مكسيكيا. هنا الجميع مكسيكيون. الطول نفسه والسـحنة نفسـها وكان هناك كبير الطباخين الذي يشـبه هوغو شافيز وهو الأكثر مكسيكية من الجميع يضحك بطريقة تكشـف عن سعادة اللحظة التي تتوقف الملائكة فيها عن الكتابة. يحتاج المرء إلى أن يلتقي مكسيكيا لكي ينسى نيويـورك. تذكرت أن هناك مَن قال "المكسـيك قريبة من الولايات المتحدة، بعيدة عن الله".

ذلك النـوع من الحلول لن يكـون نافعا في الشارع السـابع من منهاتن. وهو الشارع الذي صار كله تايم سـكوير. سـلطة العبث نشـرت وحوشها. وحش عند كل منعطف ودمية تسخر من نفسها ومن الآخرين. ما من جزيرة تستقبل زائريهـا بمثل ما تفعل منهاتن. ربما كان علينا أن نفكـر بحريتهـا لا بحريتنا. هناك عنف على الرصيـف. ناعم ونظيـف غيـر أن أناقته تكاد تجرح.

ليست حجارة. الكلام أثقل من الحجارة.
خفيفة العقل منهاتن.

يـزداد زوارها ظرفا حين يفقـدون عقولهم مـن أجل أن يتوازنوا. هناك من يبتسـم لك كما لو أنه يعدك بالحفاظ على سـر مشـترك. حفلة مجانين. أعدك بنهار يشبه ليلي لتزورني حاملا شمسك مثل مظلة.

أنا قرينك فهل أخطأت الطريق في الغابة؟
في الشارع السابع تبدو الغابة كما لو أنها غابة غير أنها ليست كذلك.
تكذب المدينة فلا أحد رآها.

تقتـرب مني فتـاة عارية بملابـس داخلية رسـمت على جسدها. لا شيء من السخرية كما لو أننا في مأتـم. لا يلتفت إلينا المارة وما من أحد شعر بالحرج. "هل ترغب في التقاط صورة معي؟".

> أن يقيم المرء في منزل أرضي ببروكلين فتلك مفاجأة قد لا يتوقعها أحد. ليست هذه نيويورك. كما لو أنني هبطت إلى منزل بحديقة إسمنتية يقع إلى جوار كنيسة

أهز رأسي مبتسما فتبتعد من غير أن يظهر على وجهها أيّ نـوع من التعبيـر. الإعلانات الضوئية من حولنا تضرب القلوب قبل العيون وما عليك سـوى أن تمرّ مثلك مثل الآخرين. ما عليك سـوى أن تمر. الصوت والصورة. الرأس والقـدم. الكـرة والفكرة. هنـاك همجية تكرّس يأسها من خلال ترف لا يُضاهى وهناك أبجدية الصـورة التي صنعـت أسـطورتها على ركام اللغات.

في ذلك الشـارع سـتكون واحـدا من ألف. واحدا من مليون.

مـا أن تلتفـت حتى تفقد مكانـك. هناك مَن يحلم بأن يغيب قبلك.

ليسـت منهاتـن إذن. لقد شُـبّه لـي. كأنها منهاتـن. لن تطرح مفاتيح البيانو أسـئلة على أصابع العزف بعد انتهاء العزف.

"أردت أن أحدثك عن بشر ضائعين"
"فيما يحلو لي أن أحدثك عن أحلام ضائعة"
"وهو الفرق بيننا. منهاتن حلم خربه بشـر ضائعون".

■ قمر لا يفهمه أحد

أما أنهـا كانت مثل الصفر فـي الخطأ في الحساب فتلك مسألة عاطفية.

أو أنهـا كانت تغرر بي للخروج عاريا تحت المطر فتلك مسألة رياضية.

ليس الصفر نفسه دائما غير أنها لم تُخرج من معطفها سـوى نهدين مترفين كأن المطر قد استودعهما سره.

هناك "قمر لا يفهمه أحد" لوركا لا يمزح.

ليس الصفر وليسـت الغيمـة. هناك امرأة تعـدك بما لن تفهمـه. خيل إلـيّ أن لوركا، هو نفسـه لوركا العربي يجلس علـى مصطبة من حجـر مصقول مـن غير أن يمد يـده إلى جيبه ليخـرج أوراقا كان قد كتب عليها قصيدته التي يرثي بها نفسه "إن مت ابق النافذة مفتوحة"

"ما من نافذة تُفتح في منهاتن"

سـأروي لك الحكاية حسب الكتب المقدسة "كانـت هنـاك فتاتان تروميـان جلـب الماء من البئـر. حيـن رآهمـا النبي عـرض عليهما أن يسـاعدهما في الحصول على الماء فاشـتهته إحداهما. وحيـن عرف والدهما وكان كبيرا في السن عرض عليه أن يتزوج ابنته".

لـو أن أحـداث تلـك الحكايـة وقعـت في نيويورك لشيّدت من أجلها مدينة للملاهي.

نيويورك هي الأخرى مدينة مقدسة لكن من نوع مختلف.

الفتاة العارية التي رأيتها في تايمز سكوير هي واحدة من كاهنات بابل.

ربما لا يفكـر أحد في نيويـورك في القمر. إنه خرافة ريفية تعيدنا إلـى بغداد. كان القمر في غرناطة شـيئا آخر. لـن يفهم العرب إلا قمر ابـن زريق البغدادي. "أسـتودع الله في بغداد لي قمرا/ بالكرخ من فلـك الأزرار مطلعه" ولأن ابن زريق لم يسـتبدل ليله بنهار فقد كان نائما حين حضرت الملائكة. ولكن لوركا نظر بعينين مستفهمتين إلى الملائكة حين قتل.

عليـك أن لا تفكر بوالـت ويتمان. نيويورك ليسـت أميركا. المدينـة التي تحتفـل بذكرى غزو كريسـتوف كولومبس لبلاد صار سكانها الأصليون مجرد أشـباح يمكـن للمرء ن يلتقي واحـدا منهم من غير أن يكون مضطرا للوقوف لـه احتراما. فهـو لاجئ. ليس سـيئا أن يكون المـرء لاجئا بشـرط أن لا يصادفـه ذلك الحظ السيء على أرضه.

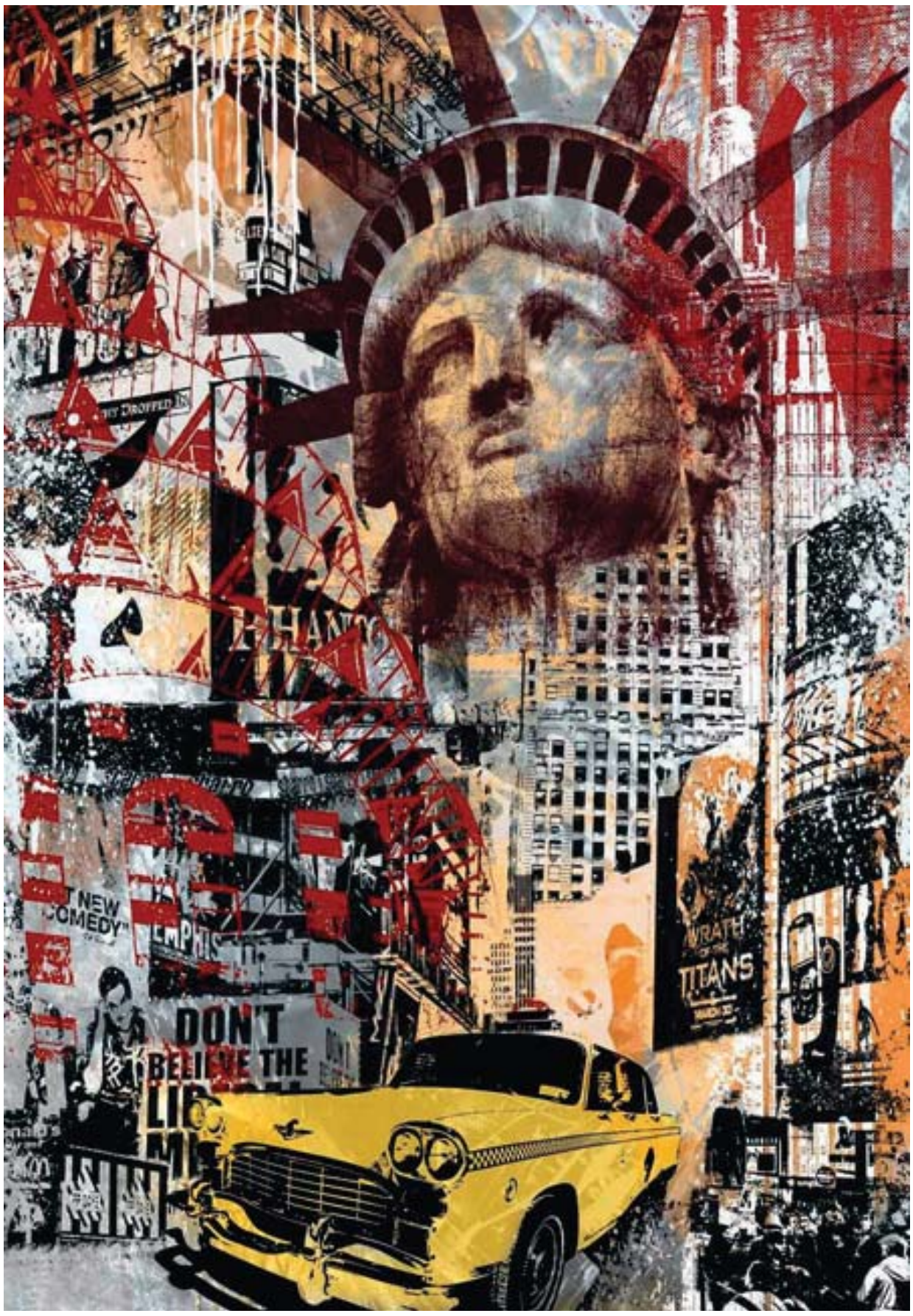

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

في «أحلك الساعات» تشرشل يقود بريطانيا إلى النصر

الشخصية الكاريزمية التي تتغلب على الشك وتسترد القوة

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ خلال العامين الأخيرين فقط، ظهرت ثلاثة أفلام تدور حول شخصية الزعيم السياسي البريطاني وينستون تشرشل (1874 – 1965) الذي يعتبره معظم البريطانيين الشخصية الأكثر تأثيرا في القرن العشرين. وهي ظاهرة سينمائية تكشف عن احتياج واضح للعودة إلى تسليط الأضواء على -والاستلهام من- حياة وإنجازات شخصية قيادية قوية مثل شخصية تشرشل، تتمتع بـ"كاريزما" مميزة، خاصة بعد أن أصبح الجمهور يقبل على مشاهدة هذا النوع من الأفلام، ويشجع على إنتاجها، ويتبارى في أداء الدور الرئيسي فيها كبار الممثلين.

الفيلم الأول هو فيلم "سر تشرشل" (2016) من إخراج تشارلز ستريدج، الذي يدور حول تعرض تشرشل -الذي عاد إلى منصب رئيس الحكومة البريطانية عام -1952 لجلطة دماغية (وكان وقتها في الثامنة والسبعين من عمره) أقعدته عن العمل، لكن زوجته تمكنت من إخفاء الأمر تماما عن المجتمع السياسي، إلى أن تمكن الرجل من هزيمة المؤامرات التي كانت تحاك في أوساط ويستمنستر لاستبداله، وتمكن من التعافي بمساعدة ممرضة وهبت نفسها من أجل أن يستعيد صحته. وفي هذا الفيلم تألق الممثل الكبير مايكل غامبون في دور تشرشل.

> الفكرة الأساسية في فيلم «أحلك الساعات» هي كيف يتولى زعيم سياسي مسؤولية قيادة بلاده، في أحلك الساعات التي تواجهها الأمة البريطانية في تاريخها الطويل، أمام تهديدات هتلر بغزو البلاد وإخضاعها، وكيف يتخبط هذا السياسي المخضرم، ما بين الشك واليقين، وينتقل من انعدام الثقة، إلى اكتساب القوة، ومن الشعور بالذنب والأرق، إلى الاستقرار على ضرورة الصمود والقتال مهما كلف الأمر

أما الفيلم الثاني فهو "تشرشل" (2017) الذي قام ببطولته بريان كوكس، وأخرجه الأسترالي جوناثان تيبليتزكي، ويصور الفيلم الأزمة النفسية التي انتابت الزعيم البريطاني بعد أن بدأ العد التنازلي لعملية الإنزال العسكرية الكبرى بفرنسا وبدء تحرير أوروبا من القوات الألمانية عام 1944. والفيلم بأكمله تصوير متخيل، لما يمكن أن يكون قد دار في ذهن الزعيم السياسي المحنك، وما كان يؤرقه في الواقع، لعدة أشهر قبل بدء العملية.

الفيلم الذي نحن بصدد الحديث عنه هنا هو الفيلم الثالث وهو فيلم "أحلك الساعات" (Darkest Hour) الذي أخرجه البريطاني جو وايت، وقام بدور تشرشل فيه غاري أولدمان (حصل عن دوره هذا على جائزة أحسن ممثل في مسابقة الكرة الذهبية غولدن غلوب مؤخرا). والفيلم دون شك، أفضل الأفلام الثلاثة، وواحد من أفضل الأفلام التي ظهرت عن الزعيم البريطاني الذي لا يزال يثير الجدل حتى بعد وفاته بأكثر من خمسين عاما. ومعروف أن الأفلام التي تناولت على نحو أو آخر شخصية تشرشل بلغت نحو ستين فيلما. وعلى الرغم من كثرة الحوار واعتماد التصوير على أماكن محدودة إلا أن "أحلك الساعات" يتميز بأسلوبية سينمائية رفيعة المستوى من حيث الصورة، والإيقاع، والابتكار في زوايا التصوير، والإخلاص الشديد لطبيعة وأجواء الفترة الزمانية من جميع الجوانب؛ الملابس، السيارات، الأشكال، الديكورات، والإضاءة التي تلقي ظلالا على الصورة بحيث تضفي أجواء القلق والترقب على مشاهد الاستعداد للحرب، ومداولات البرلمان البريطاني القريبة من الواقع، إلخ.

بين الشك واليقين

الفكرة الأساسية في فيلم "أحلك الساعات" هي كيف يتولى زعيم سياسي مسؤولية قيادة بلاده، في أحلك الساعات التي تواجهها الأمة البريطانية في تاريخها الطويل، أمام تهديدات هتلر بغزو البلاد وإخضاعها، وكيف يتخبط هذا السياسي المخضرم، ما بين الشك واليقين، وينتقل من انعدام الثقة، إلى اكتساب القوة، ومن الشعور بالذنب والأرق كلما ذكره الآخرون بقراراته الخاطئة التي تسببت في كارثة عسكرية لجيش بلاده في معركة "غاليبولي" قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى، إلى الاستقرار على ضرورة الصمود والقتال مهما كلف الأمر، لكي يصبح قائدا يثبت التاريخ أن موقفه كان صائبا، وأن الأمم التي تستسلم تسقط حقا من التاريخ.

يدور الفيلم داخل ديكورات تضاهي الأماكن الحقيقية؛ قاعة مجلس العموم البريطاني، وزارة الحرب، الأقبية والممرات والغرف السرية الكائنة تحت الأرض في منطقة الحكومة بويستمنستر التي شهدت اجتماعات وزارة الحرب التي شكلها تشرشل بعد أن تولى رئاسة الحكومة عام 1940 وبعد الإطاحة بسلفه تشامبرلين الذي ضحك عليه هتلر وأقنعه بأنه سيجنح للسلام ثم قامت قواته بغزو بولندا، وكذلك غرف مقر رئيس الوزراء في 10 داوننغ ستريت، مع بعض المشاهد الخارجية المحدودة. ولعل مما يلفت النظر في الفيلم الذي يتناول الأسابيع الأولى من فترة رئاسة تشرشل لحكومة الحرب، ابتعاد الفيلم كثيرا، إلا فيما ندر ومن خلال مشاهد مقتضبة، عن التركيز على مشاهد الجنود البريطانيين أو الانسحاب البريطاني الكبير في دنكرك، فالمخرج حرص على عدم تكرار ما يمكن أن يذكرنا بفيلم "دنكرك" لكريستوفر نولان الذي يعدّ الأكثر اكتمالا في معالجة وتصوير هذا الموضوع، كما حرص سيناريو أنتوني مكارتن (صاحب "نظرية كل شيء") على عدم تكرار ما سبق أن شاهدناه في فيلم "تشرشل"، وحرص المخرج على تجاوز جمود الفيلم السابق وطابعه الذي جعله أقرب ما يكون إلى مسرح الشخصية الواحدة.

يتميز "أحلك الساعات" بالإيقاع السريع، وبمشاهده المبتكرة المتخيلة التي تضيف الكثير إلى الشخصية وتدعمها من ناحية التكوين النفسي، كما يستفيد بشكل كبير من شخصية السكرتيرة الشابة إليزابيث التي استعان بها تشرشل لكتابة خطاباته ورسائله، والتي تؤدي دورها في الفيلم ببساطة آسرة، الممثلة الشابة الصاعدة ليلي جيمس (التي تألقت في فيلم "بيبي درايفر"). يجسد الفيلم علاقة ذات طبيعة خاصة بين إليزابيث اليافعة البريئة التي لا تعرف شيئا عن دهاليز السياسة وتبدو مندفعة في أداء عملها بإتقان وإخلاص، إحساسا منها بخطورة اللحظة التاريخية، لكنها تشعر أيضا بالاضطراب أمام هذه الشخصية العملاقة غريبة الأطوار، أي تشرشل العجوز الذي يعاني من هجوم الأفكار المتضاربة المتناقضة عليه. ينصت باهتمام حينا إلى نصائح وزير خارجيته اللورد هاليفاكس الذي يلح عليه بضرورة التفاوض مع هتلر للتوصل إلى تسوية وعدم المغامرة بتدمير الجيش البريطاني وتعريض البلاد لخطر الغزو، ولكنه يميل أكثر إلى ضرورة الصمود والمقاومة مرددا لزملائه "أنت لا يمكن أن تناور مع النمر طالما أن رأسك داخل فمه".

يطير تشرشل في مشهد بديع لكي يطلع بنفسه -مذعورا- على مأساة اللاجئين وهم يفرون من مدنهم وقراهم مع زحف قوات هتلر نحو فرنسا. كاميرا مدير التصوير الفرنسي برونو ديلبونيل تميل للهبوط التدريجي السريع إلى الأرض قبل أن تعود لترتفع مجددا نحو السماء، أي نحو تشرشل وهو داخل الطائرة حيث يتأمل ما يحدث في الأسفل. وفي مشاهد التفجيرات الناتجة عن قصف الطيران الألماني للقوة البريطانية الباقية في ميناء كاليه الفرنسي، تبدأ الكاميرا من الأرض، من قائد القوة وهو يتحدث تليفونيا ثم وهو يسير خارجا من مقر القيادة حيث نرى العشرات من الجنود منتشرين، ثم ترتفع الكاميرا ارتفاعا عموديا نحو السماء لنرى تساقط القنابل من الطائرات الألمانية المحلقة. كان هذا هو الثمن الذي قبل به تشرشل، أي التضحية بأربعة آلاف جندي في كاليه مقابل إنقاذ 300 ألف جندي كانوا يتجهون إلى دنكرك.

الإنصات للشعب

في خضم حيرة تشرشل ما بين القبول بالتفاوض، ورغبته في الصمود والمواجهة، يستغل تشرشل توقف سيارته في إشارة ضوئية وسط لندن عندما كان في طريقه إلى البرلمان لإلقاء كلمة يوضح فيها موقفه النهائي وكأنه كان سيقبل بالتفاوض، لكنه يغادر السيارة ويهبط ليختفي بين الجموع، ثم يهبط إلى إحدى محطات قطارات الأنفاق. هنا يبرع كل من مدير التصوير ومصمم الديكور والمخرج، في تقديم مشهد رمزي شديد التأثير. تشرشل يستقل عربة أحد القطارات حيث يتعرف عليه الركاب. يسأل طفلة صغيرة عن كيفية الوصول إلى محطة ويستمنستر، ثم يشعل سيجاره المميز الذي لا يفارقه أبدا، ويبدأ في عمل استطلاع رأي بين الركاب الذين يمثلون طبقات المجتمع المختلفة "هل نستسلم أم نقاتل؟"، يؤكد الجميع بحماس على ضرورة المقاومة والقتال حتى في الشوارع لو اقتضى الأمر.

في النصف الأول من الفيلم يبدو تشرشل كما لو كان عجوزا أحمق، فهو كسول يتناول فطوره في الفراش، لا يفارقه كأس الخمر، صاحب مزاج حادّ متقلب، يميل للعدوانية، لكن زوجته كليمنتين (التي تقوم بدورها في الفيلم كريستين سكوت توماس) وهي أقرب منها أيضا إلى أمّ، هي الشخصية الوحيدة القادرة على كبح جماحه. إنه يبدو أمامها كطفل صغير. يحاول أولا إبداء رغبته في أن يتمرد ويغضب ويتملص ثم يستمع، لكنه يقبل بالنصيحة؛ إنها تحبه وتؤمن به وتريده أن يبرز الجانب القوي في شخصيته. وهي تتمكن أيضا من إيقافه عن تجاوزاته التي تعكس توتره النفسي الحاد، مع سكرتيرته الشابة إليزابيث التي تخفي معاناة شخصية، بعد أن فقدت شقيقها في فرنسا.

الشجاعة

في أحد أجمل مشاهد الفيلم تتوقف إليزابيث عن كتابة الأمر الذي يمليه عليها تشرشل والموجه إلى قائد القوة المتمركزة في كاليه ويقضي بالمقاومة رغم الفارق الكبير في القوة مع الألمان. اللقطة عامّة؛ تجلس إليزابيث في مقدمة الكادر، في منتصف الصورة تماما. الإضاءة شاحبة في الغرفة، لكن هناك مصباحا جانبيا في الخلفية، وإلى أعلى هناك ثريا بسيطة يلمع الضوء الساقط منها أبيض ضعيفا. يجلس تشرشل على الجانب الأيمن في الظلام تقريبا باستثناء ضوء خفيف يشعّ من مصباح جانبي إلى يمينه. تتوقف إليزابيث عند عبارة معيّنة يمليها عليها لا يمكنها أن تطبعها على الآلة الكاتبة ثم تتجه بنظرها إليه ربما للمرة الأولى.

اللقطة الآن متوسطة؛ هي تجلس في المقدمة تشيع ملامح التأثر على وجهها، وهو يقف في الخلفية على يسار الكادر غير قادر على التطلّع إليها. ثم نراه في لقطة قريبة حيث نشاهد وجهه من الجانب، يبدو في الكادر الداكن بفعل الظلام المحدق، ينفث الدخان "ما الذي تريدين معرفته"، عندئذ توجه له السؤال الحرج بينما تترقرق الدموع في عينيها "كم رجلا سينجو؟" يصمت ثم ينهض ويطلب أن تتبعه عبر الممرات السرية وصولا إلى غرفة القيادة لكنها تحجم قائلة إنه ليس مسموحا لها بدخول هذه الغرفة، فيجيبها "مسموح لك الآن".

في الداخل يشير إلى خارطة معلقة على الجدار. يشرح لها الموقف العسكري، ويقول إنه يقبل بصمود القوة في كاليه على أمل إنقاذ القوة البريطانية الضخمة من دنكرك، وإن كان لا يأمل في نجاة أكثر من عشرة بالمئة من الرجال.. مضيفا "لكن الشجاعة مطلوبة". وعندما تشتد أزمته ويصبح في حالة انعدام الوزن يختلي بنفسه فوق سطح المبنى ليفكر ويتطلع نحو السماء ثم ترتفع الكاميرا وترتفع لتتركه في الأرض صغيرا ضائعا خاصة مع تصاعد موسيقى البيانو الحائرة التي تسيطر على الفيلم من البداية، ثم ننتقل إلى لقطة أخرى مع حركة أمامية للكاميرا نحو رجلين نراهما من الخلف، يتطلعان عبر شرفة؛ إنه الملك جورج السادس يتحدث إلى مستشاره. الملك نفسه يفكر في النجاة بعائلته إلى كندا.

بعد زيارة الملك الذي يؤكد تأييده لتشرشل، ينتقل الفيلم إلى وجهة أخرى وتصبح موسيقى الإيطالي داريو ماريانيللي أكثر تفاؤلا ومرحا وسرعة في إيقاعاتها. وفي لقطة عامة مع كاميرا متحركة من أحد الزوارق إلى الأمام نشاهد المئات من القوارب والزوارق التجارية المدنية التي تنقل الجنود من دنكرك، ولكن من دون لقطة واحدة قريبة للجنود، فهذا هو فيلم تشرشل وحده، على العكس من فيلم "دنكرك" الذي لم يظهر فيه تشرشل سوى كصورة على الصفحة الأولى من جريدة.

أداء كبير

يرتفع أداء غاري أولدمان بالفيلم كثيرا ليثبت أنه أفضل من تصدّى لأداء شخصية تشرشل. إنه لا يحاكي ولا يقلد، لا في الصوت ولا حتى في الشكل، لكنه يتقمص كأفضل ما يكون التقمص؛ يتقمص الروح والشخصية، الضعف والتردد والاضطراب واللجوء إلى الخمر والتشبث بالسيجار، ثم المعاناة أمام من يمارسون عليه الضغوط من أعضاء حكومته وحزبه، ثم كيف يجد الدعم من زوجته ثم من إليزابيث ومن الملك ثم من الجمهور العام في قطار الأنفاق.

تشرشل- أولدمان، يبكي تأثرا عند سماع موت أحد الجنود، تطارده أفكاره الخاصة بما تسبب فيه في غاليبولي، يفقد أعصابه حينا، ويتأمل وجه سكرتيرته الجميلة يستمدّ منها الشعور بنبض الحياة حينا آخر. وغاري أولدمان يعيش الشخصية ويعبّر عنها من خلال نبرات صوته ونظرات عينيه، بل وفي لحظات الصمت الطويل أيضا، ربما أكثر من لحظات التدفق في الحديث. ولكن تشرشل كان أيضا خطيبا عظيما يمتلك كاريزما خاصة تلهب مشاعر أعضاء البرلمان وهو ما يبدو في اللقطة الختامية من الفيلم كنقيض للقطات الأولى المليئة بالغضب والفوضى على سلفه.

غاري أولدمان تجاوز كل من سبقوه في أداء شخصية تشرشل

علاقة تشرشل بزوجته كليمنتين: علاقة خاصة جدا

تشرشل والملك: تلعب الإضاءة دورا كبيرا في إبراز تفاصيل الصورة

مدينة نيس الفرنسية وجهة السياح في شهر فبراير

كرنفال الزهور مهرجان عالمي يضم ألوانا من الورود وأصنافا من الجنسيات

تجتذب مدينة نيس الفرنسية خلال شهر فبراير أعدادا غفيرة من السياح بفضل كرنفالها السنوي الذي يستمر على مدى أسبوعين ويحوّل المدينة إلى مسرح ملون من شتى أنواع الزهور والعروض يستقطب كل الأجناس.

❑ **نيس (فرنسا)** – تتمتع مدينة نيس الواقعة في جنوب فرنسا على ساحل البحر المتوسط بشهرة كبيرة على خارطة السياحة العالمية بفضل أجوائها الرائعة وشواطئها البديعة.

وتعتبر هذه المدينة مركزا سياحيا في فرنسا، حيث تحتوي على العديد من الشواطئ والأماكن السياحية الرائعة التي تجتذب السياح من جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى أنها تضم أفضل الفنادق الموجودة في فرنسا.

ويهيمن اللون الأصفر على هذه المدينة الفرنسية خلال شهر فبراير، في حين يسود اللون الرمادي والأجواء الباردة في المناطق الأخرى بإقليم ألب كوت دازور؛ حيث تشهد مدينة نيس خلال هذه الفترة كرنفال الزهور الشهير، وهو من أقدم الكرنفالات وأهمّها في العالم، يمتد لفترة أسبوعين، ويتم خلاله استخدام 25 طنا من الزهور الصفراء الصغيرة، ومن أهم عروض هذا الكرنفال "الكورسو الكرنفالي" و"معركة الزهور".

> شهرة كرنفال نيس تتخطى حدود فرنسا؛ حيث يجتذب هذا الحدث الكبير أكثر من 400 ألف سائح إلى منطقة ألب كوت دازور كل عام

وتفتتح "ملكة المهرجان" معركة "إلقاء الزهور على الجمهور"، التي ينتظرها عشرات الآلاف من الزوار من كل أنحاء العالم ليلتقطوا زهور الميموسا.

وبهذا يبدأ مهرجان نيس، إحدى أهم المناسبات الشتوية التي تقام على الريفييرا الفرنسية وهو أيضا من أكبر المهرجانات في العالم.

معركة الزهور

يشتهر هذا الكرنفال الفريد من نوعه باسم "معركة الزهور"؛ وهي معركة تقليدية أقيمت للمرة الأولى العام 1876، بغاية الترفيه عن السياح الذين يأتون إلى ألب الكوت دازور الفرنسية في فصل الشتاء، إلى جانب إبراز إنتاج الزهور المحلي.

وكانت معركة إلقاء الزهور حينها تتم بتوزيع الزهور في شارع "نزهة الإنكليز"، أما اليوم فيتم إلقاء خمسة أطنان من زهور الميموسا في كل مهرجان، حيث تزدان كل عربة في المهرجان بنحو أربعة آلاف زهرة بتمويل من إدارة المدينة وتأتي معظم الزهور من المنطقة.

وتجوب العربات المزينة الشوارع خلال فترة ما بعد الظهيرة، كما يكثر وجود بائعي الزهور على عرباتهم في الطرقات؛ حيث يمكن للسياح الاستمتاع بروعة الزهور طوال العام في مارس أوكس فليورس.

وتستعد مدينة نيس هذا العام لافتتاح الدورة الـ34 من هذا الكرنفال السنوي.

تتخطى شهرة كرنفال نيس حدود فرنسا؛ حيث يجتذب هذا الحدث الكبير أكثر من 400 ألف سائح إلى منطقة ألب كوت دازور كل عام.

وتتحول مدينة نيس الراقية مع ساحة ماسينا ذات الطابع الإيطالي إلى مسرح كبير يضم أعدادا كبيرة من أصناف العارضين من بينهم راقصات السامبا بملابسهن الزاهية مع ظهور شخصيات خيالية وثعابين عملاقة ترفرف في الهواء، بالإضافة إلى مجسمات كبيرة للسياسيين في البلاد، وتعم أجواء البهجة والسعادة جميع أرجاء المدينة.

وأشارت باربارا كيميج إلى أن أجمل شيء في مدينة نيس هو سهولة الحياة وخاصة خلال فصل الشتاء. وتدير هذه السيدة الألمانية فندقا صغيرا بالقرب من الشاطئ منذ عشر سنوات.

ويحتفل كرنفال الزهور، الذي يعد من التقاليد التي ترجع إلى القرن الثالث عشر، بسهولة الحياة في مدينة نيس، وتشع أجواء السعادة من حوالي 20 عربة و20 طنا من الحلويات والآلاف من الراقصين والموسيقيين تحت أشعة الشمس الساطعة يجوبون شوارع المدينة في مرح.

ويعمل العشرات من الفنيين طول العام تقريبا على تنفيذ المجسمات المتحركة خلال الكرنفال، والتي يتم تصنيعها من الأخشاب والحديد والورق المقوى والأسلاك مع استعمال الكثير من الألوان، وقد يصل ارتفاع بعض المجسمات إلى 17 مترا، والتي تكون مثيرة للإعجاب وخاصة أثناء الليل.

ملك الكرنفال

ويهيمن ملك الكرنفال العملاق على ساحة ماسينا، والذي يتم إحراقه في نهاية الموسم لكي يتم إحياءه من جديد في العام التالي.

ويبدو الملك كل عام بشكل مختلف وملابس متنوعة، وذلك وفقا للشعار وموضوع الكرنفال، وخلال العام الماضي ظهر الملك نفسه كملك الشمس مع الكرة الأرضية في يده اليسرى وقابس كهربائي في يده اليمنى، وكان موضوع الكرنفال وشعاره خلال العام الماضي "ملك الطاقة"، لكي يعطي المدينة زخما جديدا.

تعد مدينة نيس بمثابة لؤلؤة الريفييرا الفرنسية وتزخر بالكثير من عوامل الجذب السياحي إلى جانب كرنفال الزهور، ومنها على سبيل المثال متحف ماتيس ومتحف الفن الحديث ومتحف تشاجال، وبذلك فإنها تعتبر ثاني أكبر مدينة فنية في فرنسا بعد العاصمة باريس، ويشهد شهر فبراير إقامة العديد من الاحتفالات في المدن المجاورة مثل مهرجان الليمون في مدينة مينتون.

ويمكن للسياح قضاء عطلة تمتد لأسبوع كامل في مدينة نيس الفرنسية، وخاصة مع الأجواء المشمسة خلال شهر فبراير؛ حيث تسود أجواء مشابهة لمدينة ريو دي جانيرو البرازيلية.

استفسارات سياحية

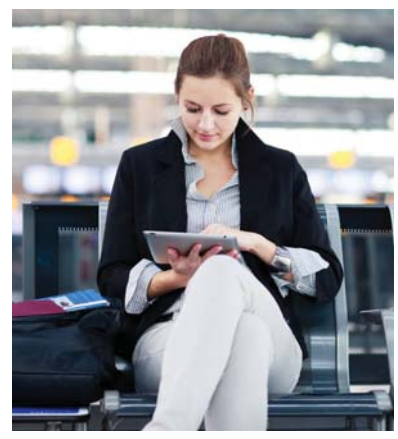

❑ أورد موقع "إنتربرنيوير" الإلكتروني نصائح تمكن المسافر من أداء نشاطات تبقيه في حالة إنتاجية معقولة.

ومن بين هذه النصائح تجنب القيام بنشاطات تتطلب التركيز وبذل جهد كبير أثناء انتظاره في المطار أو تواجده على متن الطائرة، وعوضا عن ذلك عليه أن يحاول أن يستثمر لحظات الانتظار بممارسة المطالعة أو الاستماع إلى الموسيقى أو تصفح المواقع الإخبارية على هاتفه.

كما أن عليه أن يحاول التعرف على المزيد من المعلومات عن البلد الذي يقصده.

❑ كشفت مضيفة طيران أن المياه المستخدمة لصنع القهوة على متن الطائرة، هي نفس المياه المستخدمة في المراحيض، مؤكدة أنها يمكن أن تحمل جراثيم خطيرة مثل أي كولي، بحسب ما نقلت صحيفة ديلي ميل البريطانية.

ونصحت المضيفة المدعوة بيتي، والتي تقول إنها تعمل لصالح إحدى شركات الطيران الأميركية، المسافرين بعدم شرب القهوة التي تقدم على متن الطائرة، مشددة على أن المياه المستخدمة لصنع القهوة ليست نظيفة كما يعتقد الكثيرون.

❑ قدم موقع "إندبندنت ترافلر" قائمة مؤلفة من خمس نصائح للإجراءات التي يجب على المتقاعدين والمسنين القيام بها قبل وأثناء قيامهم برحلاتهم السياحية.

ومن بين هذه النصائح ضرورة زيارة المسافر المسن إلى الطبيب قبل أن يستقل الطائرة، بالإضافة إلى البحث عن عروض سفر مناسبة للمسنين واستشارة المختصين في شؤون الحجوزات والسفر.

وينبغي على المسافر أن يدّخر المال الكافي للقيام برحلته، وأن يعد خطة دقيقة للإنفاق تجنبه الوقوع في المشاكل المالية أثناء السفر.

❑ أفاد موقع "ذي ميوز" الإلكتروني أن المسافر بهدف العمل بإمكانه في بعض الخطوات أن يحول رحلته من رحلة مضنية إلى رحلة ذات طابع سياحي وترفيهي عبر تجزيء العمل، أي أن يقوم بتقسيم مهامه وأعماله، وإنجازها على مراحل للتخفيف من التوتر الناجم عن العمل المتواصل.

كما أن عليه اختيار مكان مناسب للإقامة يوفر له الراحة والهدوء، بالإضافة إلى تجنبه البقاء ضمن نطاق المدينة وصخبها بعد الانتهاء من العمل، وأن يحاول الخروج في نزهات إلى الأماكن الطبيعية.

زوم على السياحة

● شاركت سوريا في معرض مدريد الدولي للسياحة، بهدف الدعاية لدمشق والساحل السوري وحتى حلب المدمرة كوجهات سياحية. وروج الجناح السوري أيضا للآثار اليونانية والرومانية في تدمر المدرجة في التراث العالمي لليونسكو.

● ارتفع الدخل السياحي للأردن بنسبة 12.5 بالمئة عام 2017 مقارنة بالعام الذي سبقه مسجلا 4.6 مليار دولار، بحسب بيان نشره البنك المركزي الأردني. وقال البنك إن "الارتفاع جاء بشكل رئيسي بسبب زيادة عدد السياح الكلي القادمين للمملكة بنسبة 8.7 بالمئة مقارنة مع عام 2016".

● خلص استطلاع جديد إلى أن أعداد مواطني نيوزيلندا الذين يخشون من تداعيات انتعاش قطاع السياحة على البلاد في تزايد، وهم قلقون بشأن تأثير السياحة على البنية التحتية. ومع ذلك، فإن أكثر من 90 بالمئة من الذين شملهم الاستطلاع قالوا إن السياحة الدولية مفيدة للبلاد.

● افتتح مطار إنتشون الدولي الذي يقع بالقرب من العاصمة الكورية الجنوبية سول، صالة ركاب ثانية لتوسيع طاقته الاستيعابية، وذلك قبل ثلاثة أسابيع من استضافة البلاد لدورة الألعاب الأولمبية الشتوية في بيونغ تشانغ.

التحكم في الأجهزة دون شاشة أو لوحة مفاتيح

عمالقة التكنولوجيا يتنافسون للسيطرة على أدمغة المستخدمين

يبدو أن التطور التكنولوجي لا يؤمن بالمستحيل؛ فما كنا نراه في أفلام الخيال العلمي خلال السنوات السابقة ونظن أنه غير ممكن التحقيق، أصبح حقيقة واقعية يتعامل معها البشر بكل يسر، ويبدو أن الشركات التكنولوجية لن تتوقف عن إبهار الناس باكتشافاتها التي لم تتوقف منذ ظهور الهاتف الخلوي، لتصل اليوم إلى قدرة الدماغ على التحكم في الأجهزة والألعاب الذكية دون لوحة تحكم ولا لوحة مفاتيح.

استخدام الأفكار لإدارة كل الأجهزة التكنولوجية

❏ **واشنطن** – تخطط مايكروسوفت لتوفير طريقة تسمح للمستخدمين بالتحكم في الأجهزة وفتح التطبيقات باستخدام قوة الفكر، وفقا لبراءة الاختراع الأخيرة.

وقد أصدرت الشركة تفاصيل واجهة التحكم في الدماغ، والتي تفك رموز الإشارات الكهربائية الصادرة عن الدماغ، لإطلاق وتشغيل التطبيقات ومتصفحات الويب.

ويبدو أن مايكروسوفت تحاول منافسة فيسبوك، التي أكدت العام الماضي الشائعات المتعلقة بعملها على تطوير تقنية "سيطرة العقل".

ونُشرت براءة اختراع مايكروسوفت "تغيير حالة التطبيق باستخدام البيانات العصبية"، إلى جانب براءات الاختراع والعلامات التجارية في الولايات المتحدة، في وقت سابق من هذا الشهر.

وتعمل التقنية على ترجمة شفرة النشاط الكهربائي في الدماغ (عرض قراءات تخطيط موجات الدماغ)، باستخدام أجهزة الاستشعار الموضوعة على فروة الرأس.

ويتم التدريب على براءة اختراع مايكروسوفت لقراءة هذه البيانات، وكشف إشارات تحرض على سلوك معين.

ويمكن للخوارزميات المتطورة أن تتعلم سلوك دماغ الفرد أيضا، كما يمكن استخدام التكنولوجيا في ألعاب الفيديو، وتقنيات الواقع الافتراضي، وكذلك تصميم البرمجيات ومتصفحات الويب.

> سنرى إمكانيات التحكم البشري في مجموعة من الروبوتات لأداء المهام واستكمالها خلال السنوات العشر المقبلة

يذكر أنه في عام 2015 انطلقت الشركة الناشئة "نورابل" في تطوير برمجيات تحاكي واجهة دماغ الكمبيوتر.

التقنيات التي طورتها الشركة في هذا المجال، تتعلق بتفسير نوايا وأفكار المستخدم بناء على نشاط الدماغ بهدف إعطائه سيطرة مباشرة وفي الوقت الحقيقي على البرامج والأجهزة باستخدام دماغه فقط.

وتشرح الشركة أن هذه التقنية تعمل "من خلال جمع البيانات عن النشاط الحيوي الفيزيولوجي في الدماغ، والتي يتم تحليلها بعد ذلك من قبل برنامج لاستخراج وتصنيف ميزات البيانات".

وتشرح مايكروسوفت تفاصيل واجهة التحكم في الدماغ، بأنه "يتم تغيير حالة التطبيقات تلقائيا على النحو المحدد من قبل بيانات نية المستخدم المستقبلية، بحيث يتم تنفيذ العملية المقصودة".

وتقول تقارير إعلامية ستكون لدينا في عام 2018 لعبة واقع افتراضي نلعبها دون أن نلمس شيئا، لا شاشة ولا جهاز تحكم ولا لوحة مفاتيح، لعبة نديرها ونوجّهها من خلال إشارات الدماغ عبر تقنية واجهة دماغ الكمبيوتر.

قصة لعبة الـ"أوينكنغ" التي طورتها شركة "نورابل"، تتمثل في أنك "طفل محتجز في مختبر علمي حكومي، تكتشف أن التجارب وهبتك قوى تحكم ذهني. ويجب عليك استخدام تلك القوى للهروب، بعد هزم الروبوتات التي تحرس السجن، وتحرير نفسك من المختبر".

أمّا التقنية الكامنة خلفها فهي أنه يجب أن يتحكم اللاعب في الأغراض وأن يخوض المعارك مع العدو من خلال عقله دون أي أجهزة تحكم.

وتعمل اللعبة من خلال قطب كهربائي موجود على عصابة رأس متصلة بنظارات الواقع الافتراضي المعدلة من شركة "إيتش تي سي" بحيث تُستخدم هذه الأقطاب الكهربائية الجافة الموضوعة على فروة الرأس لقياس النشاط الكهربائي في عدة أنحاء من الدماغ.

ويتوقع خبراء التكنولوجيا أن تصبح أجهزة الواقع الافتراضي والمعززات المدمجة بتكنولوجيا واجهة دماغ الكمبيوتر منتشرة مثل انتشار شاشات اللمس في الهواتف الذكية، لأن أنظمة واجهة دماغ الكمبيوتر تعزز تجربة الواقع المختلط.

وابتكر فريق من الباحثين العاملين في مختبر الروبوت الموجه والمراقب من الإنسان والتابع لجامعة ولاية أريزونا نظاما لإدارة مجموعة من الروبوتات معا بواسطة قدرات الدماغ البشري. ويستمر العلماء في عملهم على تحقيق اختراقات جديدة تمكن البشر من السيطرة على الروبوت عن طريق قدرات الدماغ، وتتجه الأبحاث الجديدة نحو معرفة كيفية تشغيل مجموعة كاملة من الروبوتات عن طريق العقل البشري.

ويمكن للعنصر البشري في المستقبل استخدام أفكاره لإدارة فريق من الروبوتات التي تعمل معا لتحقيق هدف محدد.

ويتركز عمل العلماء على الاستفادة المثلى من واجهة التحكم البشرية من أجل زيادة كفاءة التشغيل والدقة، ويقدم النموذج التجريبي قبعة تحتوي على 128 قطبا سلكيا موصولا بجهاز الكمبيوتر.

وتسجل القبعة نشاط الدماغ الكهربائي، وتتم ترجمة ذلك النشاط بواسطة خوارزميات تعلّم متقدّمة، إلى أوامر يتم إرسالها لاسلكيا إلى الروبوت، ويشاهد المستخدم الروبوت ويعمل عقليا على تصوره يقوم بأداء مهام مختلفة مثل التحرك في اتجاه معين.

ويعتبر التحدي الأكبر هو استمرار قيام الأشخاص بعملية التركيز بشكل مباشر على الروبوتات، بحيث لا ينبغي أن ينشغل الدماغ البشري بأي أمر آخر وإلا فإن النظام يتوقف ولا يعمل.

ويعمل فريق الباحثين في جامعة ولاية أريزونا أيضا على التأكد من أن عملية ترجمة نشاط الدماغ تتم بشكل دقيق وقابل للتكرار، الأمر الذي لم يكن سهلا، حيث أن تسجيلات الدماغ متفاوتة زمنيا وحساسة جدا لموقع الأقطاب الدقيق.

ويعمل الفريق على معالجة هذا التحدي حتى في الحالات المتعلقة باختلاف وقت الإشارات الدماغية من خلال تطوير خوارزميات تعلّم متطورة، والتي تتكيف مع التغييرات في التسجيلات في الوقت الحقيقي.

وأشار العلماء إلى أنه على الرغم من أن هذه الأبحاث لا تزال في مراحلها الأولى، إلا أننا سنرى هذا النوع من إمكانيات التحكم البشري في مجموعة من الروبوتات لأداء المهام واستكمالها خلال السنوات العشر المقبلة.

الأمثلة على تحول هذه التقنية من الخيال العلمي إلى التطبيق تتعدد، منها إعلان باحثين من المعهد الكوري للعلوم والتقنيات المتقدمة عن تمكنهم من تطوير تقنية جديدة، من الممكن أن تتيح لمستخدميها التحكم في حركة الحيوانات، وذلك من خلال استخدام أفكار الإنسان.

وقال الباحثون، إنّ هذا الابتكار، يأتي ضمن تقنيات واجهة دماغ الكمبيوتر، والتي تتيح ربط الدماغ مع جهاز خارجي آخر، والتحكم فيه من خلال التفكير، عن طريق تحويل الإشارات الدماغيّة، وتحويلها إلى أوامر يفهمها الكمبيوتر.

وقام باستخدام جهاز تحكم دماغي، يساعد على ترجمة الموجات الدماغية، إلى أوامر توجه وتتحكم في حركة السلحفاة، إذ تم تركيب هذا الجهاز على ظهرها، وهو يحتوي على كاميرا ومستقبل لاسلكي ووحدة تحكم كمبيوترية، بالإضافة إلى بطارية.

ويعمل الجهاز، من خلال إرسال واجهة دماغ الكمبيوتر، لإشارات لاسلكية إلى الجهاز، عن طريق "واي فاي"، وذلك للسماح للضوء بالعبور، أو منعه، بهدف توجيه السلحفاة يمينا أو يسارا.

وتتنافس مايكروسوفت مع فيسبوك التي لديها حاليا 60 مهندسا يعملون على تقنية واجهة دماغ الكمبيوتر.

وقال مارك زوكربيرغ في أبريل الماضي، "نبني ما هو أبعد من الواقع الافتراضي، وهذا يشمل العمل على واجهات الدماغ المباشرة، التي تتيح التواصل باستخدام العقل فقط".

تطبيقات المساعد الرقمي مستقبل التحكم في الأجهزة الذكية

❏ **لاس فيغاس (الولايات المتحدة)** – احتلت تطبيقات المساعد الرقمي مكانة بارزة خلال فعاليات معرض لاس فيغاس للإلكترونيات؛ حيث انتشرت اللافتات الإعلانية للترويج للمساعد الرقمي "غوغل أسيستنت" في جميع أروقة المعرض.

ومع ذلك لم تهدأ وتيرة التطوير في التطبيقات المنافسة؛ حيث انتشر استعمال تطبيق أمازون "أليكسا" في الكثير من الأجهزة دون دعاية كبيرة؛ وبدأ يظهر تطبيق المساعد الرقمي من أمازون في السماعات والسيارات وأجهزة اللاب توب ومرايا الحمامات وكاشفات الدخان والأفران والثلاجات.

وأوضح بريان بلاو، المحلل بشركة أبحاث السوق غارتنز، أن العملاق التجاري أمازون يدفع تطبيقات المساعد الرقمي بقوة في أسواق المنتجات المختلفة، وأصبح هناك الكثير من الشركاء للنظام الإيكولوجي المتنامي الخاص بالأجهزة، التي يتم التحكم فيها عن طريق الأوامر الصوتية، وكذلك العمل مع الأجهزة الأخرى وإجراء الخدمات عبر الإنترنت أو تنفيذ عمليات الشراء عن طريق منصة أمازون. ومقارنة بشركة غوغل وأبل فإن شركة أمازون يلزمها بعض الخطوات للحاق بالركب؛ نظرا إلى انتشار تطبيقات المساعد الرقمي المنافسة في معظم الأجهزة الذكية، التي تعمل بنظام أبل "آي أو إس" وغوغل أندرويد.

وأضاف روبرت شبانهايمر، من الرابطة الألمانية للاتصالات وتكنولوجيات المعلومات، قائلا، "تطبيقات المساعد الرقمي تعتبر من الموضوعات الهامة خلال دورة المعرض لهذا العام"؛ فبعد التوقعات الكبيرة والمخيبة للآمال في بعض الأحيان خلال الفترة الأولى لتطبيقات المساعد الرقمي أبل "سيري"، فإن هذه الأنظمة أصبحت تعمل بشكل أفضل بوضوح مع توفير الكثير من المزايا.

وأكد روبرت شبانهايمر على فهم الأوامر الصوتية قائلا، "يتم تحسين التواصل البديهي باستمرار"؛ حيث إن تطبيقات المساعد الرقمي تعد قاصرة على فهم الأوامر الجامدة، ولكن يمكنها حاليا فهم الأوامر، التي تتم صياغتها بحرية وذلك بفضل تقنية التعرف على الكلام ووظائف الذكاء الاصطناعي، بالإضافة إلى أن توصيات تطبيقات المساعد الرقمي أصبحت أفضل بكثير، في ما يتعلق مثلا برحلات الطيران والبث التلفزيوني وعروض التسوق، وذلك بفضل جمع البيانات وتحليلها بصورة أفضل من السابق.وإلى جانب غوغل وأمازون هناك العديد من الشركات العالمية، التي تطلق تطبيقات المساعد الرقمي الخاصة بها، ومنها شركة سامسونغ، التي أعلنت عن إطلاق المساعد الرقمي "بيكسباي" الخاص بها في الهواتف الذكية وأجهزة التلفاز والسماعات خلال هذا العام، ويمتاز المساعد الرقمي من سامسونغ بخصاص الذكاء الاصطناعي، الذي يجيب مثلا على استفسارات حول هوية الممثل في أحد الأفلام أو إظهار عروض التسوق المناسبة من الويب.

وأضاف المتحدث الإعلامي باسم الشركة الكورية الجنوبية قائلا، "بحلول 2020 سيكون المساعد الرقمي بيكسباي مثبتا بجميع أجهزة سامسونغ تقريبا"، وأكدت سامسونغ على دعم المساعد الرقمي الخاص بها للعديد من اللغات العالمية خلال العام الجاري.

وأكد خبراء التقنيات أن طريقة التحكم بواسطة الأوامر الصوتية ستصبح من الطرق الطبيعية جدا للتحكم في الأجهزة إلى جانب الطرق الأخرى المعتادة.

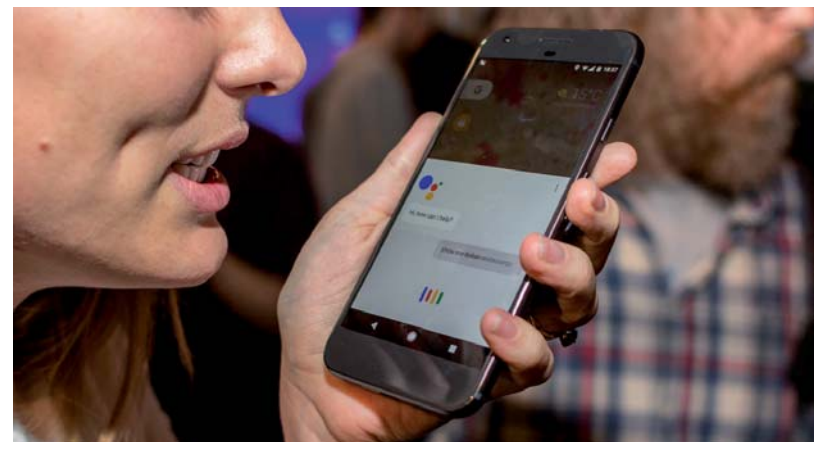

الأوامر الصوتية تصبح من الطرق الطبيعية جدا للتحكم في الأجهزة

أخبار التكنولوجيا

استثناء مكالمات هامة في وضع «عدم الإزعاج»

❏ **برلين** – على الرغم من تفعيل المستخدم لوضع عدم الإزعاج "دو نوت ديستارب" في الهواتف الذكية المزودة بنظام غوغل أندرويد وأبل "آي أو إس"، إلا أنه قد تنتظر في بعض الأحيان بعض المكالمات الهاتفية الهامة، وهنا يمكنه استثناء بعض الأرقام الهاتفية المحددة من خلال بعض الخطوات البسيطة في قائمة الإعدادات.

وأوضحت شركة أبل كيفية القيام بذلك مع هاتف آيفون من خلال قائمة الإعدادات؛ حيث يمكن تحديد بعض الأرقام الهاتفية المفضلة أو مجموعة معينة من جهات الاتصال في وضع عدم الإزعاج "دو نوت ديستارب"، حيث تصدر نغمة رنين من الهاتف عند استقبال مكالمة أو رسالة من جهات الاتصال هذه، ويسري ذلك على المكالمات الهاتفية المتكررة، فإذا قام شخص بالاتصال بالمستخدم مرتين في غضون ثلاث دقائق، فلن يتم كتم صوت المكالمة الهاتفية الثانية.

ويمكن لأصحاب هواتف غوغل أندرويد بدءا من الإصدار 8.1 السماح بالمكالمات الهاتفية والرسائل من بعض جهات الاتصال المعينة أثناء تفعيل وضع عدم الإزعاج "دو نوت ديستارب".

وللقيام بذلك يتعين على المستخدم تحديد خيار "المكالمات الهامة فقط" (بريوريتي أونلي) في إعدادات وضع عدم الإزعاج، وبعد ذلك يتم تحديد الخيار الصحيح في الإعدادات الأخرى.

استخدام «آيفون» و«آيباد» آمن للأطفال

❏ وضعت شركة أبل مجموعة من أدوات "المراقبة الأبوية" على أجهزة "آيفون" و"آيباد" لجعل استخدام الأجهزة الذكية "آمنا" للأطفال. ولتفعيل أدوات "المراقبة الأبوية" يمكن اتباع الخطوات التالية:

- اذهب إلى إعدادات الجهاز أو الحاسب اللوحي، ثم توجه إلى أيقونة "عام"، وانتقل إلى أيقونة "القيود"، وأدخل رمز المرور الخاص بتلك الأيقونة، حتى لا يتمكن طفلك من الولوج إليها.
- عند الدخول إلى أيقونة القيود، يمكنك تعطيل عمل عدد من التطبيقات، التي لا ترغب في أن يستخدمها طفلك، ومنع طفلك من تثبيت أو حذف أي تطبيق أو إجراء عمليات شراء داخل التطبيقات أيضا.
- بعد الانتهاء من تقييد التطبيقات، ابدأ في تقييد المحتوى الذي يسمح لطفلك بالولوج إليه، مثل الأفلام وتصفحها، ونوعية الموسيقى ومواقع الإنترنت، التي يمكن أن يتم الولوج إليها.
- وفي نفس الأيقونة سيدخل المستخدم إلى خيار الخصوصية لمنع طفلك من إجراء أي تغييرات على التطبيقات، وخاصة تلك التطبيقات التي تسمح بالوصول إلى الصور الخاصة بالجهاز .
- انتقل بعد ذلك إلى إعدادات الجهاز، واذهب إلى قسم "إعدادات الألعاب"، وانتقل بعدها إلى قسم "القيود" داخل إعدادات الألعاب لعطيل خاصية الولوج إلى الألعاب متعددة اللاعبين.
- أخيرا، اذهب في إعدادات الجهاز، واختر أيقونة "مشاركة العائلة"، والتي تنبه "آيفون" أو "آيباد" بإضافة حساب طفلك كما أن "مشاركة العائلة" ستمنع طفلك من مشاركة موقعه أو مشاركة أي محتوى على أي موقع تواصل اجتماعي.
- وفي النهاية، يمكنك أن تحل تلك الأزمة بالكامل، عن طريق وضع هاتفك على وضع "الطيران"، والذي لا يسمح له بالدخول إلى الإنترنت، وضع قيودا على إمكانية تغيير ذلك الوضع.

الجسم الرياضي يخفف من معاناة السفر الدائم

التمارين ضرورية لا سيما بعد السفرات الطويلة

يضيق وقت من ينشغلون بالسفر طوال الوقت وتتغير مواعيدهم ونظام حياتهم اليومي بشكل مستمر، الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان الحفاظ على نسق متوازن للياقتهم البدنية وعاداتهم الصحية، مثل نظام الأكل ومواقيته ومواعيد النوم وإيقاع الحركة والنشاط.

❑ **لندن** – يؤكد مدربو اللياقة أن كثرة السفر لا يمكن أن تكون عائقا للحفاظ على رشاقة الجسم وصحته وأن ضبط برنامج مرن يتغير وفق مواعيد السفر يكفي للحيلولة دون الترهّل والخمول والإحساس بالإجهاد. وقد نشرت هيئة الإذاعة البريطانية تقريرا يساعد كثيري السفر على المراوحة بين السفر والعمل والحركة والراحة.

وجاء في التقرير أنه بالنسبة إلى المسافرين من رواد الأعمال، مثل سارة ديبيل –وهي مديرة أعمال البعض من أهم الموسيقيين في العالم– يعد الاستيقاظ في مدينة جديدة كل صباح جزءًا مهما من مهام العمل.

وفي أسبوع عادي على سبيل المثال، تسافر ديبيل من مدينتها لوس أنجليس إلى لاس فيغاس من أجل التحضير لإقامة حفل موسيقي ما، ثم تعود إلى مدينتها في الصباح التالي لتلحق برحلة أخرى إلى ستوكهولم من أجل الاستعداد لتصوير أغنية.

وبعد قضاء عدة أيام في السويد تعود إلى لوس أنجليس، وبعدها بثلاثة أيام على سبيل المثال تستقل طائرة للقيام برحلة مدتها خمس ساعات إلى رود آيلند لتقضي فيها ليلة واحدة قبل العودة مجدداً إلى لوس أنجليس في الصباح الباكر.

جدول أعمال كهذا لا يفسح مجالاً حتى للنوم، فما بالك بالتمارين الرياضية. ربما لا تكون هذه مشكلة لمن يسافرون مرة أو مرتين في السنة، لكن بالنسبة إلى شخص مثل ديبيل يتطلب الأمر جهداً كبيراً للحفاظ على نظامه الصحي أثناء سفره، أو ربما يدفع أموالا لشخص آخر ليقوم ببعض الترتيبات نيابة عنه.

وتقول الصحافية كاتي بيك "يعتمد الأمر على ميزانيتك؛ إن كان بإمكانك أن تحضر طباخا خاصا يرافقك في أسفارك، أو تحضر مدربك الرياضي الخاص فهذا جيد. وإذا نظرت إلى الموسيقيين الذين يسافرون من أجل العمل، فنحن بدورنا قادرون على ترتيب حياتهم أثناء السفر بطريقة مشابهة لحياتهم المعتادة وهم في بلدانهم".

وحتى هؤلاء الذين لديهم ميزانية مفتوحة، وساعات فراغ طويلة خلال النهار، يتوجهون إلى أشخاص مثل مات ديكسون، مؤسس شركة "بيربيل باتش فيتنيس" للياقة البدنية، لينفقوا أموالهم بطريقة فعّالة.

وديكسون هو المدرب الرئيسي في تلك المؤسسة، وهو صاحب برنامج للتمرينات الرياضية يعرف باسم "تحدي الرجل الحديدي للمدراء"، وقد درّب العديد من الأثرياء في العالم، مثل مارك زوكربيرغ، ورجل الأعمال مايكل مورتيز.

عند تصميم التمارين للنخبة، لا يحاول ديكسون أن يعرف كم ساعة في الأسبوع يمكن للزبون أن يتدرب، بل يركز على ما يسميه "التهيئة الذهنية"، ما يعني أنه يبدأ بمعرفة عدد الساعات المتاحة في أسبوع ما، ثم يحدد أفضل طريقة لاستغلالها.

وهو شيء يمكن لأغلب مسافري الأعمال فعله، لكنه يقول إن الأمور لا تكون على أحسن حال دائماً؛ فعندما تكون مسافراً لا يمكنك توقع أن تكون الحالة مثالية دائما.

ويقول ديكسون "عندما يكون الرياضي أو المدير التنفيذي في بلده، يبدأ عملنا من هناك من أجل تهيئة شيء مشابه له أثناء سفره ليكون أقرب ما يمكن إلى الحالة المثالية المرجوة". وتأتي هذه الحالة المثالية في صور مختلفة بالنسبة إلى مسافري النخبة".

وأوضح "هناك أجهزة المشي والدراجات الثابتة، وقد يصطحب الزبائن معهم الحبال المطاطية الخاصة بالتمارين الرياضية والتي يمكنهم استخدامها في أحواض السباحة في الفنادق، حيث يمكن أن نقدم لهم جلسات رياضية خاصة، لتكون لديهم كافة الوسائل للتقدم في تدريباتهم".

ويعرف بروس إيكفيلت تماماً الحاجة إلى المرونة في هذا الإطار، فهو يعمل في مجال تطوير الأعمال، وهو أيضا رياضي ألعاب قوى شارك في أكثر من سباق ماراثون، وأنهى مؤخرا السباق الثلاثي لبرنامج "الرجل الحديدي" مع ديكسون.

وللمحافظة على لياقته أثناء السفر من أجل العمل، يقر إيكفيلت بأن عليه أن يجد حلولاً مبتكرة؛ فذات مرة في ميلانو بحث عبر الإنترنت عن حوض سباحة أولمبي في المدينة لكي يتمكن من السباحة مدة 45 دقيقة يومياً قبل اجتماعه الصباحي.

ويقول إيكفيلت إنه عندما تكون لديه خيارات كثيرة يمنع بذلك نفسه من الانقطاع عن التمارين في حال تغيير جدوله اليومي.

ويضيف "لدي دائماً غرفة مجهزة للتمارين، أو يمكنني إحضار أشياء أتمكن من استخدامها في الخارج، فأحضر حذاء للركض، وأدوات مطاطية للتمرينات يمكنني استخدامها في أي مكان".

لكن ليس جميع الناس مهتمين بلياقتهم البدنية من أجل خوض تحديات رياضية وسباقات خاصة، إذ بالنسبة إلى البعض مثل ديبيل تتمثل المحافظة على الصحة في اتباع نظام صحي خلال السفر.

> مصممو التمارين يبدأون بمعرفة عدد الساعات المتاحة في أسبوع ما، ثم يحددون أفضل طريقة لاستغلالها

فقبل كل رحلة طويلة تمارس ديبيل التمرينات الرياضية لوقت كاف، وتغير توقيت ساعتها ليطابق توقيت المدينة التي ستتجه إليها، حتى أنها أثناء طيرانها تضبط ساعة الاستيقاظ وفقا للتوقيت الجديد.

وهناك أشياء أخرى بسيطة مثل تجنب طعام المطارات، فقد تكون له انعكاسات سلبية، حسب قولها.

وتضيف "أسافر من وإلى لوس أنجليس أربع مرات في الشهر، وإذا انطلقت من المبنى رقم 6 بالمطار، فهناك متجر صغير يمكنني أن أقتني منه الأطعمة والأشربة الصحية، التي تتضمن أنواعا من شاي 'كومبوتشا'، ومركبات 'بروبيوتيكس" المقاومة لأمراض الأمعاء، لآخذها معي على متن الطائرة، أما إذا كان انطلاقي من المبنى رقم 4 فهناك مطعم نباتي أحبه كثيرا".

وعندما تصل ديبيل إلى وجهتها يسمح لها جدولها ببعض الوقت لممارسة التمارين الرياضية. ومن الأنشطة الرياضية الصحية هناك تمرين التنفس الخاص بالتأمل لمدة 20 دقيقة كل صباح داخل غرفتها في الفندق.

وتختار ديبيل فنادق تتوفر فيها خدمات الساونا والتدليك من بين الأشياء الأخرى التي تحب أن تجربها وتضيفها إلى برنامجها اليومي عندما تعود إلى بلدها. وإذا كان لديها الوقت الكافي، تحاول الذهاب إلى الاجتماعات سيرا على الأقدام، لتحسين لياقتها البدنية، ويتيح لها ذلك في الوقت ذاته استكشاف المدينة.

لقد زاد الطلب على رحلات السفر التي تفسح المجال للحفاظ على عاداتنا الصحية، وأتاح ذلك فرصاً جيدة لأصحاب الأعمال، مثل بريان تشابون الذي يتطلب عمله السفر المستمر منذ نحو 15 عاماً، لتعلم الكثير من الأمور المتعلقة بالحفاظ على الصحة خلال السفر.

وقد أخطأ تشابون في إحدى السنوات حين دخل الطائرة مباشرة بعد أن شارك في ماراثون رياضي أقيم في مدينة دبي. ويقول "أصبت بتخثر في الشريان في باطن ساقي، وكنت أجلس في مطار دبي وشعرت أني ارتكبت خطأ ما".

واستطاعت أخت تشابون –وهي ممرضة– أن تشخص حالته بسرعة، وأخذه أحد الأصدقاء إلى المستشفى للعلاج.

وقد جعلته هذه المحنة يسأل نفسه: لماذا لا يوجد مكان للصحة البدنية والذهنية في المطارات؟ وقاده هذا السؤال إلى فكرة إنشاء قاعات "فلاي فيت" للياقة البدنية، مصممة للمسافرين ممن يهتمون بتحسين لياقتهم البدنية والحفاظ عليها. ويخطط تشابون لإطلاق مشروعه قريبا في مطار هيثرو في لندن، وهناك خطة أيضا لإطلاقه في مطارات بالولايات المتحدة في 2018.

ويقول تشابون إنه رصد من خلال استطلاع للرأي أجراه مؤخرا تفضيلا كبيراً لوجود مكان ما في المطارات يمكن أن يقدم للمسافرين خيارات الطعام الصحي، ويوفر في الوقت نفسه مساحات للأنشطة الرياضية، بدلا من الانتظار والجلوس لتناول المشروبات. وقد سأل المئات من المسافرين في ذلك الاستطلاع، وأجاب نحو 70 في المئة منهم بأنهم سيستخدمون مكاناً للعناية البدنية إذا توفر في المطارات التي يسافرون منها عادةً. ورغم أن هذه الأماكن ستكلف الزائرين 45 جنيها استرلينيا (أو 60 دولاراً)، يقول تشابون إن تلك القاعات التي سيفتتحها مصممة للعناية بالصحة، ومجهزة بحمامات وثلاجات لبيع العصائر والطعام الصحي، وبمساحات للتمرينات، وبدراجات ثابتة وحجرات لممارسة التأمل وإلقاء دروس حيّة في رياضة اليوغا.

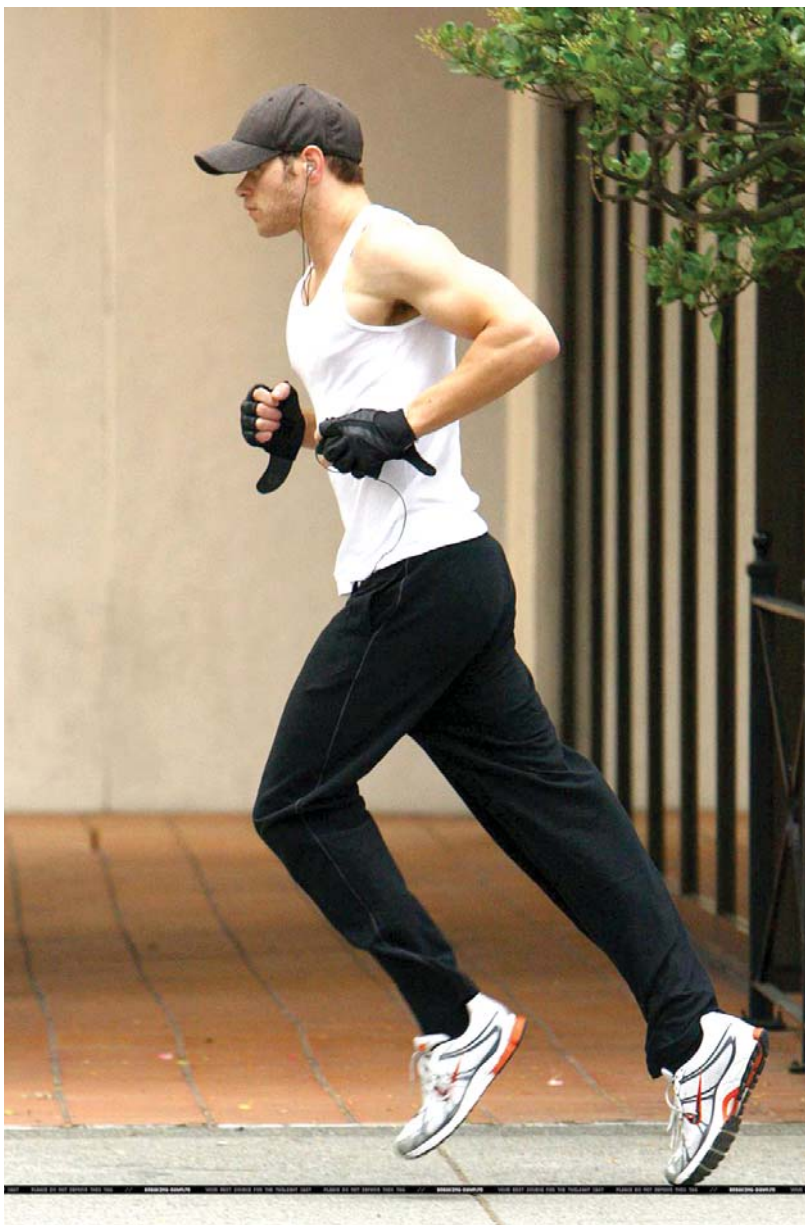

تحضير برنامج التمارين يفضل أن يكون قبل السفرة

حمية البحر المتوسط تحافظ على الوزن وقوة العضلات

❑ **واشنطن** – تتنوع الحميات الغذائية تنوعا شديدا، ولكن تظل حمية البحر المتوسط من أكثر الحميات الغذائية التي يوصى بها نظراً للكم الهائل من الدراسات التي تؤكد فوائدها؛ حيث كشفت أحدث دراسة أجريت عن هذه الحمية الغذائية أنها مفيدة جداً لكبار السن، إذ تساعدهم على تخطي الاختلالات الصحية والتمتع بحياة أفضل.

وقد حللت الدراسة الجديدة الدراسات المنشورة سابقاً وبينت كيف أن تناول هذه الحمية الغذائية –التي تنصح عادة بتناول الأطعمة النباتية مثل الفواكه والخضروات والحبوب الكاملة والمكسرات والبقوليات وكذلك الكثير من الأسماك– قد يحافظ على صحة ولياقة جيدتين في السنوات القادمة.

عندما يصبح كبار السن أكثر عرضة لضعف الصحة العامة، فإن جودة حياتهم تزداد سوءاً. فقد يشعرون بانخفاض في معدلات الطاقة لديهم، وبفقدان الوزن وضعف العضلات، ويصبحون عرضة لمخاوف صحية أخرى مثل السقوط والكسور، والإقامة في المستشفيات، والخرف، والإعاقة، وحتى الوفاة المبكرة.

وقال أحد أعضاء فريق الأبحاث البريطاني بقيادة الدكتورة كيت والترز، وجوتارو كوجيما، من كلية لندن "هناك طريقة واحدة لتجنب هذه الآثار الصحية، وهي اتباع حمية غذائية صحيحة".

وقد نظر الباحثون إلى أربع دراسات منشورة من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا والصين تربط بين حمية البحر المتوسط الغذائية وكيفية تطور كبار السن وصولاً إلى أقصى مراحل ضعفهم. وشملت هذه الدراسات بيانات عن حوالي 6 آلاف شخص فوق الستين عاماً. ووجد العلماء أن اتباع حمية البحر المتوسط الغذائية ساعد الناس على الحفاظ على قوة العضلات والوزن، فضلاً عن مستويات النشاط والطاقة.

وقالت الدكتورة والترز "لقد كشفت الأدلة القاطعة عن أن هؤلاء ممن كانوا يتبعون حمية البحر المتوسط الغذائية، كانوا أقل عرضة للاضطرابات الصحية. كما كشفت الدراسات عن أن هؤلاء كانوا أقل من النصف وكانوا أقل عرضة للإصابات على مدى ما يقرب من أربع سنوات مقارنة بهؤلاء الذين اتبعوا هذه الحمية الغذائية في الفترات الأخيرة".

الحمية المتوسطية تعزز نشاط كبار السن وطاقتهم

وتستند حمية البحر المتوسط الغذائية إلى أنواع الأطعمة التي وُجد أنها تُستهلك عادة في اليونان وجنوب إيطاليا في ستينات القرن الماضي، حيث تعتمد الحمية في مكوناتها على الأطعمة النباتية، وعلى التقليل من تناول الدهون المشبعة والسكريات، بالإضافة إلى تناول كميات منخفضة إلى معتدلة من الأسماك والدواجن، فضلاً عن استهلاك معقول من النبيذ.

وتظهر الفوائد الصحية لاتباع هذه الحمية تباعاً، وتتمثل في الحد من أمراض القلب والأوعية الدموية والأعصاب، والسكري، والسرطانات، وتبشر بحياة أطول عموماً.

كما تم إعداد دراسة في عام 2014 اكتشفت أن الأشخاص الذين يتبعون هذه الحمية الغذائية لديهم تيلوميرات أطول، وهي مناطق تسلسل نووي كثيرة التكرار تتموضع عند نهاية الصبغيات ومرتبطة بمتوسط العمر المتوقع.

وأشارت دراسات حديثة أخرى إلى مزايا هذه الحمية الغذائية، بما في ذلك الأبحاث المنشورة في عام 2018 في مجلة "جورنال أوف يورولوجي" التي أظهرت أن تناول نظام غذائي غني بالأسماك والبطاطا المسلوقة وكذلك الفواكه والخضروات وزيت الزيتون يحد من الإصابة بسرطان البروستاتا لدى الرجال.

وجاءت دراسة عام 2017 أيضاً لتدعم تلك النظرية مفيدة بأن اتباع نظام غذائي غني بزيت الزيتون البكر يمكن أن يقلل من معدلات الكولسترول في الجسم، مما يقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.

> الحمية المتوسطية تعتمد في مكوناتها على الأطعمة النباتية وعلى التقليل من تناول الدهون المشبعة والسكريات، وعلى كميات معتدلة من الأسماك والدواجن

وقد أظهرت دراسة أخرى أجريت في عام 2017 ودرست حالات ما يقرب من 6 آلاف شخص كيف أن اتباع حمية البحر المتوسط الغذائية قد أدت إلى تحسين وظيفة الدماغ لدى البالغين الأكبر سناً.

ولئلا تعتقد أن النظام الغذائي جيد لكبار السن فقط، وجدت دراسة أجريت في عام 2014 وجمعت بيانات 8 دول أوروبية أن هذه الحمية الغذائية مفيدة أيضاً للأطفال، مما يجعلهم أقل عرضة لأمراض السمنة وزيادة الوزن.

من يعمر أوطانا ضاقت بشبابها وزجت بهم في قوارب الموت

الهجرة ظاهرة شبابية بامتياز تتحمل الحكومات مسؤوليتها

بعيدا عن الدول العربية التي تشهد صراعات وحروبا، يسعى الكثير من الشباب العرب إلى الهجرة من أوطانهم بكل السبل المتاحة، وتفاقمت الظاهرة في السنوات الأخيرة دون أن تردع المخاطر والموت الراغبين في الوصول إلى جنة الأحلام، فحالة اليأس القاسم المشترك بين العاطلين عن العمل وأصحاب الشهادات العليا.

تونس – وراء حدود بلدانهم هو الهدف المنشود للشريحة العظمى من الشباب العرب، الذين رفعوا شعار "لا مستقبل في هذا الوطن"، ولا فرق بين عاطل لم يحظ بمستوى علمي جيد، أو جامعي يحلم بارتقاء درجات أعلى وبمستوى وظيفي مرموق.

وتشير إحصاءات وأرقام المنظمات العربية والدولية إلى ارتفاع نسبة الشباب العرب الساعين إلى الهجرة، وخاصة من ذوي الكفاءات والشهادات الجامعية رغم محاولات الدول الأوروبية الحد من هذه الظاهرة وتشديد قوانين الهجرة واللجوء.

> المهاجرون الأفارقة حولوا الجزائر من أرض عبور إلى أرض استقرار وجدوا فيها فرص عمل مع هروب شبابها

وتشكل الدول المغاربية نسبة كبيرة من البلدان العربية المصدرة للشباب ولا سيما من خلال الهجرة غير شرعية، وهي أخذة في التصاعد، لدرجة أن أحد الشباب الجزائريين قال في مداخلة تلفزيونية، "لو فتح الباب للهجرة في الجزائر، لن يبقى فيها أحد سوى بوتفليقة لأنه لا يقوى على الحراك".

وتحتل الجزائر المرتبة التاسعة بين البلدان المصدرة للهجرة غير الشرعية، عبر الحدود الخارجية للاتحاد الأوروبي، حسب ما أوردت المنظمة غير الحكومية "الجيريا ووتش".

وتُطلق تسمية "الحرَّاقة" باللغة العربية على المهاجرين، الذين يعبرون الحدود، دون أي اعتبار لوجودها؛ بمعنى أنهم "يحرقون" هذه الحدود، طلباً لمستقبل أفضل ودون الحصول على أي تأشيرة للسفر.

ويغادر الآلاف من الجزائريين خلسةً بلادهم كل عام، على متن قوارب صغيرة، يعبرون بواسطتها البحر الأبيض المتوسط، باتجاه إيطاليا أو إسبانيا، معرّضين حياتهم للخطر في أغلب الأحيان.

وتقول التقارير الإخبارية الجزائرية إن هذه الظاهرة التي بدأت مع بداية القرن الحالي، أخذت بالتمدد في الأشهر الأخيرة، وهي تثير الكثيرَ من الأسئلة لدى السلطات المعنية.

وتقدِّر الرابطة الجزائية لحقوق الإنسان، أن اتجاه هذه الهجرة ليس في طريقها للانعكاس وأن هذه الهجرة نفسها لن يتضاءل حجمها في القريب، بل هي تتمدد، انطلاقاً من شواطئ العاصمة الجزائر، نفسها، وهي التي كانت حتى وقت قريب، بعيدة عن هذا النوع من الظواهر.

ولا يمكن الاعتماد على الإحصاءات الرسمية، التي تحسب وتذكر فقط، من جرى توقيفهم، من المهاجرين، دون احتساب أولئك الذين قضوا غرقاً في عرض البحر أثناء محاولة السفر، وهذا لا يساعد على تقييم ورسم الواقع على حقيقته في هذا المجال.

المنع ليس الحل

وتقول أرقام الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، إن 1200 من المهاجرين منعوا من المغادرة في العام 2016، من قبل حرس الشواطئ الجزائري. أما 2017، ليس أفضل حالاً من سابقه.

وتضيف أن عشرة آلاف مهاجر أنقذوا في أعالي البحار من قبل البحرية الجزائرية منذ العام 2005.

وصرّح عبدالمؤمن خليل، الأمين العام للرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، أن هذه المأساة مستمرة منذ عدة أعوام، وتعود أسبابها إلى فقدان الأمل والأزمة الاقتصادية، وكذلك المعاناة اليومية، والتطلع إلى غد أفضل.

وأضاف "نماذج عديدة من الناس، تطالها ظاهرة الهجرة هذه، ولا تقتصر على الفقراء أو العاطلين عن العمل فقط، بل أن أغلبية المتحمّسين للسفر، هم من الشباب الذين تقل أعمارهم عن 30 عاماً، وكذلك مثقفين من حملة الشهادات".

ومن ينجو من الموت خلال الرحلة، يتعرض لنفس المشاكل، التي يعاني منها المهاجرون اللاشرعيون في أوروبا والقادمون من المغرب وتونس وليبيا.

أما من توقفُه البحريةُ الجزائرية قبل عبوره البحر المتوسط، فيلاحق قضائياً، ويعاقب بدفع غرامة مالية بتهمة الهجرة غير الشرعية، وقد يتعرض للسجن أيضا.

ويقول خليل "نحن نشجب قانون عام 2009 الذي يجرم الحراقة، لأنه غير مُجد، وهذا القانون لا يحل مشكلات هؤلاء البشر الذين يغامرون بحياتهم في البحار".

وتابع "وبدل أن تلجأ للعقاب، على الدولة، أن تتبنى سياسات فعّالة قادرة على احتواء هؤلاء الناس عبر خلق الفرص الاقتصادية المحلية، وكذلك عبر توقيع اتفاقات تسمح بتسهيل الحصول على تأشيرات السفر للجزائريين الراغبين في السفر إلى الخارج".

وتنعكس هذه الظاهرة على الوضع الداخلي في الجزائر، والنتيجة مساحات واسعة من الأراضي الزراعية لا تجد من يعمل بها.

والمفارقة هي أن المهاجرين الأفارقة، حولوا الجزائر من أرض عبور إلى أرض استقرار، حيث حصل الكثير منهم على فرص عمل في أنشطة ومهن مختلفة، وهي فرص لم يستغلها شباب جزائريون فضلوا المغامرة بحياتهم وخوض عباب البحر على أمل الاستقرار في الضفة الأخرى.

الهجرة مشروع اقتصادي

وغير بعيد عن الجزائر، تشهد تونس منذ عقدين تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الشباب خصوصا.

ويقول الهادي بن أحمد "دافعنا الأساسي البحث عن عمل إذ تحوّل مشروع الهجرة إلى محاولة لإصلاح وضع مترد أشبه بالمأساوي ولا يمكن تجاوزه إلا بقرار هو الآخر مأساوي أي اللجوء إلى الهجرة غير الشرعية رغم كل ما يتهددنا من مخاطر كبيرة".

وأصدر معهد الدراسات الاستراتيجية مؤخرا، تقريرا تناول فيه ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وأكد فيه على تاريخ الهجرة غير الشرعية والتي كانت عكسية خلال أربعينات وخمسينات القرن الماضي حيث كان الإيطاليون يتسللون من سيسيليا إلى الوطن القبلي التونسي كملاذ أمن لهم هروبا من الموت والسجون وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية.

هجرة عكسية

انقلبت حركة الهجرة من تونس إلى أوروبا نظرا إلى حاجتها لليد العاملة لكن في عام 1986 تم فرض التأشيرة على التونسيين للدخول إلى إيطاليا وتم تطبيق القانون بصرامة بداية من تسعينات القرن الماضي.

وعادت ظاهرة الهجرة غير الشرعية بقوة إلى تونس خلال عام 2017، ويشير معهد الدراسات الاستراتيجية إلى أن 67 بالمئة من المهاجرين السريين تتراوح أعمارهم ما بين 21 و30 سنة، فيما 14 بالمئة منهم تقل أعمارهم عن 20 سنة، و16 بالمئة تتراوح بين 31 و40 سنة وتقدر نسبة المهاجرات بـ3 بالمئة.

وقال التقرير إن دوافع الظاهرة تكمن في المؤشرات الاقتصادية السلبية وتنامي ظاهرتيْ الفقر والبطالة تليها دوافع نفسية واجتماعية وجغرافية متمثلة في قرب السواحل الإيطالية من السواحل التونسية.

وحذّر الأكاديمي التونسي حسان قصّار الاختصاصي في علم الاجتماع، من هذه الموجة الجديدة من الهجرة غير الشرعية انطلاقا من السواحل التونسية. وقال لـ"العرب" إنه بات يتعيّن على الجميع دق ناقوس الخطر، لأن هذه الموجة تُؤكد أن حالة اليأس والإحباط لدى الشباب تفاقمت إلى درجة أصبحت فيها المجازفة بالموت غرقا سبيلا للخلاص.

ويحمّل العديد من الشباب حكوماتهم مسؤولية دفعهم لاتخاذ هذا القرار، وترى آمال الجندوبي من تونس أن "الظروف الاجتماعية المزرية، وفرص العمل شبه المعدومة، واستحالة تحقيقهم أحلامهم في ظل هذه الظروف الموجودة في بلادهم، مما يدفعهم إلى الهجرة بحثاً عن ظروف أحسن لتحقيق أحلامهم".

وقال شاكر ساسي ممثل الجمعية التونسية للوقاية من الهجرة السرية إن المهاجرين غير الشرعيين ألقوا بأنفسهم في البحار وغادروا تونس لا لشيء إلا لأنهم يعانون التهميش والفقر والبطالة.

وأضاف أن الكثير منهم يوفرون مبلغ الترهيب من بيع مصوغات أمهاتهم، وأكد المهاجرون أنهم أثناء الرحلة يتعرضون إلى العنف الذي يصل أحيانا إلى القتل بينما تتعرض النساء إلى الاغتصاب الجماعي.

ومن جهته يرى زياد ذياب أحد الشباب المقيمين في أوروبا، أن من الحلول المثلى للحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية، تحقيق الأمن.

وأشار إلى أن أغلب الشباب الموجودين في أوروبا يعيشون ظروفا سيئة جدا وهم يتوقون للعودة إلى أوطانهم في حال وجدت أدنى المقومات للحياة الكريمة.

وأضاف أن البحر المتوسط هو الأكثر خطورة في استقطاب الشباب للهجرة غير الشرعية، وحتى اليوم مازال الكثير من الشباب من دول مختلفة يدفعون حياتهم ثمنا لذلك.

إهمال الحكومات

وبلغت الظاهرة أيضا مستويات كبيرة في مصر، حيث تفاقمت في السنوات القليلة الماضية، وأكدت نبيلة مكرم، وزيرة الهجرة وشؤون المصريين بالخارج، أن عدم الاهتمام بالتعليم في مصر هو سبب الهجرة غير الشرعية وغيرها من المشكلات".

غير أن الواقع يشير إلى وجود أسباب كثيرة للظاهرة في مصر، وتقول ماجدة علي، "الدولة هي السبب الأساسي في هجرة الشباب، لأنها لو وفرت فرص عمل ملائمة لهم، لتلاشت فكرة الهجرة لديهم. وعلى هذا أوجّه رسالة إلى كل مسؤول، بأننا نحن الشباب من نصنع الأمجاد والتقدّم والحضارات، فكيف لنا أن نفعل هذا، وأنتم تقتلون أفكارنا وإبداعاتنا؟ ينبغي لكم الاهتمام بنا أكثر، فبنا ستنجحون ومن دوننا ستنهارون".

وفي محاولة للحد من الظاهرة، أطلقت اللجنة الوطنية التنسيقية لمكافحة ومنع الهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر والمنظمة الدولية للهجرة، حملة قومية إعلامية للتوعية بالهجرة غير الشرعية للشباب والأطفال المصريين.

> الدول المصدرة للشباب مطالبة بتبني سياسات فعالة قادرة على احتوائهم عبر خلق فرص اقتصادية محلية وكذلك عبر توقيع اتفاقات تسمح بتسهيل الحصول على تأشيرات السفر

وتهدف الحملة، التي تحمل عنوان "أهلك.. حلمك.. حياتك.. لا للهجرة غير الشرعية"، إلى توعية الشباب المصري بمخاطر الهجرة غير الشرعية وذلك باستخدام وسائل الإعلام الرقمية والتقليدية لتحقيق أقصى قدر من التأثير.

وقالت نائلة جبر رئيس اللجنة الوطنية التنسيقية لمكافحة ومنع الهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر، إن جميع دول العالم تواجه مخاطر الهجرة غير الشرعية، واليوم نحن نطلق الحملة القومية الإعلامية الجديدة والتي تعدّ جزءا من الحلّ، موضحة أنّ الحملة تستهدف جميع المحافظات ولا تقتصر فقط على القاهرة من أجل الوصول إلى كل المجتمع.

ويؤكد خبراء الاجتماع أن الهجرة غير الشرعية ظاهرة شبابية بامتياز، لذلك على المسؤولين إعادة النظر في تعاطيهم مع هذه الفئة، وتحسين أوضاعها مع الأخذ بعين الاعتبار مطالبها.

واقترحوا البدء في الحلول من قبيل التركيز على التربية على المواطنة في البرامج المدرسية لتحفيز الشباب على التعلّق بوطنهم وعدم التفريط فيه، والاهتمام بمؤهلات الشباب من خلال توفير البعض من الامتيازات كوسائل المواصلات والمسكن والتأمين الصحي حتى لا يكون هناك إغراء بالذهاب إلى البلدان الأخرى.

كما قدّموا أيضا اقتراحات تتمثّل في توفير فضاءات ملائمة للدراسة والتدريب وتحفيز الشباب على الاختراع والبحث العلمي وذلك من خلال تقديم البعض من الجوائز والمنح. والقضاء على المحسوبية في مؤسسات الدولة، وإدماج مبدأ المساواة والعدل، وتوفير فرص عمل مع ضمان العدالة في الأجور، من خلال فتح مجالات لاستثمار المؤهلات الشبابية كالنوادي الثقافية والجمعيات، وتحفيز الشباب على المشاركة في الحياة السياسية.

المرأة العربية المعيلة: لا زوج يدعم ولا حكومة ترحم

نساء يخضن كفاحا مريرا لضمان بقاء أسرهن على قيد الحياة

عمل النساء المعيلات يشكل عاملا حاسما في بقاء الملايين من الأسر الفقيرة على قيد الحياة، إلا أن الظروف الاجتماعية والسياسية والعقليات السائدة تتكاتف في أغلب المجتمعات العربية لجعلهن رهائن للفقر والاستغلال المادي والمعنوي.

يمينة حمدي
صحافية من تونس مقيمة في لندن

❏ لم يعد التقسيم التقليدي للأدوار داخل الأسرة سائدا في العديد من المجتمعات العربية، خاصة في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة والاضطرابات السياسية التي تعيشها أغلب البلدان العربية، إذ أصبح من السائد أن تتقلّد النساء أدوار الرجال، ويتحملن أعباء مضاعفة في سبيل إعالة أسرهن وتوفير متطلبات أبنائهن.

ويعرّف الباحث التونسي في علم الاجتماع طارق بالحاج محمد المعيلات بأنهن النساء اللائي يتولين الإنفاق على أنفسهن، ويتحملن مسؤولية الرعاية المادية والمعنوية لأسرهن من دون الاستناد إلى وجود الرجل (الزوج أو الأخ أو الأب..).

وبيّن بالحاج محمد أن المرأة المعيلة، قد تكون في الغالب أرملة أو مطلقة أو زوجة مريض أو عاجز، سواء عجز كلي أو جزئي، أو زوجة سجين أو رجل متواكل ومستقيل تماما من مهامه وواجباته العائلية.. وبالتالي تكون المرأة المصدر الوحيد لدخل الأسرة.

وقال في حديثه لـ"العرب" إن "ظاهرة المرأة المعيلة ليست بالجديدة على المجتمعات الإنسانية، فقد خبر الوجود البشري حالات كثيرة من بقاء المرأة بمفردها وإدارتها لعائلتها ولنفسها".

وأضاف مستدركا "لكننا اليوم نشهد اتساع هذه الظاهرة نظرا لاتساع خارطة الفقر والفاقة وانتشار الحروب والأزمات الاجتماعية والاقتصادية الدورية في المجتمع العربي مما جعل المعنيين بشؤون المرأة يشيرون إلى أزمة جديدة تعصف بهذه المجتمعات نظرا لما لها من آثار سلبية على المرأة والأسرة والمجتمع برمته، وما تخلّفه هذه الوضعية من آثار على نفسية المرأة لا سيما وأنها أكثر العناصر الاجتماعية المعرضة للأذى، وهذا من شأنه أن يجعل الآثار السلبية لهذه الظاهرة تصيب الكيان النفسي والبناء الذاتي للمرأة كما تنعكس على المجتمع بأسره".

وعلى الرغم من أن عمل النساء المعيلات يشكل عاملا حاسما في بقاء الملايين من الأسر الفقيرة على قيد الحياة، فإنهن يواجهن عقبات جمة في سبيل الحصول على وظائف، وغالبا ما يدفعهن ذلك إلى العمل في مجالات هشة وغير مرئية، فلا يتوفر لهن بالتالي الحد الأدنى من الحقوق القانونية.

أعباء مادية ومعنوية

ففي تونس على سبيل المثال تساهم المرأة بنسبة 68 بالمئة من الدخل القومي الخام، وتؤمّن إنتاج الخضر والغلال بنسبة 90 بالمئة، ولكنها تعمل أحيانا في ظروف لا تراعي طبيعتها الأنثوية ولا تحترم إنسانيتها.

وتتميز أغلب الأعمال التي تقوم بها النساء المعيلات بأنها مستهلكة للوقت وشاقة وضئيلة الأجر، مما يحد من قدرتهن على تعلّم المهارات التي قد تساعدهن على تحسين وضعياتهن الاجتماعية، وهذا الأمر يؤدي إلى إدامة دورة المعاناة والفقر في صفوفهن.

وتتعرض الكثيرات إلى الاستغلال الجسدي والجنسي بسبب تدني تحصيلهن العلمي، إضافة إلى عدم المساواة بينهن وبين الرجال في الأجور وفي عدد ساعات العمل.

ورغم الوعود الحكومية المتواصلة بضرورة تمكين المرأة العربية ومساندتها للارتقاء بالمجتمعات كلل، إلا أن الفقر المدقع مازال يحاصر النساء أكثر من الرجال، بسبب التمييز الممنهج ضدهن في سوق العمل، وصعوبة حصولهن على احتياجاتهن الأساسية وتهميش دورهن في الأسرة والمجتمع.

وتكمن المفارقة في وضع المرأة العربية المعيلة في أن "شريك حياتها" على استعداد للقبول بعملها طالما أنها ستنفق على الأسرة، إلا أنه يرفض مساعدتها في رعاية الأبناء والقيام بالأعمال المنزلية، ولا يتوانى عن تعنيفها.

كما أن نظرة المجتمع لعمل الرجل في المنزل لم تتغير كثيرا، إذ لا يزال قطاع لا بأس به من المجتمع يرى أن العمل المنزلي هو من صلب مهام المرأة وأنه لا يليق بالرجل القيام بهذه الأعمال.

وأشار بالحاج محمد إلى أن المرأة المعيلة تتعرض إلى الكثير من الضغوط الاجتماعية الناتجة عن الثقافة الاجتماعية السائدة، وكذلك عن استغلال البعض لوضعيتها الهشة.

وشدد في خاتمة حديثه على أن "الموروث الثقافي أو ما يطلق عليه في العلوم الاجتماعية الحديثة بـ'الثقافة الاجتماعية'، (وهنا لا نقصد الثقافة كما يراها البعض، بل الثقافة كما هي بالفعل في الواقع العملي بين الناس)، يعقّد أكثر وضعية المرأة المعيلة، حيث تتعرض لكل أنواع التمييز والمضايقات والتحرشات وينظر إليها كامرأة ضعيفة أو بلا سند، ويستغل البعض حاجتها للعمل أو الخروج من المنزل لابتزازها ماديا ومعنويا".

وتعتبر زينة اليعقوبي أحد نماذج المرأة التونسية المعيلة التي لم تقف مكتوفة اليدين، بل تحدّت جميع ظروفها القاسية بعد المرض الذي ألمّ بزوجها، وتولت منفردة إعالة أسرتها.

وأطلقت اليعقوبي، التي تقطن بمدينة الدهماني التابعة لمحافظة الكاف بالشمال الغربي لتونس، تنهيدة اعتصرت ألم الحمل الذي يثقل كاهلها، ووجدت متنفّسا لتبوح لـ"العرب" قائلة "أعيش حياة أفتقد فيها لمعنى المسرة وراحة البال، فأنا لا أنام ملء جفوني مثل بقية الخلق بسبب تفكيري المستمر في تأمين لقمة عيش أبنائي وقلقي المستمر على مستقبلهم".

وأضافت اليعقوبي، التي تبدو ملامحها أكبر بكثير من سنها الذي لم يتجاوز الخمسين عاما، "أستيقظ يوميا من شفق الفجر من أجل أن أعد ورقات 'الملسوقة' (البريك) حتى أبيعها في السوق وأتمكن بما أحصل عليه من إطعام أبنائي الثلاثة وزوجي وتوفير متطلباتهم المادية".

دوامة من المشقة والقلق

تحديات يومية تنغص حياتهن

وأوضحت "هذه وتيرة حياتي اليومية، لا أملك غير هذا العمل الذي يتطلب ساعدا لا يكلّ ولا يملّ، ولا يوفر لي غير مبلغ بسيط لم يعد يكفيني لمجابهة احتياجات أبنائي ومتطلباتهم الكثيرة والمتزايدة".

وواصلت "لا أحفل بالجلطة التي أعاني منها في ساقي وأكتم آلامي في صدري، فلا خيار أمام سوى العمل المتواصل، حتى ابني البكر الذي علّقت آمالا كثيرة على تخرجه من الدراسة الجامعية، يعاني من البطالة منذ حوالي أربع سنوات، وهذا ما يزيد معاناتي".

وختمت اليعقوبي بقولها "أتغاضى عن الكثير من الأشياء وأحرم نفسي من أجل توفير مصاريف أسرتي واحتياجاتها، فظروفي الاجتماعية صعبة جدا، وكل ما أتمناه هو أن يحصل ابني على شغل حتى يريحني قليلا من الحمل الكبير الذي لا حول ولا قوة لي على تحمّله".

العراقيات اليائسات

هذه الوضعية الاجتماعية القاسية لا تعيشها المرأة التونسية فقط، بل تكاد تكون نمط حياة الملايين من الأرامل العراقيات اليائسات، ممن تركن بلا معيل أو سند جراء الحروب وعمليات القتل الطائفية والإرهابية.

وبالرغم من عدم وجود إحصاءات دقيقة عن عدد الأرامل في العراق، فإن المعروف أنه حتى قبل الغزو الأميركي في العام 2003 كان المجتمع العراقي يضم مئات الآلاف منهن.

ومع اتساع نفوذ الميليشيات الإيرانية في العراق خلال الأعوام الأخيرة، صارت فرص النساء في لعب دور في المجتمع أو الاقتصاد العراقي ضئيلة، حيث وجدت العديد من النساء أنفسهن حبيسات البيوت وعاجزات عن إعالة أسرهن، خاصة في المناطق الريفية والأحياء الفقيرة.

غير أن الأرامل اللواتي تحدثت إليهن "العرب" لم يبدين ميلا إلى الكشف عن وضعياتهن الصعبة، بل فضلن مواصلة معاناتهن في صمت خوفا من أن تطالهن أيادي الميليشيات.

وأكدت الإعلامية العراقية سميّة السامرائي أن الكثير من العراقيات فقدن أزواجهن وأبناءهن في الحرب العراقية الإيرانية الطاحنة التي استمرت حوالي 8 سنوات، فيما ترمّلت مئات الآلاف من النساء في أحداث العنف الكثيرة التي عاشها العراق.

وقالت السامرائي لـ"العرب"، "لقد عانت المرأة العراقية ومازالت تعاني جراء الحروب وأحداث العنف التي مرت على العراق، فقد فقدت الكثيرات أزواجهن، ومنهن من فقدن أبناءهن وأزواجهن وبقين وحيدات".

وأضافت "في السابق كانت الأرملة العراقية تكافأ براتب وسكن ولكن بعد حرب الخليج أو ما سمّي بـ'عاصفة الصحراء' ازداد عدد الأرامل وتعمقت معاناتهن، وتحملت الكثيرات مسؤولية الإنفاق على أبنائهن والقيام بشؤون أسرهن بمفردهن، حتى أنه أطلق حينها على الأرملة العراقية لقب 'الماجدة'، نظرا للتضحيات الكثيرة التي تقدمها في سبيل إعالة أسرتها ورعايتها".

وأوضحت "لقد ساء وضع المرأة العراقية بعد الاحتلال الأميركي كثيرا وازداد عدد الأرامل بصفة كبيرة جراء عمليات القتل العشوائي مما أثقل كاهل المرأة العراقية ودفع الكثيرات للتسوّل مع أطفالهن في الشوارع بعد أن عجزن عن إيجاد عمل يحافظ على كرامتهن".

دوامة من الضغوط

أثارت السامرائي في ختام حديثها موضوع استغلال الأرامل والمطلقات من قبل بعض رجال الدين خصوصا دون أي مراجعة لحقوقهن وحقوق أبنائهن اليتامى، إذ يفاجئن من قبل بعض رجال الدين بطلبهن لزواج المتعة، الأمر الذي يدفعهن إلى الصمت على وضعياتهن خشية من الاستغلال.

أما في المجتمع المصري فتتولى المرأة إعالة حوالي 35 بالمئة من الأسر، وفقا للتقديرات الحكومية.

وربط خبراء الاقتصاد ارتفاع نسبة المرأة المعيلة في مصر بضعف معدلات التنمية وتفشي البطالة خاصة في المناطق الريفية والنائية.

وتتولى المرأة المصرية في أغلب الأحيان مسؤولية إعالة عائلات يوجد بها رجال عاطلون عن العمل، إلا أن أغلب النساء اللاتي تحدثن لـ"العرب" فضلن التكتم على أسمائهن خوفا من الإساءة لكرامة أزواجهن.

وتؤكد دراسة مصرية أن 55 بالمئة من النساء المعيلات يقل دخلهن الشهري عن 2000 جنيه (113 دولارا)، و28 بالمئة من النساء يعلن أسرهن رغم وجود الرجل.

وتعيش فتحية محمود البالغة من العمر 49 عاما في دوامة من الضغوط اليومية من أجل توفير لقمة عيش لأسرتها ومصاريف أبنائها.

وقالت محمود "لا عمل قارا لي سوى مساعدة النساء الموظفات في تنظيف منازلهن، فأحصل في مقابل ذلك على مئتي جنيه (أقل من 15 دولارا) في اليوم الواحد".

وأضافت "أعمل طوال الأسبوع حسب جدول مخصص من قبل النساء اللاتي يستعن بي لمساعدتهن، ففي الصباح الباكر أقصد منازلهن للقيام بما يطلبنه مني من أعمال منزلية، ثم أعود في المساء لرعاية بيتي وأبنائي وزوجي المريض".

وأوضحت "منذ خمسة أعوام أصيب زوجي الذي كان يشتغل عامل بناء موسمي بجلطة شديدة سبّبت له شللا تاما، فأصبحت المسؤولة الوحيدة عن رعاية عائلتي ماديا ومعنويا، وكل ما أتحصل عليه من أجر مقابل التنظيف، إلى جانب بعض المساعدات البسيطة من أهل البر والإحسان، أحاول تقسيمه بين مصاريف تعليم أبنائي علهم يحققون مستقبلا أفضل وبين علاج زوجي ومتطلبات المعيشة".

وعن هواجسها من المستقبل تقول محمود "المستقبل بيد الله تعالى ولا أحمل همّه، ولكن خوفي الكبير من المرض، فصحتي وقدرتي على العمل منذ الشروق وحتى غروب الشمس هي رأس مالي الوحيد".

فيما تتكفل الخمسينية أم حسن (بائعة خضروات) بإعالة أسرتها المكونة من ستة أبناء تركهم لها زوجها الذي تحصّن بالفرار خوفا من دخول السجن بسبب حكم قضائي صادر ضده.

وقالت أم حسن لـ"العرب" "لقد هرب زوجي وتركني لمصير مجهول أنا وأبنائي في ظروف حياتية قاسية، وأجهل حتى الوجهة التي قصدها، ومنذ ذلك الحين وأنا أعاني الأمرّين في سبيل مواجهة متطلبات الحياة التي تتزايد يوما بعد آخر".

وأضافت "أستيقظ كل يوم من الصباح الباكر لشراء الخضروات من سوق الجملة في مدينة العبور بمحافظة القاهرة ثم أبيعها للناس حتى أستطيع تأمين قوت أبنائي ومصاريفهم، وما أجنيه يوميا من دخل مادي محدود جدا"، وأكثر ما يحزن أم حسن أنها غير قادرة على شراء كل ما تتمناه لأبنائها من فواكه ولحوم وتأمين ظروف معيشية أفضل لهم.

وتعيش الملايين من النساء المعيلات في البلدان العربية في دوامة من المشقة والعزلة والقلق بعدما أرغمن على تحمل مسؤولية عائلاتهن بمفردهن، ولكن في مقابل ذلك لا يتم الاعتراف لهن بالتضحيات الكبيرة التي يقدمنها للأسرة وللمجتمع من الناحية الاجتماعية الاقتصادية.

سمية السامرائي:
أطلق على الأرملة العراقية لقب «الماجدة» نظرا لتضحياتها الكبيرة في سبيل إعالة أسرتها ورعايتها

طارق بالحاج محمد:
المرأة المعيلة تتعرض إلى الكثير من الضغوط الاجتماعية الناتجة عن الثقافة الاجتماعية السائدة

كيف لتفكيرنا في المستقبل أن يسرق لحظتنا الراهنة

الاكتئاب يعيش في الماضي والقلق في المستقبل والهدوء للحاضر

ينشغل الكثيرون بالتفكير والتخطيط للمستقبل بشكل مبالغ يدفعهم إلى الشعور بالقلق الدائم والخوف طوال الوقت من المجهول. ويلتهم هاجس التفكير بالمستقبل أحيانا الاستمتاع بالحاضر، وهو ما يدعو الأخصائيون النفسيون إلى تفاديه قدر الإمكان والتركيز أكثر على فن عيش اللحظة.

نهى الصراف

الانشغال الدائم بالمستقبل يفاقم القلق والتوتر

❏ حضور الذهن أمر بالغ الصعوبة ولا يمكن أن يكون بالبساطة التي نعتقد، فتعقيدات الحياة والتطورات الهائلة في المجال التقني جعلت من لحظات جلوسنا مع ذاتنا وتأملنا للحظاتنا نادرة، صعبة المنال، إن لم تكن مستحيلة.

إلا أنه في الإمكان التدرّب على ممارسة التأمل وكيفية أن نكون أكثر حضورا، إذ أن فوائد هذا النمط من الحياة لا تعد؛ فهؤلاء الذين يعيشون لحظاتهم بكامل حضورهم ووعيهم أكثر سعادة وهدوءا واسترخاء من غيرهم، كما أن حضور الذهن يجعلك تتناغم مع أفكارك ومشاعرك وتواصلك مع الآخرين في محيطك الاجتماعي والعائلي والشعور بهم.

وتتعامل إليسا بارباش، طبيبة نفسية والرئيس التنفيذي لمركز علاج الصدمات النفسية تامبا في ولاية فلوريدا الأميركية، بالأسلوب ذاته مع مرضاها، فتخبرهم بأن الاكتئاب يعيش في الماضي والقلق يعيش في المستقبل، أما الهدوء وراحة البال فيعيشان في الحاضر وهو ملكهم متى ما أرادوا ذلك. وتؤكد بارباش على أهمية حضور الذهن باعتباره أساس أي برنامج للعلاج؛ مع التركيز على أهمية زيادة الوعي وتعلم التركيز على اللحظة الراهنة. وفي الواقع فإن واحدة من المبادئ الأساسية التي تطبق في العلاج الذي يعتمد على منهج "حضور الذهن"، هي أن يسمح المريض لعقله بتولي الزمام ليستحوذ على الوقت بكامله، وقت اللحظة الراهنة.

> زمن التخطيط للقيام بشيء ممتع في الوقت الحاضر، كأن يكون التخطيط لحفل تخرج أو زفاف أو رحلة سفر لقضاء العطلة يسرق من الوقت ويسبب التوتر

فكيف يسرق تفكيرنا في المستقبل عقلنا في الحاضر؟ الأمر ببساطة يعني أن المتعة التي تمنحها لنا لحظتنا الراهنة، سرعان ما تتلاشى بسبب ارتباط عقولنا بأفكار خارجة عن إطارها وغالبا ما تكون في المستقبل القريب أو البعيد، كأن نستمتع برحلة سفر أو نزهة عائلية أو حضور مسرح أو حفل موسيقى أو حتى جلسة شاي مع الأصدقاء، في الوقت الذي تمارس فيه أفكارنا الإبحار في مكان ما قريب من المستقبل لننتظر مرور الوقت وكأننا نستعجل النهاية، فنبدأ بالقلق على اليوم التالي الذي سيكون مكتظا بالعمل والواجبات، وهذا بإمكانه أن يفسد اللحظة ويعكر مزاج الأمور التي كانت تمضي بسلاسة، حيث يسرق التفكير العقلاني وقت المتعة الآنية الثمين الذي لن يعود ونخسره إلى الأبد.

وهناك أيضا زمن التخطيط للقيام بشيء ممتع في الوقت الحاضر، كأن يكون التخطيط لحفل تخرج أو زفاف أو رحلة سفر لقضاء العطلة، بطريقة لا إرادية يحاول التخطيط أن يسرق من الوقت ثم يأتي القلق والخوف من احتمال ألا تسير الأمور بالشكل الذي نتمناه أو نخطط له، وهذه حفرة أخرى يمكن أن يتسرب منها المزيد من الوقت لنجد أنفسنا في النهاية، مكبّلين بالقلق على ما سيأتي أو ينفد صبرنا في انتظار انتهاء كل شيء لتتسنى لنا العودة إلى التفكير في المستقبل وما سيأتي بعد أن تنتهي فرحة الحاضر، وفي الواقع فإن هذه الفرحة ستكون قاصرة وقد أفسدناها مسبقا بالتخطيط المبالغ فيه والقلق أيضا.

وتؤكد بارباس على أن الطريقة الوحيدة لأن نكون بذهن يقظ، هي الاستمتاع قدر الإمكان بحدث الحاضر ومحاولة البقاء فيه حتى يأخذ وقته كاملا من دون أن نسمح لأفكار المستقبل أو الماضي بأن تعكر صفوه، الأمر ببساطة هو عملية فصل مع وجود نية وتصميم لفعل ذلك، التركيز على ما سيأتي يفقدك الاهتمام بما هو أمامك ومن حيث لا تدري ستمر بالتجربة وتعيشها من دون أن تدركها حقا. وفن عيش اللحظة موجود في شتى تفاصيل حياتنا اليومية، وهو ليس قاصرا على التجارب المهمة التي تمتلك مساحة واسعة من تخطيطنا واهتمامنا، فبعض التفاصيل الصغيرة يمكن أن تفوتنا إذا لم نتوقف بين الماضي والمستقبل لنتعرف إلى مذاقها. الوقت سلعة ثمينة، علينا أن نتذوق لحظاتها ولا نتركها تمر سريعا ونحن نلهث للحاق بالمستقبل.

ومن جانبها ترى ميلاني غرينبرغ، أستاذة أميركية في علم النفس الإيجابي وخبيرة في علم إدارة الإجهاد، أن التدريب على عيش اللحظة الراهنة يعني قبولها كما هي، حتى وإن لم تكن من اختيارنا وهذا يعني قبول تجارب الحياة المختلفة، وما تركناه منها في الماضي مع التأكيد على قبول هذا الماضي وعدم إنكار إخفاقاته وقناعتنا بأن تغييره أمر مستحيل، في الوقت الذي يبقى لدينا خيار عيش الحاضر وقدرتنا على التحكم فيه.

كما يجب علينا ألا نكون مقيّدين بطرق التفكير القديمة، وهي مثل أي عادة تحتاج وقتا وجهدا حقيقيين لتغيير مسارها نحو الاتجاه الصحيح، ولهذا، وحتى نشعر بالتحسن ونلمس التغيير، تتوجب علينا مواجهة الأفكار السلبية ونكف عن خداع ذاتنا لننظر بثبات لمشكلاتنا ونحاول تهدئة قلقنا على المستقبل.

ويرى متخصصون أهمية أن يعزل المرء أفكاره، مشاعره وأحاسيسه عن ذاته في لحظة معينة؛ فالأفكار والمشاعر مهما كانت صحيحة فإنها بالتالي نتيجة خبرات ماضية وتوقعات نستقيها من تجاربنا في الحياة، ولهذا فهي من ابتكارنا والأجدر ألا ندعها تقودنا وتتحكم فينا وفي سلوكنا حتى في أوقاتنا الخاصة مع أنفسنا، وعندما نفصل هذه الأفكار والمشاعر عن اللحظة الراهنة، فإننا نتمكن بعد ذلك من النظر إليها من بعد، من مسافة يمكننا أن نراها بوضوح أكبر وموضوعية. أما سلوكنا الآني فينبغي أن يكون رد فعل ينبني على أساس تجربتنا المباشرة مع الأشياء التي نراها ونسمعها، بطريقة مستقلة تماما عن تأثير أحكام مسبّقة من الماضي أو توقعات عن مستقبل سيأتي.

أن نعيش حياة حقيقية ذات مغزى، هذا يعني أن نستغل كل لحظة فيها لتحقيق ما نطمح إليه وأن نسعى إلى الاتصال مع الآخرين، مشاركتهم أهدافنا وطموحنا بحسب أدوارهم في حياتنا، وهذا يعني أن نواجه مخاوفنا وقلقنا ولا نمنحهما الفرصة لإفساد أوقاتنا وتعكير مسار طموحنا.

ليس بالضرورة أن نتوقع نتائج مبهرة أو مرضية في وقت قصير، بل إن بعض النتائج قد لا تأتي على مقاس توقعاتنا وأحلامنا، المهم أن نبذل قصارى جهدنا في الاتجاه الذي نراه صحيحا وأن نستثمر الواقع الراهن بمعزل عن تجربة الحياة الماضية، وبمعزل أيضا من مخاوفنا التي نرى المستقبل المجهول بمنظارها. بالتأكيد، لا يمكننا أن نتجنب المرور تحت غيمة الماضي الرمادية الكئيبة، كما لا يمكننا تجنب التفكير في ما يخبّئه لنا المستقبل، لكننا بين هذا وذاك، نظل ملزمين بعيش الحاضر حتى آخر لحظة فيه.

العلاقات الاجتماعية على مشارف الجنون

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ ننشغل دوما بما يربطنا بالآخرين مهما كانت نوعية العلاقة التي تجمعنا بهم، وذلك لأن العلاقات البشرية واكبت ركب التغيّر السريع واللامنطقي أحيانا، في نمط ونسق الحياة الأسرية والاجتماعية العامة.

أصبحنا عن وعي أو دونه ننظر إلى طبيعة هذه العلاقات ومظاهرها بكثير من الغرابة، حيث انقلبت لدينا كل المفاهيم رأسا على عقب، فأضحينا نبحث عن الهدوء في ركام الفوضى العارمة التي شابت الروابط الاجتماعية. وصار العقل والتعقل نشازا في سيمفونية الجنون التي تعزف بلا هوادة.

وتبعثر المنطق في دروب الحسابات، ومع الأسف كلها حسابات ضيقة لا تتجاوز ضيق المصالح على اختلافها، مهما كانت المسافة التي تفصل أطراف العلاقات الأسرية والاجتماعية، التي أصبحت تُدار على أساس الصراعات المتكررة والمستمرة. حتى أننا أضحينا ندرك بأن الوجود البشري في حدّ ذاته بات يخضع لمنطق فلسفي ساد بنية الفكر في فترة التحولات الكونية العميقة، ويتسق مع معطى "البقاء للأفضل" في نظرية النشوء والارتقاء الداروينية.

بؤر الصراع الاجتماعي استفحلت في محيطها الضيق والمنفتح، قادنا إلى هذه الرؤية تعقد الحسابات اللامنطقية التي طبعت فلسفة التعايش في إطار اجتماعي وفق مفهومين مُعقلنين على الأقل وهما؛ التشارك والتكامل، إذ بات الأمر خارج نطاق كل منطق إنساني. الحسابات المجنونة وحدها تحدد المسارات والمواقف، تدخلات بالجملة في شؤون الآخرين، فرض منطق الواقع، وكأننا تصالحنا مع منظور فلسفي قديم يرى الجنون كما لا نراه ويعرّفه بخلاف ما نعلم.

فقد عرّف البعض الجنون بأنه أقصى درجات التعقل، حيث لا قيمة لأي حدود وقوالب ذات أبعاد دينية أو ثقافية أو اجتماعية أو حضارية. المجنون يسخر من كل عقلاء الأرض بالسطو على ما أنتجته عقولهم، وما توصلت إليه نظرياتهم وتجاربهم.

الجنون حالة من "التعقل في مداه الأقصى"، ولذلك فهو حالة انعتاق من كل قيد أو شرط. إنه تمرد على المنطق. هل ساد الجنون علاقاتنا الإنسانية؟

الوضعان؛ الأسري والاجتماعي، أصيبا بالجنون، وفقدا بوصلة التحكم، ورفضا الانصياع لمقتضيات التعايش السلمي المؤطر -باختلاف مرجعيات التأطير طبعا- فبتنا نعيش في دوامة من العنف وانتهاكات للخصوصية الذاتية وتكريس للأنانية.

الزوجان يتصارعان تحت شعار "المظلومية" أو "إثبات الوجود"، مفاهيم التحابب التلقائي والودّ القائم على التآلف النفسي والتنازل والمراعاة، كلها مصطلحات أصبحت من الماضي لدى نسبة كبيرة من الأزواج، لأنّ الطابع البراغماتي-النفعي طغى على العلاقات الزوجية، فالأقوى والأذكى والأكثر سطوة واقتدارا -دون اعتبار للجنس سواء كان رجلا أو امرأة- هو من يوجّه بوصلة العلاقة الزوجية، ويسطر تفاصيلها وحيثياتها، فهو إذن صراع محموم مجنون يقوّض القيم السائدة والمألوفة لبناء العلاقات الزوجية، إنه صراع من أجل "القيادة".

أما العلاقة بين الآباء والأبناء فقد شهدت بدورها بعض الصراع المجنون بما أن مرجعيات المعرفة والأخلاق معا مختلفة لدى الجيلين، بل متقابلة وفق ثنائيات من قبيل؛ السرعة والهدوء، والتشبث بالأصالة والانبتات، واللحمة والتشرذم، وكل ما يدور في فلك هذه الثنائيات. فالآباء فقدوا سلطتهم المعنوية وفي المقابل تمرّد الأبناء ليرسموا طريقهم بمنظار العصرنة والتحديث، بعيدا عن الوصاية الأبوية، رافضين حتى المرافقة والمساعدة بحجة تفوقهم الذهني وقدرتهم وطبيعة عصرهم.

هذان النموذجان من العلاقات التي شهدت توترا فاق الحدّ المعقول ولذلك وسمناهما بالجنون، ينسحبان بالضرورة على بقية العلاقات ذات الطابع الاجتماعي بجميع أصنافها وأطرافها، بما في ذلك علاقات الروابط الدموية وعلاقات الجيرة والصداقة والزمالة في الدراسة أو العمل.

أما ظاهرة الخروج عن المنطق والعقل في بناء العلاقات البشرية في معناها الإنساني الأشمل فهي بالتأكيد ليست مطلقة، وإن تفشت واكتسبت صفة الظاهرة فهي لا تعكس الدعائم والأسس الفكرية والمرجعية والقيمية، المتجذّرة تاريخيا في المفهوم الشعبي لتركيبة العلاقات داخل الأسرة والمجتمع حتى وإن اعتراها التغيير. فستبقى مفاهيم مثل الحب والودّ والانسجام والتكامل والتسامح والمساعدة والمراعاة وغيرها، قائمة وإن تقلصت بنسب.

تكمن دائما في ذات الإنسان ما عبّر عنه عبدالرحمن بن خلدون في كتابه "المقدمة" بقوله "الإنسان مدني بطبعه"، لأنه لا يستطيع أن يكون انتهازيا وأنانيا و"مجنونا" إلى ما لا نهاية له. لنبحث إذن عن منطلق متعقل وسط بحر الجنون المتلاطم. ألم يقولوا إن لكل مشكلة حلا ولكل صراع نهاية ولكل جنون عقلا؟ ربما تنفتح نهاية الأفق ويرسم طريقا للنور في خضم العتمة.

لا يمكن للإنسان أن يفقد جميع مكوناته وطباعه الفطرية مثل الميل نحو العيش المشترك، رغم أن تغير الحياة وتطوّر نسقها بوتيرة شديدة جعلاه يكتسب سلوكيات وتصرفات اجتماعية تغلب عليها صفات مثل الأنانية والانتهازية والصراع، سواء داخل أسرته أو في فضاءات نشاطاته المختلفة. ولكنه يبقى كائنا اجتماعيا بامتياز.

طبق اليوم

روبيان بالكاري

* **المقادير:**

- الروبيان: 100 غرام (متوسط الحجم)
- البصل: قطعة واحدة مفرومة متوسطة الحجم
- الثوم: 3 قطع مهروسة
- الكزبرة: رشّة (مفرومة للتزيين)
- الزنجبيل: ملعقة كبيرة (مفروم)
- مسحوق الكاري: ملعقة كبيرة
- الكركم: نصف ملعقة صغيرة
- ملح: ملعقة صغيرة
- زيت الذرة: ملعقة كبيرة
- الفلفل الأخضر: 1 متوسط الحجم (حار ومفروم)
- فلفل أسود: رشّة
- بهار السمك: ملعقة صغيرة
- طماطم: قطعتان من الحجم المتوسط (مقشرتان ومفرومتان)
- معجون الطماطم: ملعقتان كبيرتان
- الماء: كوبان
- كريما: نصف كوب

* **طريقة التحضير**

- انزعي قشور حبّات الروبيان وتخلّصي من خيط الرمل الموجود في ظهرها، وانثري بعض الملح عليها ثم اغسليها جيدا، وضعيها في مصفاة للتخلّص من الماء.
- في مقلاة واسعة، ضعي الزيت، وسخني على نار متوسطة، ثم أضيفي البصل، وقلبي ليصبح ذهبيّ اللون، وأضيفي الثوم والزنجبيل والفلفل والكاري والكركم وبهار السمك، وقلبي هذه المكوّنات لتختلط جيدا.
- أضيفي الروبيان وقلّبي لبضع دقائق إلى أن يصبح ذهبيّ اللون ويتشبع بنكهة البهارات.
- أضيفي الطماطم والمعجون، وقلبي لدقيقتين، ثم اسكبي الماء ودعيه يغلي بقوّة، ثم خففي النار ودعي الروبيان يطهى لمدة 15 دقيقة.
- أضيفي الكريما، وانتظري إلى أن تسخن، دون أن تدعيها تغلي.
- اسكبي كاري الروبيان في طبق التقديم، وزيني بالكزبرة، وقدّمي هذا الطبق مع الأرز الأبيض.

موضة

«بوت الجورب» نجم موضة هذا الشتاء أيضا

❏ أوفنباخ (ألمانيا) – قالت خبيرة الموضة الألمانية كلاوديا شولتس إن "بوت الجورب" يمثل نجم موضة الأحذية النسائية هذا الشتاء أيضا، ليمنح المرأة إحساسا بالدفء وإطلالة جذابة تعكس تفرد أسلوبها.

وأوضحت شولتس أن بوت الجورب لا يأتي مصنوعا من الجلد، وإنما من التريكو أو النيوبرين وغيرهما من الخامات المرنة ذات التقنية العالية، مشيرة إلى أن سبب تسمية البوت بهذا الاسم يرجع إلى أنه يلتصق بالساق كما لو كان جوربا ذا نعل وكعب.

ويمتد بوت الجورب إلى فوق الكاحل، وهو يعد موديلا مثاليا للمرأة ذات السيقان النحيفة للغاية على وجه الخصوص.

ويخطف بوت الجورب الأنظار إليه هذا الموسم باللون الأحمر بصفة خاصة، كما أنه يتناغم مع بنطال قماشي طويل.

وأوضحت مجلة "إيلي" الألمانية أن "البوت الجورب" عبارة عن أنكل بوت ذي قصّة ضيقة وملتصقة بالكاحل كالجورب، مشيرة إلى أنه يطل بخامات مختلفة، كالمخمل والشموه والجلد اللامع وخامة اللوريكس البرّاقة.

وأضافت "إيلي" أن البوت الجورب يتناغم مع "السروال التنورة" ذي الأرجل القصيرة والواسعة، وكذلك مع السروال الجينز، الذي يمتاز بطرف سفلي قصير من الأمام وطويل من الخلف.

ومن جهة أخرى ذكرت مجلة "بريغيت" الألمانية أنه ينبغي اختيار البوت بما يتناسب مع شكل السيقان، موضحة أن المرأة ذات السيقان القصيرة يغازلها بوت ذو ساق عالية أو بوت فوق الركبة، حيث تبدو السيقان أطول مع هذين الموديلين.

ملهم الأجيال.. ينهي حقبة تاريخية لا تتكرر

رونالدينيو.. يسدل الستار على مسيرته الكروية

وداعا لصاحب الابتسامة.. رونالدينيو يترك عشاقه

كان خبر اعتزال الساحر البرازيلي رونالدو دي أسيس موريرا الملقب بـ"رونالدينيو" متوقعا، نظرا لأنه لم يخض أي مباراة رسمية منذ عام 2015، إلا أن كلمة "اعتزال" غالبا ما تسقط كالصاعقة على عشاق كرة القدم، خصوصا إذا كان صاحب هذا القرار أسطورة قد لا تتكرر.

❑ ريو دي جانيرو – أسدل رونالدينيو غاوتشو الستار على مسيرته، وقرر اعتزال كرة القدم بصورة نهائية بعد فترة من التردد والتأخر في إعلان هذا الأمر، وترك خلفه إرثا عظيما من الحيل الفنية والخدع المهارية، التي استلهم منها الجميع ومازال يستلهم منها الأطفال الصغار، إضافة إلى سلسلة من الإنجازات الكبرى مع المنتخبات والأندية التي لعب لها. وبدأت عروض الساحر في عمر صغير، حيث بدأ يُعرف مع فريق غريميو الأول، ومن خلال مشاركته مع منتخب البرازيل الأول في بطولتي كوبا أميركا وكأس القارات عام 1999، وهو ما قاده للمشاركة في إنجاز الفوز بكأس العالم 2002، حيث كان من الركائز الأساسية في هذا الإنجاز، وهي آخر كأس حققها راقصو السامبا على الصعيد الدولي، فكان رونالدينيو أحد الراقصين، ولكنه تفوق على بقية أساتذته في القيام بأمور غير متوقعة بالكرة، رغم أنه كان يبلغ 22 عاما فقط.

وكانت لقطاته الرائعة مع فريق باريس سان جرمان، وإسهاماته في الدوري الفرنسي هي طريقه الأول نحو العالمية، حيث انتقل لبرشلونة في عام 2003 وقاد نهضة برشلونة الحقيقية، قبل أن يُسلم الراية لليونيل ميسي، بعد أن حقق لقب دوري الأبطال عام 2006، إضافة إلى الفوز بلقب الدوري الإسباني مرتين على التوالي. وفي عام 2008 اختار رونالدينيو الرحيل إلى ميلان وخوض مغامرة صعبة في الدوري الإيطالي المعروف بحصونه الدفاعية، لكن الساحر لم يتوقف عن الإبهار، وسجل 20 هدفا بقميص الروسونيري، كما حقق معه لقب الدوري الإيطالي عام 2011.

وفي سن الواحدة والثلاثين قرر رونالدينيو أن يعود إلى البرازيل وقام بارتداء قمصان أندية فلامينغو، أتلتيكو مينيرو الذي فاز معه ببطولة كوبا ليبرتادورس عام 2013، فلومينينزي إضافة إلى لعبه لفترة قصيرة مع فريق كويريتارو المكسيكي.

ومنذ عام 2015 لم يلامس النجم البرازيلي كرة القدم بصورة رسمية، ولكنه لم يعلن الاعتزال، حتى جاء الوقت الذي كان عليه أن يعلن قراره بوضوح، وكأنه لا يطيق فراقا، ولا يجرأ على أن يقولها، بعد قصة عشق طويلة مع الكرة ومع تقديم المتعة للجماهير في كل مكان. وعلى صعيد الجوائز الفردية، فاز رونالدينيو بجائزة (فيفا) كأفضل لاعب في العالم لعامي 2004 و2005، إضافة إلى الفوز بجائزة الكرة الذهبية عام 2005، والعشرات من الجوائز الأخرى المميزة مع المنتخب البرازيلي أو مع الأندية التي شارك فيها.

سحر الأداء

ابتسامته كانت الأشهر وسحر أدائه الكروي ذاع صيته أيضا، هذا هو اللاعب البرازيلي رونالدينيو الذي دشن الحقبة الذهبية لنادي برشلونة الإسباني وكان الأب الروحي للنجم الأرجنتيني ليونيل ميسي. وقال نادي برشلونة، الذي شهد أكثر فترات النجم البرازيلي تألقا في عالم كرة القدم، عبر حسابه الرسمي على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر"، "رونالدينيو، ابتسامة كرة القدم، سحر كامب نو، نشكرك على كل شيء".

وجاءت تغريدة النادي الملكي على خلفية إعلان روبرتو أسيس موريرا، شقيق ووكيل أعمال رونالدينيو، مساء الثلاثاء اعتزال الأخير نهائيا بعدما وصل إلى الـ37 من العمر. وكان برشلونة هو أبرز الأندية التي لعب لها رونالدينيو عبر مسيرته الطويلة، رغم النهاية المريرة لعلاقته الرائعة بهذا النادي بعد خمس سنوات قضاها بين جدرانه.

ومع وصول لاعب الوسط رونالدينيو غاوتشو في العام 2003 إلى صفوف برشلونة بدأت الحقبة الأكثر نجاحا في تاريخ النادي الإسباني، كما تزامن رحيله عن الفريق مع بداية بزوغ نجم ميسي وانطلاقة الفريق التاريخية مع المدرب الإسباني بيب غواردیولا.

وفاز النجم البرازيلي مع برشلونة بلقبين في الدوري الإسباني عامي 2005 و2006 ولقب وحيد في دوري أبطال أوروبا عام 2006 وكان النجم الأبرز داخل هذا الفريق بقيادة المدير الفني الهولندي فرانك ريكارد. وكان أكثر ما يميز رونالدينيو هو طريقة لعبه المرحة والجميلة وقدرته على مراوغة الخصوم، بالإضافة إلى شعره المجعد واحتفاله المميز بالأهداف برفع إصبعيه السبابة والإبهام مع ابتسامه هي الأكثر إثارة للانتباه.

وقال لويس أنريكي المدير الفني السابق لبرشلونة، في العام الماضي، "رونالدينيو كان أحد أبرز اللاعبين الكبار في نشر الفرحة وكان أكثرهم استمتاعا بكرة القدم في الوقت الذي لم يكن يعرف الفرح طريقه إلى هذا النادي".

وداخل الملعب قدم رونالدينيو دعما كبيرا للاعب الصاعد ليونيل ميسي عندما كان يخطو أولى خطواته في عالم كرة القدم.

وكان النجم الأرجنتيني يحتفل بأهدافه مع زميله البرازيلي، وكان هدف ميسي الأول في الدوري الإسباني مثالا صارخا يدلل على مدى ارتباط النجمين ببعضهما البعض، فقد حمل رونالدينيو الفتى الصاعد على ظهره بعد أول أهدافه الرسمية والذي كان في مرمى الباسيتي.

وفي ذلك اليوم تحديدا بدأ تاريخ جديد لكرة القدم، وقال رونالدينيو بعد سنوات من ذلك الهدف "الهدف الأول لميسي كان من صناعتي وهذا أمر يروق لي كثيرا، هناك ظهر الوحش، هناك بدأ كل شيء".

ورغم أنه تحول إلى إحدى أيقونات برشلونة بفضل أدائه الأسطوري، كذلك الذي قدمه في المباراة التي فاز بها النادي الكتالوني بثلاثية نظيفة على غريمه التاريخي ريال مدريد في نوفمبر 2005، بدأ نجم رونالدينيو في الأفول خلال الفترة الأخيرة من حقبته في إسبانيا بسبب تراجع مستواه داخل الملعب وحياته غير المنضبطة خارجه. وكان تراجع المستوى البدني لرونالدينيو يسير بالتوازي مع تعدد حفلاته الشاطئية وسهراته الليلية في تلك الفترة.

وبعد وصول غواردیولا إلى مقعد المدير الفني لبرشلونة أعلن أن رونالدينيو ليس من ضمن حساباته خلال فترة إعادة بناء الفريق، كما اتهمه بجانب اللاعب البرتغالي ديكو بالتسبب في ضياع الحماس والرغبة في تحقيق الانتصارات داخل النادي.

ولم يتوقف رونالدينيو عن إظهار عبقريته وسحره بعد الرحيل عن برشلونة، وشهدت السنوات الثلاث التي قضاها مع إنتر ميلان تألقه بشكل كبير، ولكنه لم يتخل مع وصوله للنادي الإيطالي عن عشقه للرقص والسهرات الليلية. وأحدث رونالدينيو أثره الكبير أيضا في بطولة كأس العالم بكوريا واليابان 2002، التي توج بلقبها مع منتخب البرازيل الذي كان أحد أضلاع مثلثه الهجومي الرائع بجانب الظاهرة رونالدو والنجم الكبير ريفالدو.

مسيرة ناجحة

دوّن رونالدينيو اسمه في السجل التاريخي لبطولات كأس العالم بفضل الهدف الرائع الذي سجله في شباك إنكلترا عام 2002 من ركلة حرة مباشرة من مسافة بعيدة باغت بها الحارس الإنكليزي ديفيد سيمان.

وخاض أيضا منافسات كأس العالم 2006 في ألمانيا التي تزامنت مع أفضل فترات تألقه كلاعب كرة قدم، ولكن البرازيل ودعت تلك النسخة من البطولة مبكرا في دور الثمانية على يد فرنسا دون أن تسنح فرصة للاعب المخضرم بالتألق على أرضية الملعب.

وعاد رونالدينيو مرة أخرى للدوري البرازيلي في 2011 ولعب لصالح أندية فلامينغو وأتلتيكو مينيرو وفلومينسي حتى العام 2015، كما قضى فترة قصيرة أيضا في الكرة المكسيكية لاعبا بنادي كويريتارو في موسم 2014–2015.

وبدأت المسيرة الناجحة للنجم البرازيلي السابق عندما كان يبلغ من العمر 17 عاما بين صفوف نادي جريميو الذي يتخذ مدينة بورتو أليجري البرازيلية، مسقط رأس رونالدينيو، مقرا له. ويعيش رونالدينيو منذ فترة طويلة كلاعب كرة قدم متقاعد، مستمتعا بتقديم سحره الخاص على شواطئ ريو دي جانيرو أو من خلال المباريات الاستعراضية.

ولم يخرج رونالدينيو من بؤرة الجدل حتى بعد ابتعاده عن ممارسة كرة القدم بشكل رسمي، فقد أثار سخط العديد من مواطني بلاده في الفترة الأخيرة بزياراته للشيشان والتقاطه صورا مع الزعيم الشيشاني رامزان قاديروف. ودخل رونالدو دي اسيس موريرا أو رونالدينيو، كما يحب أن يلقب، إلى تاريخ الكرة البرازيلية كأحد أفضل لاعبيها على مر التاريخ، رغم الآراء التي كانت تؤكد أنه كان قادرا على تقديم ما هو أكبر من ذلك.

وقال رونالدينيو في حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي بعد 48 ساعة على الكشف عن قرار الاعتزال على لسان شقيقه ومدير أعماله روبرتو أسيس "بعد ثلاثة عقود مكرسة لكرة القدم، أقول وداعا لأعظم أحلامي، لقد تحقق الحلم". وردد ما قاله أسطورة ريال مدريد الإسباني ألفريد دي ستيفانو الذي توفي عام 2014، متوجها إلى الكرة بالقول "شكرا أيتها العجوز لأنك كنت مصدر إلهامي طيلة هذه الفترة ورفيقتي في كل هذه الانتصارات".

وتابع "شكرا إلهي على هذه الحياة التي أعطيتني إياها، على عائلتي، أصدقائي و... هذه المهنة الأولى"، في إشارة إلى كرة القدم. وأشار رونالدينيو في رسالته إلى "أن الأشخاص الذين يعرفونني، يعلمون مدى خجلي وبأني لست معتادا على الحديث كثيرا، لكني أريد أن أشكر بكل جوارحي كل الذين ساعدوني على القيام بأعز شيء لي".

وحرص عدد من نجوم كرة القدم العالمية على توديع الأسطورة وساحر كرة القدم البرازيلي رونالدينيو، بعدما أعلن شقيقه روبرتو دى أسيس عن اعتزاله الساحرة المستديرة بشكل نهائي، بعد مسيرة حافلة من العطاء والإمتاع الكروي.

واتخذ نجوم الكرة العالمية من موقع التواصل الاجتماعي وسيلة لوداع رونالدينيو، مثل ميسي أسطورة برشلونة ومنتخب الأرجنتين الذي زامل رونالدينيو طوال 4 مواسم في صفوف البارسا، والذي نشر صورة تجمعهما، وعلق عليها قائلا "كما قلت دائما.. تعلمت منك الكثير وسأكون دائما ممتنا لك لما فعلته معي عندما وصلت إلى غرفة خلع الملابس لأول مرة كلاعب صغير في برشلونة".

> لقطاته الرائعة مع فريق باريس سان جرمان وإسهاماته في الدوري الفرنسي كانت هي طريق الساحر البرازيلي الأول نحو العالمية، حيث انتقل لبرشلونة في عام 2003 وقاد نهضة برشلونة الحقيقية

وتابع ميسي قائلا "أنا سعيد لأنني تقاسمت الكثير من اللحظات الرائعة معك. كم أنا محظوظ لذلك.. كما كنت لاعب كرة قدم أسطوري كنت شخصا رائعا أيضا.. حتى لو كنت قد قررت الرحيل فكرة القدم لن تنسى مطلقا ابتسامتك الجميلة.. حظا سعيدا لك يا صديقي".

وداع الأساطير

من جانبه قال الملك بيليه "أنت جلبت الابتسامة إلى وجوه الجميع.. من المستحيل أن يحب أحد كرة القدم دون أن يكون من مشجعيك وعشاقك.. شكرا لك على ما أمتعتنا به من فنون كروية رائعة.. أتمنى لك أن تجد سهولة في حياتك كما كنت تجد سهولة في استعراض مهاراتك الكروية".

وحرص المدرب بيب غواردیولا المدير الفني الحالي لمانشستر سيتي الإنكليزي والسابق لبرشلونة الإسباني على توديع رونالدينيو نجم البرسا السابق بكلمات مؤثرة.

وكان الدولي البرازيلي الأسبق قد أعلن اعتزاله كرة القدم بشكل رسمي منذ أيام قليلة. صاحب الـ47 عاما كتب عبر حسابه الموثق على تويتر "لاعب كرة قدم فريد من نوعه، موهوب، ساحر، سعيد وشخص جيد". وأضاف "واحد من أفضل اللاعبين كرة القدم عبر التاريخ".

ولم يقتصر الأمر على زملاء رونالدينيو في الفريق أو مواطنيه، حيث نشر واين روني نجم الكرة الإنكليزية صورة له مع الساحر رونالدينيو، وعلق عليها قائلا "لقد كان شرفا كبيرا لي أن أكون في ملعب واحد مع أسطورة مثلك".

وعلى غرار واين روني قال مواطنه ديفيد بيكهام نجم مانشستر يونايتد وريال مدريد السابق، الذي لعب كثيرا في مواجهات كلاسيكو الأرض أمام ساحر رونالدينيو، قبل أن يزامله في صفوف ميلان "أهلا بك في عالم الاعتزال يا صديقي.. كنت سعيدا جدا لأني لعبت معك وضدك وأن أرى شخصا كان مبتسما دائما يفعل كل ما يحبه".

فاز رونالدينيو بجائزة (فيفا) كأفضل لاعب في العالم لعامي 2004 و2005، إضافة إلى الفوز بجائزة الكرة الذهبية عام 2005 والعشرات من الجوائز الأخرى المميزة مع المنتخب البرازيلي أو مع الأندية التي شارك فيها

منعرج التنافس بين فرق الصدارة يحتدم في الدوري الإنكليزي

يونايتد يحقق المطلوب، رباعية لأرسنال وتشيلسي يعود إلى سكة الانتصارات

شددت فرق الصدارة ملاحقتها لمتصدر الدوري الإنكليزي مانشستر سيتي بعد تحقيقها لانتصارات مهمة تؤشر على أن التنافس بات محموما أكثر ككل الأعوام.

❑ **لندن** – حقق مانشستر يونايتد الثاني المطلوب بفوزه بصعوبة على مضيفه بيرنلي 0-1، وعاد تشيلسي حامل اللقب إلى سكة الانتصارات بفوز كاسح على مضيفه برايتون برباعية نظيفة السبت ضمن المرحلة الرابعة والعشرين من الدوري الإنكليزي لكرة القدم.

وسجل الفرنسي أنطوني مارسيال هدف يونايتد رافعا رصيد فريقه إلى 53 نقطة، مقلصا الفارق إلى 9 نقاط فقط مع مانشستر سيتي المتصدر الذي يستضيف نيوكاسل. وكان الفارق بين قطبي مانشستر وصل قبل أسابيع إلى 15 نقطة.

واستعاد تشيلسي مؤقتا المركز الثالث من ليفربول الذي يحل ضيفا على سوانسي سيتي الاثنين في ختام المرحلة بعد أن رفع رصيده إلى 50 نقطة.

وجاء فوز تشيلسي بقيادة المدرب الإيطالي أنطونيو كونتي بعد تعادلين في المرحلتين الأخيرتين مع أرسنال 2-2 وليستر سيتي سلبا.

كما أنه الفوز الأول له منذ 30 ديسمبر، واضعا حدا لسلسلة من خمس مباريات من دون انتصارات في جميع المسابقات.

وافتقد حامل اللقب المهاجمان الإسبانيان ألفارو موراتا وبيدرو رودريغيز بسبب الإيقاف الناجم عن طردهما الخميس ضد نوريتش سيتي في مباراة معادة من مسابقة الكأس (فاز تشيلسي بركلات الترجيح).

> أرسنال اكتسح ضيفه كريستال بالاس بأربعة أهداف مقابل هدف سجلها جميعها في الدقائق الأولى في غياب مهاجمه التشيلي أليكسيس سانشيز

وبدأ تشيلسي المباراة بقوة وسجل هدفين مبكرين عبر البلجيكي إدين هازارد والبرازيلي وليان ليحسم النتيجة بسرعة أمام فريق متواضع صعد هذا الموسم إلى الدرجة الممتازة ويحتل المركز السادس عشر في الترتيب.

وأضاف البلجيكي الهدف الثالث بمجهود فردي رائع والنيجيري فيكتور موزس الرابع.

وهو الهدف رقم 64 لهازارد (27 عاما) مع تشيلسي منذ انضمامه إليه في 2012 من ليل الفرنسي، والسادس له في الدوري هذا الموسم. وقال البلجيكي "إنه عملي (تسجيل الأهداف)، ولذلك أحب لعب كرة القدم".

وغادر حامل اللقب تشيلسي ملعب "أميكس" ستاديوم حاملا 3 نقاط جديدة في رصيده وارتقى مؤقتا للمركز الثالث بفارق الأهداف وراء الثاني مانشستر يونايتد، أما برايتون فتجمّد رصيده عند 23 نقطة في المركز السادس عشر.

وغاب عن صفوف تشيلسي الحارس البلجيكي تيبو كورتوا بسبب الإصابة، فلعب مكانه الأرجنتيني ويلي كاباييرو، كما افتقد الفريق لخدمات مهاجمه الإسباني ألفارو موراتا ومواطنه الجناح بيدرو رودريغيز بعد طردهما في المباراة الأخيرة أمام نوريتش سيتي بمسابقة كأس إنكلترا، وحصل البلجيكي ميتشي باتشواي على فرصة نادرة للمشاركة أساسيا.

أما برايتون، فافتقد لخدمات جناحه أنتوني نوكارت، مقابل عودة كل من إيزيكيل سكوليتو وماركوس سوتنر وسولي مارتش وكونور غولدسون إلى التشكيلة الأساسية.

وافتتح تشيلسي التسجيل مبكّرا، عندما مرّر الظهير الأيمن فكتور موسيس كرة نحو منطقة الجزاء حاول الدفاع قطعها، لكنها وصلت إلى هازارد الذي سدّد بيمينه في قلب الشباك بالدقيقة الثالثة، وبعدها بثلاث دقائق، أضاف ويليان الهدف الثاني بعد لعبة مشتركة مرّر على إثرها باتشواي الكرة بحركة خلفيّة جميلة إلى اللاعب البرازيلي الذي دكّها في المرمى.

وتمكن هازارد من تسجيل هدفين وبهذا وصل صانع الألعاب البلجيكي إلى الهدف رقم 101 له، في مشاركاته ببطولات الدوري المحلية، خلال مسيرته الكروية حتى الآن.

وسجل هازارد، هدفه رقم 65 مع تشيلسي في الدوري الإنكليزي الممتاز، وذلك بعد أن أحرز 36 هدفا مع فريقه السابق ليل في الدوري الفرنسي.

وطالب جمهور برايتون بركلة جزاء لمصلحة فريقه بعد تعرّض سكوليتو للعرقلة من قبل الحارس كاباييرو لكن الحكم لم يحتسب شيئا، ومرّر هازارد الكرة إلى ويليان الذي حوّلها باتجاه المرمى، بيد أن الحارس ماثيو رايان كان لها بالمرصاد. وعاد رايان لينقذ محاولة جديدة من باتشواي، وتألق كاباييرو في إبعاد كرة رأسية خطيرة من لاعب برايتون تامر هامید إثر عرضية من زميله باسكال جروس، ومرّت رأسية شابن دوفي بجانب مرمى تشيلسي، ثم طالب جمهور الفريق المضيف مرة أخرى بركلة جزاء إثر تعرض سكوليتو للعرقلة من قبل تيموس باكايوكو، إلا أن الحكم لم يحرّك ساكنا.

راحة نسبية بفضل هازارد

وبدأ برايتون الشوط الثاني محاولا تقليص الفارق، واقترب من ذلك فيما اصطدمت رأسية دافي بروبر بالقائم إثر عرضيّة مميّزة من جروس، ورد تشيلسي بركلة حرة نفذها ويليان وتصدّى لها رايان قبل أن تصطدم هي الأخرى بالقائم، وكاد سكوليتو يفتتح رصيد برايتون عندما انقض على كرة أمام المرمى رغم مضايقة المدافع الألماني أنتوني رودیغير، إلا أن كاباييرو لعب دور البطل مجدّدا.

وقضى هازارد على آمال برايتون في العودة، بإحرازه الهدف الثالث بعد تمريرة من ويليان، ثم ترك موسيس بصمته على أحدث اللقاء بالهدف الرابع عندما تلقى كرة عالية من فوق دفاع برايتون، من البديل تشارلي موسوندا، ليستقبلها ثم يسددها من اللمسة الثانية في الشباك.

واكتسح أرسنال ضيفه كريستال بالاس بأربعة أهداف مقابل هدف سجلها جميعها في الدقائق الأولى بغياب مهاجمه التشيلي أليكسيس سانشيز.

وسجل لأرسنال الإسباني ناتشو مونريال والنيجيري أليكس أيوبي والفرنسيان لوران كوسييلني وألكسندر لاكازيت، قبل أن يقلص بالاس الفارق عبر الصربي لوكا ميليفوييفيتش.

وأبقى مدرب أرسنال الفرنسي أرسين فينغر مهاجمه سانشيز خارج تشكيلة فريقه للمباراة الثانية على التوالي مع اقتراب انتقاله إلى مانشستر يونايتد الذي قد يحصل في صفقة تبادلية مع لاعب الأخير الأرمني هنريك مخيتاريان.

وينتهي عقد سانشيز مع أرسنال في نهاية يونيو المقبل، وهو رفض تجديده. وأشارت التقارير إلى أن فينغر كان يدرس جديا الجمعة اختيار سانشيز ضمن قائمة الفريق لمواجهة كريستال بالاس مع احتمال تركه على مقاعد البدلاء، لكنه عاد وأبقاه مجددا خارج التشكيلة. وسيصبح المهاجم التشيلي الأعلى راتبا في الدوري الإنكليزي الممتاز في حال انتقاله إلى مانشستر يونايتد.

وفاز ستوك سيتي على ضيفه هادرسفيلد بهدفين للويلزي جو الن والسنغالي مامي بيرام ديوف، وليستر سيتي على ضيفه واتفورد بهدفين لجيمي فاردي (39 من ركلة جزاء) والجزائري رياض محرز.

وتعادل إيفرتون مع ضيفه وست بروميتش ألبيون بهدف للسنغالي باي عمر نياسي مقابل هدف لجاي رودريغيز، ووست هام يونايتد مع ضيفه بورنموث بهدف للمكسيكي خافيير هرنانديز مقابل هدف للاسكتلندي راين فرايزر. وتستكمل المرحلة الأحد، بلقاء ساوثهامبتون مع توتنهام.

طلقات متتالية صوب نمر متمرد

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ هو موسم سيء آخر سيعيشه بوروسيا دورتموند. كل المؤشرات تدل على ذلك. هناك فوضى وحالة من الإحباط بدأت تسود منذ الجولات الأولى في الدوري الألماني، قبل أن يتأكد هذا الأمر في منافسات دوري الأبطال التي غادرها الفريق من الباب الضيق.

لم يعد بالمقدور الإصلاح والنهوض بسرعة للمراهنة بقوة على لقب الدوري المحلي الذي بات محسوما بشكل كبير لفائدة بايرن ميونيخ، رغم أن المؤشرات الأولى لهذا الدوري منحت الأفضلية لدورتموند وساعدته من أجل قيادة "القافلة"، لكن ثمة لخبطة عبثت بالمكان وبعثرت كل مخططات الفريق الأصفر الذي بات يحتل حاليا المركز الثالث بفارق كبير عن البارين المتصدر.

مشاكل عديدة عانى منها هذا الفريق، وكانت قد دفعته سابقا إلى إقالة مدربه بيتر بوش وتعيين مدرب جديد في منتصف هذا الموسم، لكن الوضع لم يتغير والنتائج السلبية رافقت الفريق في أغلب مبارياته المحلية مؤخرا.

ضاع الأمل وانعدمت الثقة في قدرة بوروسيا على الخروج ببعض المكاسب الجيدة في نهاية الموسم. فقد ودع دوري الأبطال مبكرا وخرج أيضا من سباق كأس ألمانيا، أما في منافسات الدوري، فإن المعجزة لوحدها قد تعيده إلى الواجهة من جديد.

لكن كل هذه المعطيات قد تبدو لدى محبي الفريق عادية ومنتظرة وقد تحصل مع أي فريق آخر، ولا يمكن أن تساوي بالمرة انقطاع السبل بين النادي وابنه المدلل بيير إيميرك أوباميانغ.

ربما وصلت العلاقة بين الطرفين إلى نهايتها، وباتت مسألة خروج هذا الفتى الضال مسألة وقت لا غير. في الأيام الأخيرة لا حديث في الصحف الرياضية الألمانية سوى عن تمرد أوباميانغ وخروجه من الحسابات تمهيدا لمغادرة واردة بشدة خلال الميركاتو الشتوي نحو وجهة أخرى بعيدا عن "البوندسليغا".

كل الصحف أجمعت على أن هذا النمر الغابوني تمرد على فريقه ولم يعد راغبا في إطالة إقامته في دورتموند.

تم تناول هذا الموضوع بشكل كبير للغاية في الصحف، وخصصت هذه الصحف مساحات كبيرة لتحليل هذا التغير المفاجئ في علاقة اللاعب بناديه، لتخلص في نهاية المطاف إلى أن النمر المتمرد مذنب بسبب تصرفاته غير المقبولة في المدة الأخيرة.

فأوباميانغ، حسب تفسيرات المتابعين لأخبار بوروسيا، بدأ تمرده منذ أيام حيث لم يعد متحمسا للتدرب بشكل جدي مع بقية زملائه، الأمر الذي دفع مدربه لإبعاده عن بعض المباريات، عله يثوب إلى رشده ويعود إلى الجادة.

لكن بيير واصل تجاهل هذه العقوبات، وبدا وكأنه لم يعد مهتما بالمرة بما سيحصل له بعد ذلك، ليصل به الأمر إلى غاية تجاهل مباراة فريقه الأخيرة ضد هيرتا برلين مفضلا المشاركة في مباراة استعراضية مع أصدقائه في نفس اليوم وهو يرتدي قميص زميله السابق في بوروسيا الفرنسي عثمان ديمبيلي لاعب برشلونة حاليا.

هذا التصرف أثار حنق الجميع في ألمانيا، فاتجهت "كل النيران" صوب هذا النمر المتمرد، فالكل يتّهم أوباميانغ بالتهور وعدم احترام ناديه وأيضا بالصبيانية.

أصابع الاتهام وجّهت بشكل كبير تجاه اللاعب الغابوني، وبات كأنه "الشيطان" الذي ساهم في زعزعة أركان بيت دورتموند، ولعل التصريح الأخير لزميله في الفريق آندريه شورله يؤكد هذا المعطى، حيث أشار شورله إلى أن الاهتمام المتزايد بمشكلة بيير أفقد الفريق تركيزه وساهم في خلق أجواء متوترة، مشيرا إلى أنه ليس من السهل التركيز على كرة القدم والحال أن هناك مشكلة خارجة كبيرة أحدثت اضطرابا كبيرا لكن لم يتم بعد تجاوزها.

اليوم تحول أوباميانغ من هداف شاطر وبطل أوحد في دورتموند إلى لاعب مارق عن النظام، أو لنقل إلى نمر متمرد يريد اختراق الأسوار العالية والتنكر إلى النادي الذي وفر له سابقا كل ممهدات النجاح والتألق.

لكن ماذا عن الطرف المقابل؟، ماذا يريد أوبا؟، هل سئم فعلا البقاء في قلعة الفريق الأصفر وينشد خوض تجربة جديدة؟

الأمر لا يحتاج إلى اجتهاد كبير، فأوباميانغ أدرك منذ فترة أنه لن يحقق عدة مكاسب جديدة مع فريقه الحالي، كان في قرارة ذاته يعلم جيدا أنه قادر على اللعب لفائدة فريق أقوى وأكثر طموحا مقارنة ببوروسيا دورتموند، ولعل اهتمام ريال مدريد الجدي به في وقت سابق وكذلك بعض الأندية الإنكليزية، جعل هذه الرغبة في الخروج من المعسكر الألماني تكبر يوما بعد يوم.

كان النمر المتمرد يأمل منذ الصائفة في خوض تجربة جديدة، لكن من سوء حظه أن كل العروض المقدمة له لم تكن مرضية ولا تستجيب لطموحاته، فقرر البقاء لموسم إضافي وانتظار نهاية الموسم الحالي، لكن مع تقدم منافسات هذا الموسم شعر بيير بانتكاسة، فكل أهدافه الأوروبية والمحلية لن تتحقق بعد تدهور نتائج الفريق.

لذلك استبق الأحداث ولم يعد قادرا على الصبر إلى الصائفة القادمة، وربما جنح إلى افتعال هذه الأزمة خاصة وأنه تلقى عروضا جدية في الآونة الأخيرة أبرزها جاء من أرسنال الإنكليزي الذي يرغب بكل السبل في ضم المهاجم الغابوني تمهيدا لتعويض مهاجمه التشيلي أليكس سانشيز القريب للغاية من التوقيع لفائدة مانشستر يونايتد.

انتهى شهر العسل المطول بين بيير وبوروسيا، وإجراءات "الطلاق" ربما استوجبت من هذا النمر الأسمر أن يتمرد حتى يغلق نهائيا كل باب للصلح.

عواد: جاهز لتمثيل الفراعنة بالمونديال

عماد أنور

❑ **القاهرة** – برز الحارس محمد عواد كعنصر أساسي في ارتقاء فريقه الإسماعيلي إلى الصدارة وإعادة الهيبة للفريق المصري الملقب "بالدراويش" بعد تراجع دام سنوات، ما دفع خبراء للمطالبة بضمه إلى كتيبة المنتخب المشاركة في كأس العالم.

وبسبب المستوى المرتفع الذي قدمه عواد في الذود عن مرماه، كان مطمعا لقطبي الكرة المصرية، الأهلي والزمالك، وترددت أنباء عن رغبة مسؤولي الناديين في التعاقد معه، لكن حارس الإسماعيلي أكد في حواره مع "العرب"، أنه ليس لديه أي دافع للرحيل عن ناديه، لا سيما وأنه يظل أحد الأندية الجماهيرية والشعبية في مصر.

ويعتبر مركز حراسة مرمى منتخب الفراعنة قاصرا على حراس فريقي الأهلي والزمالك، إلا باستثناءات نادرة جدا لحراس من الأندية الأخرى يتواجدون على مقاعد البدلاء إذا تم ضمهم إلى المنتخب، وهو ما يدفع الكثير منهم إلى الانضمام إلى أحد قطبي الكرة المصرية. لكن حارس الإسماعيلي أوضح أنه يؤدي ما عليه كي يحقق طموحات جماهير الإسماعيلي، وهذا ما سيؤهله للانضمام إلى منتخب مصر، لافتا إلى أنه يحلم بالمشاركة في المونديال، وهو حلم يتمناه أي لاعب في العالم.

وطالب خبراء وجماهير بضم عواد إلى معسكر الإعداد الذي يخوضه منتخب مصر في مارس المقبل، استعدادا لمنافسات المونديال الذي سينطلق في 15 من يوليو من العام الجاري، لا سيما وأن مستوى هذا الحارس دفع مدرب المنتخب الأرجنتيني هيكتور كوبر وجهازه المعاون إلى اختياره ضمن المعسكر الخاص بمباراة غانا بالتصفيات الأفريقية المؤهلة للمونديال في نوفمبر الماضي.

وفي هذا الإطار لفت عواد إلى أن هناك صعوبة تواجه أي لاعب من خارج الأهلي أو الزمالك، في الانضمام إلى منتخب الفراعنة، وبالأخص حارس المرمى لأنه مطالب بالصبر والالتزام داخل الملعب، بل والتركيز وعدم تشتيت تفكيره في مثل هذه الأمور، كي يلفت الأنظار إليه.

وأشار حارس الإسماعيلي إلى أن الجهاز الفني للمنتخب يتعامل مع الجميع سواسية دون التفرقة بين لاعب ولاعب آخر.

مستعد لخوض التحدي

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

جمعية بريطانية تفتح أبواب الشهرة للفنانين المهمشين

جمعية بريطانية تضع الفنانين المهمشين على طريق الشهرة عبر مساعدتهم على عرض أعمالهم الفنية بكبرى دور المزادات وإنشاء مواقع إلكترونية تدعمهم في معاملاتهم مع محبي الفن والراغبين في التواصل معهم عن كثب.

الانطلاق نحو العالمية

❑ **لندن** – تساعد جمعية بريطانية فنانين مهمشين يعيشون ظروفا حياتية أو صحية صعبة على تحقيق الشهرة خصوصا من خلال عرض أعمالهم لدى كبرى دور المزادات، في مسعى لإحداث تغيير في المشهد الفني.

واستحالت "آوتسايد إن" التي أنشئت في صالة عرض بالانت هاوس في جنوب إنكلترا قبل 10 سنوات ونيف، جمعية مستقلة تدعم راهنا أكثر من 2600 فنان.

وعرضت هذه الجمعية، في يناير الحالي، أعمال نحو 30 منهم في قاعة دار سوذبيز الشهيرة للمزادات.

وقال مارك ستين مدير الجمعية، إن "آوتسايد إن تساعد الفنانين الذين يواجهون صعوبات في مجال عملهم. وقد تكون المشكلة اضطرابا عقليا أو إعاقة أو مشكلة صحية أو ظروفا مالية صعبة".

وتابع ستين من مكاتب سوذبيز "ترون في هذا المعرض أعمالا نابعة من القلب دون تكلف يحاول أصحابها أحيانا تخطي صعوباتهم من خلالها"، مشيرا إلى أن "الرابط بين هؤلاء الفنانين وأعمالهم قوي جدا".

ومن بين هذه اللوحات رسم بالأبيض والأسود لامرأة عارية تجلس وهي تحمل هاتفا ذكيا من توقيع دانييل هودسون. وتخبر هذه الإنكليزية البالغة من العمر 37 عاما وتعيش في لندن منذ 20 عاما "أرسم الكثير من البورتريهات بالفطرة وبعفوية كبيرة". وتتمحور أعمالها دوما حول الحرية "وقد يكون مرد ذلك تجربتي الشخصية".

وسمعت هودسون عن هذه الجمعية في العام 2008 عندما كانت "تخربش" على جدران زنزانة في السجن. وهي تروي "عندما تكونون في السجن.. ما من رابط بينكم وبين العالم الخارجي. ومن الصعب جدا إيجاد صالة عرض لأعمالنا من دون تدريب خاص أو خبرة في هذا المجال".

وقد فازت هودسون في مسابقة من تنظيم آوتسايد إن. وعند خروجها من السجن عرضت أعمالها للمرة الأولى.

وأقرت الشابة الثلاثينية التي باتت تخصص كل وقتها للرسم بفرح كبير "كنت أقوم بأمر يحلو لي وأتلقى مالا في المقابل".

وقد فتحت آوتسايد إن أبواب الشهرة لفنانين مثل ألبرت الذي عرضت أعماله للمرة الأولى سنة 2009 والذي باتت لوحاته اليوم "ضمن مجموعات فنية عريقة مثل مجموعة إيه بي سي دي/برونو ديشارم في باريس" التي تجمع قطعا من الفن الخام.

وهي أيضا حال مانويل بونيفاسيو (70 عاما) الذي يقصد صباحا مركزا للبالغين الذين يعانون من صعوبات في التعلم حيث يصنع بغزارة رسومات ولوحات زيتية وفخاريات.

وأكد ستين "أن أعماله صارت اليوم ضمن مجموعة آر بروت (الفن الخام) في لوزان السويسرية لأننا عرضناها في صالات مهمة".

وتساعد هذه الجمعية الفنانين على عرض أعمالهم وإنشاء موقع إلكتروني وتدعمهم في معاملاتهم. وشدد ستين الذي خاض أيضا مجال الفن على أن "خطر الاستغلال كبير جدا وهم قد لا يدركون القيمة الفعلية لأعمالهم".

وأضاف "ما نحاول القيام به في آوتساید إن هو تغيير المشهد وتوسيع الآفاق". وتختلف الأساليب المعتمدة باختلاف الفنانين، لكن هودسون تجد "لديهم جميعهم هذا العزم على مزاولة الفن بالرغم من الصعوبات".

صباح العرب

عدلي صادق

حنكة الراقصة ومأزق السياسي

❑ كثيرة هي الفقرات الجديرة بالاستعادة من قصة "الراقصة والسياسي" لإحسان عبدالقدوس.

كان السياسي يتعفف عن لقاء مشهود في المقهى، بينما الراقصة تُلح في طلب حديث رائق أمام الناس، ويجيب هو من طرف لسانه مترفعا عن النظر إلى وجهها، ويُلح بدوه في طلب اللقاء الخاص. وفي مواجهة عنادها، صارحها بأن جلوس الراقصة من السياسي يشوّه سمعته، بينما هو يحرق دمه من أجل إسعاد الناس، فتستفز وتصارحه بأنهما كلاهما يرقصان. هي بجسدها وهو بلسانه، وتزيد قائلة "وأنا أفعل الشيء نفسه، إذ أُسعد الناس وأرتفع بهم فوق متاعبهم وأنعش مخيلاتهم، بينما حضرتك تسعدهم بالوعود".

وأردفت قائلة "بالمحصلة كلانا يرتفع بهم فوق الواقع المُضني، ولكن الجماهير تثق بالراقصة أكثر مما تثق بالسياسي، لأن الراقصة تقدم ما لا يحتمل الكذب ولا الخديعة والتضليل، وإنما تقدم صورة يُمكن قبولها أو رفضها، أما السياسي فإن وعوده تحتمل الكذب دائما". استشاط السياسي غضبا، وقال حانقا "والله عال يكفي أن ترقصي ساعة لتقارني نفسك بسياسي مثلي أنا الذي يحرق دمه لكي يخدم الناس". فترد من فورها منحازة إلى مهنتها "الرقص ليس مجرد الساعة التي أرقص فيها، فأنا أيضا أحرق نفسي لإعداد الرقصة.. تجديد اللحن، اختيار الثوب وألوانه، تماما مثل السياسي الناجح الذي يقضي أياما في ترتيب أفكاره وإعداد خطابه، والتهيؤ للمناسبة، وتحضير الأنصار، فهو يجتهد في الإعداد لرقصته قبل أن يبدأ الرقص بلسانه".

انهالت لكمات الراقصة على السياسي، وكان التذكير بأن لعبة الرقص بلسانه تصل به إلى العُري، لأنه سيضطر إلى الكشف طوعا عن بعض حيثياته، وإن لم يفعل فإن خصومه سيتكفلون بكشف كل الحيثيات، عن عائلته وممتلكاته وتصرفاته، أما هي كراقصة، فإن تخصصها لا يفرض عليها أن تظهر عارية، فما تكشف عنه يكفي.

يرد السياسي "إن ما تكشفينه يكفي للإثارة". فتجيب بحنكة يخترعها إحسان عبدالقدوس للراقصة "ما هي الإثارة؟ إنها إطلاق الأحلام.. أحلام الجنس وأحلام المتعة وأحلام الرخاء وأحلام الحرية.. أنت وأنا عندما نرقص نتعمد الإثارة، وصدقني إن رقصاتك أخطر، لأنك تتعمد التأثير والتخدير، كأن لسانك يضخ المخدرات على الجمهور.. وتتعمد أن يبقى مفعولها إلى أن تلتقي بجمهورك مرة ثانية لكي تسقيه جرعة أخرى. أما أنا المسكينة، فأقدم مجرد رقصة ممتعة تنتهي في دقائق، وأترك بعدها الجمهور حُرا دون أن أسعى للسيطرة عليه.

امرأة تنجب بعد موتها بعشرة أيام

❑ **بريتوريا** – تمكن جنين من الخروج من بطن أمه المتوفية منذ عشرة أيام، حيث وضعت امرأة ميتة وهي حامل في الشهر التاسع طفلها داخل تابوتها في جنوب أفريقيا، واكتشف الأمر بشكل مفاجئ خلال مراسم جنازتها.

وعثر العاملون في صالة جنازة الأم المتوفية على طفل حديث الولادة ولد من رحمها خلال مراسم الجنازة بمنطقة نومفيليسو بمقاطعة نوماسونتو مدوي في جنوب أفريقيا.

وأفاد ليندوكوهل فونديل ماكالانا، صاحب صالة الجنازة، لصحيفة تايمز لايف "لقد صدمنا ونخاف من أنه لم يكن لدينا حتى الوقت للنظر في جنس الطفل، كنت في العمل لأكثر من 20 عاما، ولم أسمع أن امرأة ميتة تلد". وتم دفن المولود والأم في تابوت كبير، وتقول العائلة إن الاكتشاف المروع كان مدمرا ومؤلما.

وقالت والدة المتوفاة إن ابنتها توفيت فجأة بعد أن واجهت "مشاكل في التنفس". وأضافت "دمرتني وفاة ابنتي المفاجئة، وتلقيت الآن صدمة حياتي عندما علمت أنها ولدت وهي ميتة بعد 10 أيام".

وأوضح الأطباء لوسائل الإعلام المحلية أنه من الوارد أن يتم طرد الجنين من جسد الأم بمساعدة الغازات، وأن ارتخاء العضلات بعد الوفاة أسهم أيضا في الولادة.

مخالفة مرورية لسيارة من الثلج

❑ **مونتريال (كندا)** – حرر رجال شرطة المرور في مدينة كندية مخالفة انتظار ضد السيارة الوهمية، تبيّن في ما بعد أنها مجسم لسيارة بالحجم الطبيعي من الجليد من صنع مواطن كندي.

ووفقا لموقع "إندي 100" البريطاني، قام سيمون لابريز بصناعة تمثال سيارة من الثلج بمدينة مونتريال الكندية، قبل أن يتلقى مخالفة مرورية تنص على ركن السيارة في مكان مخالف.

ونشر لابريز صورة للمجسم الذي صممه على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، موضحا أنه بعد تحرير المخالفة بالفعل، سرعان ما اكتشف رجال الشرطة الخدعة التي وقعوا فيها وأن السيارة ما هي إلا كميات من الجليد تم نحتها بشكل مبتكر.

وتجاوب رجال الشرطة مع مزاح لابريز بأن تركوا له ورقة على السيارة المزيّفة كتب عليها "لقد أسعدت مساءنا، هاهاها".

وقال لابريز معلقا على الحادث "لقد كان يوما جميلا، لذا قررت أن أفعل شيئا مميزا، فبدأت بنحت سيارة في أحد الشوارع القريبة من منزلي، لقد بدت سيارة حقيقية مغطاة بالثلوج". وأضاف "لقد ظنت الشرطة أنها سيارة حقيقية متوقفة في مكان خاطئ منذ عدة أيام لأنها مغطاة بالثلوج بشكل كامل، ولم تتوان عن تحرير مخالفة لهذه السيارة المزيفة. إنه أمر مثير للسخرية".

إجراء عمليات تجميل للإبل بهدف الفوز بـ31.7 مليون دولار

❑ **الرياض** – يدخل مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل قرب العاصمة السعودية الرياض مراحله الحاسمة الأسبوع المقبل مع احتدام المنافسة للفوز بأكثر من 55 مليون دولار أهمها في فئتي الجمال والسرعة، في وقت تحاول فيه السعودية تنشيط قطاعها السياحي.

وتحتضن بلدة رماح الواقعة على بعد نحو 120 كيلومترا شمال شرق العاصمة "أكبر مهرجان للإبل على مستوى العالم" في نسخته الثانية على مساحة 30 مليون متر مربع وسط الصحراء، بحسب ما يقول منظموه.

وانطلق المهرجان في اليوم الأول من يناير الحالي ويستمر حتى مفتتح فبراير المقبل، إلا أن المسابقات الأهم فيه تبلغ مراحلها الحاسمة بدءا من الأسبوع المقبل.

ويشارك في بلدة رماح نحو 26 ألف جمل في مسابقة "مزاين الإبل" التي تتوج فيها الإبل بجوائز يبلغ مجموعها نحو 31.7 مليون دولار. ووفقا للمنظمين، دفعت حدة التنافس بين ملاك الإبل بعضهم إلى محاولة إجراء عمليات تجميل للإبل لإضفاء المزيد من نقاط الجمال والفوز بمراكز متقدمة. وضبطت إدارة المهرجان أكثر من 20 حالة "عبث وغش" حتى الآن.

وينطلق الأربعاء المقبل إلى جانب مسابقة المزاين سباق الهجن ويستمر حتى نهاية المهرجان، ويبلغ مجموع جوائزه حوالي 25.3 مليون دولار، بمشاركة ملاك من الإمارات والبحرين والكويت وسلطنة عمان. كما يعرض المهرجان أطول ناقة في العالم بطول ثلاثة أمتار.

البحث عن مزيد من نقاط الجمال

هدد رجل يطارد المغنية الأميركية تايلور سويفت بقتلها هي وكامل أفراد عائلتها، وفقا لما ورد بموقع تي أم زد المتخصص في أخبار المشاهير. وقال الرجل ويدعى فرانك أندرو هوفر في أحد الخطابات التي أرسلها لوالد المغنية «قررت أن أقتل كامل عائلة سويفت في يوم ما»